بزكاتك ..

«وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً»

صدق الله العظيم

جميع الحقوق محفوظة
لدى مجلة المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم

.. تحييهم

شاركونا فرحتهم بالإفراج عن السجناء والظبط والإحضار

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

التبرع عن طريق الاستقطاع:

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

للتواصل:

94064061 - 94064060 - 24834414

اللجنة النسائية: 94064069

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢٠٨٧) - (السنة ٤٦)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي . الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى 1427/8/10هـ – 2006/9/3م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

المخرج الفني
محمد أبو زيد

المراسلات:

العنوان البريدي : الكويت ص.ب (٤٨٥٠)
الصفاة . الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

بريد التحرير الإلكتروني:
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح:
www.eslah.com

هاتف التحرير: 22519539 - 22514180.
22513616 . 22528684 (داخلي 205).
فاكس المجلة : 22560524 - 22521826
الاشتراكات والتوزيع : 22560525 - 22560526
sales@mugtama.com

www.mugtama.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

نيجيريا..
إمكانات هائلة
واقتصاد ضعيف

- إيران و«حزب الله» يعبثان بأمن الخليج 8
- الحملات الإلكترونية.. هل تكون بديلاً لمراقبة الأسعار؟ 24
- نخبة تكنوقراط علمانية تدعم دكتاتورية عسكرية 26
- هل تغيرت العقيدة القتالية للجيش المصري؟ 30
- انتفاضة العراقيين.. بين التغيير والتخدير! 37
- المشهد الليبي.. تداعيات ومواقف 40
- تونس.. الحريات الدينية تصارع من أجل البقاء 46
- اليمن.. استعدادات لمعركة فاصلة أو حرب استنزاف 48
- المسجد الأقصى يدخل مرحلة الخطر 52
- د. محمد الجمال: جماعة الإخوان بسورية أكبر داعم للثورة والثوار 56
- الطريق إلى الانتخابات المبكرة في تركيا 58
- د. محمد عمارة: «الداروينية» في ميزان الإسلام 62

الاشتراكات:

الكويت ودول الخليج والدول العربية:
10 دنانير كويتية أو ما يعادلها..
باقي أنحاء العالم:
60 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات والشركات:
30 ديناراً كويتياً..
باقي دول العالم:
75 دولاراً أمريكياً.
الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw
السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

آية العدد

﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾

(سورة قريش)

ملفات خاصة عن

المجتمع والأسرة - ترجمات - فكر وثقافة- قضايا فقهية

مقالات

د. عماد الدين خليل
في إشكالية التمايز بين الشعوب 55

د. زيد بن محمد الرماني
الاقتصاد الإسلامي أمل البشرية 61

د. يوسف السند
الشباب.. بين الأمن النفسي والسلم المجتمعي 69

حاسة الأمن الوطني
محمد سالم الراشد 82

قطـر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغـرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الـدار البيضـاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

رأي المجتمع

الكويت..
والتحديات الأمنية الجسيمة

من أعظم نِعَم الله التي أنعم بها على بلادنا نعمة الأمن، وتلك النعمة غاية كل الدول والشعوب، فالإنسان يحتاج إليها كحاجته للطعام والشراب، لينعم بالاستقرار والطمأنينة.

وتأتي التحديات الأمنية لتمثل أخطر التحديات التي تواجه الكويت في الوقت الراهن، وقد جاءت الحوادث الإرهابية الأخيرة لتؤكد لنا حجم تلك التحديات، ومدى خطورتها على الأمن القومي، واستهدافها ضرب أمن واستقرار البلاد، وإشعال نار الفتن فيها.

وقد تبين لنا أنها جاءت نتيجة مخططات إقليمية بغيضة.

نحن إذن أمام أوضاع استثنائية تجتازها المنطقة، وتتطلب أعلى درجات الحذر واليقظة، وتستوجب اصطفافاً وطنياً عالياً، وتعاوناً وتنسيقاً عاليين بين الأجهزة الأمنية في كل دول مجلس التعاون الخليجي.

ولمواجهة تلك التحديات الأمنية التي تتعرض لها الكويت، علينا تقوية البنية الأمنية، وإصلاح الجهاز الأمني وتدعيمه بكل الإمكانات والقدرات والسبل التي تحقق له الجهوزية على أعلى مستوى، وضرورة إعادة هيكلة المنافذ والقوات التي تحميها، وحماية المجتمع من الشائعات والتضليل، ومقابلة ذلك بانتهاج الحكومة طريق الشفافية مع الشعب، مع وجوب تطبيق القانون على الجميع دون محاباة لأحد ودون خوف من أي حسابات أو حساسيات غير المساواة والعدل، وأهمية انسياب المعلومات والأخبار الصحيحة عبر مصادرها الحقيقية الصادقة لتوعية الشعب بطبيعة الأمور، ووجوب التعاون مع جغرافيتنا الخليجية، وتنشيط العلاقة بين دول الخليج وصولاً إلى الوحدة الكاملة، لضمان الحفاظ على أمن الكويت ودول الخليج.

فالأمن مطلب مجتمعي لا يمكن أن يتحقق إلا بتضافر كافة الجهود، ولا يمكن أن ينهض أي مجتمع بدون أمن وأمان.■

أزمة صامتة بين الكويت وإيران بسبب حقل الدرة

فتحت إيران باب أزمة كبيرة مع الكويت بإعلانها المفاجئ عن طرح مشروعين لتطوير امتداد حقل الدرّة أمام الشركات الأجنبية، متجاهلة الرفض الكويتي القاطع لأي مشاريع تطوير في الحقل قبل ترسيم الجرف القاري، فيما أكدت رئاسة الأركان العامة للجيش الكويتي في حسابها على «تويتر» عدم صحة احتلال إيران لحقل الدرة، مشددة على وجود «القوة البحرية» في المياه الإقليمية.

وقد استدعت وزارة الخارجية القائم بأعمال سفارة إيران لدى البلاد حسن زرنكار، وسلمته رسالة احتجاج على طرح إيران مشروعين لتطوير امتداد حقل الدرّة أمام الشركات الأجنبية، متجاهلة الرفض الكويتي القاطع لأي مشاريع تطوير في الحقل قبل ترسيم الجرف القاري، وهو ما لا تملك إيران حقه، خصوصاً وأنها تقوم منذ العام ١٩٦٥م باستغلال حقل سروش الذي تطالب الكويت بحقها فيه من دون أي اعتراض.

فيما أكد رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم ضرورة أن توضح الحكومة ممثلة في وزارتي الخارجية والنفط ملابسات موضوع حقل الدرة النفطي وتطوراته، بكل شفافية ووضوح، مضيفاً: مثل تلك الملفات غاية في الحساسية، ومن غير المقبول إطلاقاً تركها عرضة لتأويلات الرأي العام وتفسيراته.

فيما قال النائب السابق جمعان الحربش: أستبعد أن يعقد المجلس جلسة خاصة بسبب استيلاء إيران على حقل الدرة، كما لم يعقد جلسة عن خلية إيران الإرهابية، فأهم شي «قروب الواتس آب».. فيما قال عضو مجلس الأمة المبطل حمد المطر: إيران تتصل، والآن إيران تستولي على حقل الدرة، فماذا ننتظر؟ وتابع: ننتظر ٨/٢ آخر؟ والأسلحة مخبأة بالكويت، يا سلطة، يا شعب، متى نتعظ قبل فوات الأوان؟ وأضاف: ظروف الغزو العراقي الغاشم اتهامات نفطية، تهديدات مباشرة، السلطة عطلت الدستور وسجنت مواطنيها واختطاف قاعة عبدالله السالم لنستوعب

الدرس يا سلطة، وتابع قائلاً: إيران «تتحرش» بالكويت، والكويت عطتها «بلوك» فلا تسمع منها ولا تسمعها، فهذه سياسة الكويت ضد إيران؛ لأنها ضامنة إيران، والضامن د. عبدالحميد دشتي، وختم: توقعات انخفاض حاد لسعر النفط في السنوات القادمة، واضح إن الكويت مستعدة له تماماً كما هو استعدادها لخطر إيران و «حزب الله».

وقال النائب المستقيل رياض العدساني: إن إيران تفتعل خلافاً في حقل الدرة بعد رفع الحظر الدولي عنها لتُذكّر الكويت تعهد إيران بعدم القيام بأي نشاط بالمنطقة من دون الاتفاق بينهما، وأضاف أن حقل الدرة في المياه الكويتية والسعودية بالمنطقة المقسومة ويقدر مخزونه ٢٠٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، مؤكداً أن تدخل إيران تعدٍّ صارخ. ■

تدشين أول سفينة عسكرية كويتية بصناعة سعودية

دشنت مجموعة «الزامل للخدمات البحرية» في ميناء الملك عبدالعزيز في الدمام شرقي السعودية أول سفينة عسكرية لصالح قوات خفر السواحل الكويتية «الزور ١٠»، تمت صناعتها بالكامل في المملكة العربية السعودية.

وحضر حفل التدشين وكيل وزارة الداخلية الكويتية المساعد لشؤون أمن الحدود اللواء الشيخ محمد يوسف الصباح، ومدير عام الميناء نعيم النعيم، ومسؤولون كويتيون وسعوديون كبار.

وقال الرئيس التنفيذي لشركة الزامل للخدمات البحرية المهندس سفيان الزامل خلال كلمته في حفل التدشين: إن روح التعاون بين دول الخليج العربي يمثل دافعاً قوياً لتطور الصناعات المحلية والإقليمية بشكل عام في هذه المنطقة لتنافس مثيلاتها على المستوى العالم.

من جهته، أكد الشيخ اللواء محمد يوسف الصباح: إن سفينة «الزور ١٠» ستدخل للخدمة العسكرية مباشرة فور وصولها إلى الكويت، وننتظر القطع الثلاث المتبقية التي ستكون بمثابة دعم وإضافة لخفر السواحل الكويتية. ■

غرفة عمليات خليجية لتأمين موسم الحج

قالت مصادر سعودية: إن الأجهزة الأمنية في دول مجلس التعاون الخليجي عقدت اجتماعاً أمنياً، جرى خلاله بحث سبل تأمين موسم الحج لهذا العام.

وقالت مصادر: إن دول المجلس اتفقت على التأمين والتدقيق على أسماء الحجاج المغادرين منها، والتأكد من عدم وجود أي قيود أمنية عليهم، بحسب ما أفادت صحيفة «الشاهد» الكويتية.

وكشفت أن جهاز أمن الدولة قام بالتدقيق على المواطنين والوافدين الذين تجاوز عددهم ٦ آلاف شخص، مبينة أن الداخلية السعودية تحفظت على ١٨ شخصاً، فيما يواصل رجال أمن الدولة البحث والتحري في هذا الجانب.

وذكرت المصادر أن معلومات سرية وصلت إلى الجهات الأمنية الخليجية تفيد بمحاولة بعض المنظمات الإرهابية والمحظورة استغلال موسم الحج لهذا العام لإثارة البلبلة والقيام بأعمال إرهابية.■

قطر تسعى للحفاظ على حصتها في سوق الغاز الطبيعي

تولي قطر، عملاق إنتاج الغاز، اهتماماً كبيراً لإتقان الممارسات التجارية، حيث تقوم بالاستعانة بتجار وتشارك في مناقصات لكسب عملاء جدد، وتسعى بكل قواها للحفاظ على حصتها في السوق الآسيوية المهمة.

وقطر أكبر مورد للغاز الطبيعي المسال في العالم، لكن قد تتقدم عليها أستراليا في غضون السنوات الخمس المقبلة، وقد يقوض هذا التحول هيمنتها على السوق في آسيا، والتي تمثل نحو ٥٧٪ من السوق العالمية وتدفع أعلى الأسعار.

ونقلت وكالة «رويترز» عن رئيس أبحاث الغاز والغاز الطبيعي المسال في وود ماكينزي، «نويل تومانى»، أن قطر كانت تتبنى في الماضي إستراتيجية الحفاظ على السعر، ولكنها ستتحول في المستقبل إلى الاهتمام بالاحتفاظ بحصتها في السوق.■

بعد ١٩ عاماً.. قائد «حزب الله الحجاز» بقبضة السعودية

بعد أكثر من ١٩ عاماً من الهروب والتخفي في دول عدّة من بينها إيران والعراق، نجحت قوات الأمن السعودية في إلقاء القبض على أحمد المغسل، قائد ما يسمى «حزب الله الحجاز»، والمتهم الرئيس في تفجير سكن البعثة الأمريكية في الخبر (شرقي السعودية) عام ١٩٩٦م. كشفت مصادر أمنية أن عملية القبض تمت في بيروت، بالتنسيق مع الأمن اللبناني بعد معلومات تفيد أن المغسل وصل إلى بيروت قادماً من طهران.■

سياسيون ونواب حاليون وسابقون:

إيران و«حزب الله» يعبثان بأمن الخليج

التاريخ الأسود لـ «حزب الله» والاستخبارات الإيرانية مع دول الخليج بصفة عامة، والكويت بصفة خاصة، مليء بالمؤامرات، وهو ليس وليد اليوم، بل يعود إلى ثمانينيات القرن الماضي حين بدأ هذا الحزب، إلى جانب «حزب الدعوة» العراقي بتنفيذ عمليات إرهابية ضد الكويتيين، والمنشآت الشعبية والصناعية والنفطية، وحتى البعثات الدبلوماسية العاملة في البلاد، ويومها كان ابتداع أسماء منظمات أو حركات مختلفة أمراً شائعاً، لكن العقل المخطط والمحرك والممول والمنفذ كان واحداً، فمن «منظمة الجهاد الإسلامي» الذراع العسكرية لحزب الدعوة إلى «الألوية العربية الثورية» وغيرها من المنظمات التي كانت كلها واجهات إعلامية للمجموعات الإرهابية الإيرانية وخلايا «حزب الله»، التي نشطت في العمليات الإرهابية في الكويت.

وأخيراً كانت الخلية الإرهابية التي ضبطت بالبلاد وضبط بحوزتها كميات هائلة من الأسلحة المتوسطة والرشاشة والمتفجرات والمرتبطة بهذا التنظيم الإرهابي، والتي أمر النائب العام المستشار ضرار العسعوسي بحظر النشر فيها حفاظاً على الصالح العام، والتحقيقات الجارية.

وقال بيان: إن الحديث حول الموضوع يسيء إلى المصلحة العامة والتحقيقات الجارية، ويمس الوحدة الوطنية، ويلحق الضرر بالمصالح القومية للبلاد.

وفيما يلي نص البيان: بمناسبة ما ورد في التحقيقات التي تباشرها النيابة العامة في القضية (رقم ٢٠١٥/٥٥ جنايات أمن الدولة)، والمحررة بناء على بلاغ من الأجهزة الأمنية بوزارة الداخلية، الذي يتضمن قيام مجموعة من الأشخاص (كويتيي الجنسية) بحيازة كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والمتفجرات، وارتباطهم بأحد التنظيمات الإرهابية، ونظراً إلى أن تداول الحديث في كل وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، وفي برامج التواصل الاجتماعي بشبكة الإنترنت حول موضوع هذه القضية، وما يجري بشأنها من تحقيقات تباشرها النيابة العامة يسيء إساءة بالغة إلى المصلحة العامة والوطنية ومصلحة التحقيق ويمس الوحدة الوطنية ويلحق أشد الضرر بالمصالح القومية للبلاد.

وإعمالاً لنص (المادة ٧٥/٢) من قانون الإجراءات والمحاكمات الجزائية المعدلة بالقانون (رقم ٣ لسنة ٢٠١٣)، فقد أمر بمنع نشر أي أخبار أو بيانات عنها بكل وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة وبرامج الشبكات الإلكترونية، وستقوم النيابة العامة بإحاطة وسائل الإعلام بما تنتهي إليه التحقيقات فور الانتهاء منها.

وتعليقاً على مخططات إيران وذراعها «حزب الله» ومؤامراته ضد الكويت ودول الخليج بصفة عامة، أكد الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية د. عبداللطيف الزياني دعم دول المجلس ومساندتها لدولة الكويت في كل ما تتخذه من إجراءات لحماية أمنها والحفاظ على سلامة شعبها والمقيمين على أرضها، ومكافحة عصابات الإرهاب المجرمة وإفشال مخططاتها الدنيئة، ولفت الزياني إلى أن دول مجلس التعاون ستظل بإذن الله عصية على الإرهابيين والقوى المحرضة ولن ينالوا من أمنها واستقرارها، سائلاً المولى العلي القدير أن يحفظ الكويت من كل شر وأن يديم عليها نعمة الأمن والأمان والاستقرار.

الحذر من «حزب الله»

بدوره، قال رئيس اللجنة الخارجية البرلمانية حمد الهرشاني: تاريخ «حزب الله» معنا لا يمكن نسيانه؛ إذ فجروا في مطلع الثمانينيات المقاهي الشعبية وخطفوا الطائرتين الكويتيتين، الجابرية، والمباركية، فضلاً عن دورهم في حادث الاعتداء على المغفور له بإذن الله الشيخ جابر الأحمد، أمير الكويت الراحل، داعياً إلى ضرورة اليقظة الدائمة؛ لأننا نعيش في إقليم ملتهب لا يخلو من منظمات إرهابية تريد فرض سيطرتها على المنطقة، متمنياً استمرار الجهود لضبط كل من يعبث بأمن الكويت ووحدتها الوطنية، وأضاف الهرشاني أن إيران هي العدو الحقيقي لدول الخليج، مشيراً إلى أن إيران تريد زعزعة أمن الخليج وشعارها الموت لأمريكا و«إسرائيل» أكبر خدعة وهي عميلة لهما، وداعمة رئيسة لـ «داعش».

فيما أدان النائب عدنان عبدالصمد أي عمل من قبل أي طرف يمس أمن الوطن، مشيراً إلى أن أمن الوطن خط أحمر، ودعا إلى سد الطريق أمام كل من يستغل أي حدث لإثارة الفتنة الطائفية وخلط الأوراق لشق الوحدة الوطنية، مشدداً على ضرورة تطبيق القانون على كل من يثبت سعيه للإضرار بأمن البلد.

فيما طالب النائب ماجد موسى القيادة العليا في البلاد إلى اتخاذ إجراءات سريعة بسحب الجنسية الكويتية ممن يثبت رسمياً ولاؤه لتنظيم «حزب الله»، والذي سبق له التورط في محاولة اغتيال أمير الكويت الراحل الشيخ جابر الأحمد، طيب الله ثراه، واختطاف طائرة الجابرية، وتفجير المقاهي الشعبية واستشهد خلالها العشرات من أبناء الكويت الشرفاء، مشيراً إلى أن قانون الجنسية أعطى الحق للدولة بسحب الجنسية من المتآمرين مع دول معادية أو تنظيمات إرهابية محظورة دولياً، وأوضح موسى أنه ثبت أن تنظيمهم المحظور في الكويت والخارج يعتنق فكراً هداماً، ومبادئ تخالف سماحة الإسلام ويريد تدمير المنطقة بفكره الإجرامي، خصوصاً دول الخليج العربي وأبرزها الكويت والبحرين الشقيقة.

عبداللطيف الزياني:
دول الخليج تدعم الكويت في حماية أرضها وشعبها

حمد الهرشاني:
تاريخ «حزب الله» معنا لا يمكن نسيانه

ماجد موسى:
مَنْ ولاؤه لتنظيم «حزب الله» يجب سحب جنسيته

سامي النصف:
علينا إزالة جميع المسنات الخاصة دون استثناء وعمل مسنات عامة

محمد الدلال:
«حزب الله» كشف عن وجه إرهابي أكثر خطورة يسعى لتخريب دول الخليج

ناصر الدويلة:
أرجو من وزير الدفاع إعادة فتح التحقيق مرة أخرى في حادثة الأديرع

دروس الماضي والحاضر

فيما قال وزير الإعلام والمواصلات السابق سامي عبداللطيف النصف: استفادة من دروس الماضي والحاضر، ومنعاً لتكرار أخطار ما يأتي من البحر، واستغلالاً لوجود وزير حازم للداخلية نرى أولاً: إزالة جميع المسنات الخاصة دون استثناء وعمل مسنات عامة كل عدة كيلومترات من أقصى شمال الكويت لأقصى جنوبها، وإن صادف موقع المسنة شاليه يجب أن يزال دون تعويض كونها جميعاً أراضي دولة.

وتابع: يوضع في كل مسنة رجال أمن وجمارك وخفر سواحل وبيئة وثروة سمكية، وتفتش القوارب في الذهاب والإياب أمنياً، ومنع كل ما يضر البيئة كالصيد الجائر، ويصاحب ذلك تشريعات صارمة كالإعدام ومصادرة الممتلكات وإسقاط الجنسية عن مهربي الأسلحة والمخدرات، وأخرى حازمة للصيد الجائر ودون ذلك الدمار.

وأضاف: بعد تفجير «مسجد الصادق»، والآن بعد اكتشاف الأسلحة، هناك رد فعل وطني عاقل موحد يفشل بحكمته مخططات الأعداء التي تريد أن تفجر التفجيرات في مجتمعاتنا، يقابل ذلك رد فعل انفعالي سطحي يعمم الجرائم، ومثله رد فعل تآمري يرميان للتأجيج والتحريض كي تتحول الكويت لعراق أو سورية أخرى، توحدنا يفشلهم.

وجه إرهابي أكثر خطورة

وقال عضو الحركة الدستورية الإسلامية النائب في مجلس فبراير ٢٠١٢ المحامي محمد حسين الدلال: تعاطف العالم العربي ومعهم الكويت رسمياً وشعبياً مع «حزب الله» في مقاومته للكيان الصهيوني في عام ٢٠٠٦م أثناء حرب «إسرائيل» على لبنان وما بعدها، مشيراً إلى أن التعاطف الرسمي والشعبي لا علاقة له بتأييد المذهب الشيعي أو إيران، وإنما هو مرتبط بتأييد المقاومة التي واجهت صلف وإجرام الكيان الصهيوني، فقد تعددت صور التعاطف في الأعوام ٢٠٠٦م وما بعدها إلى عام ٢٠٠٩م تقريباً ما بين إصدار بيانات وزيارات شعبية إلى لبنان أو أنشطة داعمة للمقاومة في الكويت، وبالمقابل كانت هناك أطراف حذرت حينها من خطورة إيران وحزب الله، وبأهمية عدم الانجراف في التأييد، ولآرائهم تلك وجاهتها، فـ «حزب الله» نكص على عقبيه! تراجع التعاطف، وأحياناً انقلب إلى عداء ما بين أطراف عديدة في الشعب الكويتي مع «حزب الله» لبروز النفس الطائفي المقيت في مواقف وخطاب الحزب، وتراجع التعاطف وزاد النفور تدريجياً لمواقف الحزب السياسية في لبنان؛ بإعاقتهم الاستقرار السياسي، ثم تأييدهم ودعمهم للحكومة الطائفية في العراق، وازداد الوضع تنافراً وعداءً بتدخل إيران ومعها «حزب الله» في سورية تأييداً للنظام المجرم البعثي ومواجهة لثورة الشعب السوري الساعي للحرية والكرامة، وأخيراً فإن «حزب الله» بما أسفرت الأنباء المتواترة عن ارتباطه بالخلية الإرهابية في الكويت كشف عن وجه إرهابي أكثر خطورة يسعى لتخريب دول الخليج.

وتابع الدلال: من الأهمية القول: إن إيران وحزب الله بمواقفهما، ودعمهما للإرهاب وسعيهما للهيمنة، وتدخلهما في شؤون الغير وتأييدهما للطغاة في سورية والعراق واليمن ساهما في خلق الفوضى والتوتر وعدم الاستقرار في المنطقة، وهما طرفان رئيسان مسؤولان عن الطائفية والإساءة للسُّنة والشيعة، ويتطلب ذلك مواجهة مخططاتهما، وما حدث في الكويت له ما بعده، وما حدث في العراق والبحرين واليمن ليس عنا ببعيد، فالكيس من أعاد حساباته وخطط وسعى لحفظ بلده داخلياً وخارجياً، وعلى دول الخليج أن تكون أكثر قوة في مواجهة المخططات الإرهابية الإيرانية وأتباعها كـ «حزب الله»، والضرب بيد القانون بحزم، فإيران تخشى فقط القوي.

فيما طالب أستاذ العلوم السياسية د. عبدالله النفيسي بأن تكون هناك جرأة أكثر في تعامل مؤسسات الدولة مع مثل هذه الأحداث، حيث قال: البحرين أجرأ منكم في تعاملها مع المشكلة، إنها على الأقل تسمي الأطراف بأسمائها، سياسة النعامة لن تجدي شيئاً، مشيراً إلى أن إيران ستزداد عدوانية بتأمين أمريكي، وتريد تعويض اندحارها في اليمن من خلال تصاعد نشاطها في الكويت والبحرين، حذرناكم منذ زمن وعاقبتمونا.

التعامل الرسمي بشفافية

وقال النائب السابق فلاح الصواغ: الكويت تحتاج لتكاتف المخلصين، وما تجرأ حزب الشيطان على هذا المخطط الخبيث

إلا عندما علم بتفكك الجبهة الداخلية وانشغال الحكومة بمطاردة أبنائها، مبيناً أن الكويتيين يشكرون المخلصين من أبناء الوطن بكشفهم مخطط المجرمين الخونة، ويستنكر بشدة ويطالب كشف وتوضيح من وراء ذلك.

ومن ناحيته، قال أستاذ العلوم السياسية بجامعة الكويت د. عبدالله الشايجي: أصبحنا بين نارين؛ نار «داعش» من جهة، وإيران ووكلائها ومشروعها من جهة ثانية، قلنا: إن إيران وأذرعها سيستمرون، وتهب الرياح في أشرعتهم بعد الاتفاق النووي لتجري بما تشتهي سفن إيران المدعومة من الغرب، وهذه هي النتيجة المتوقعة، والخافي أعظم، فقد كشفت البحرين عن خلية إرهابية يمولها ويدرّبها الحرس الثوري الإيراني مسؤولة عن تفجيرات إرهابية أدت لاستشهاد رجال أمن بحرينيين.

وكشفت الداخلية الكويتية عن وجود خلية إرهابية وعملاء مواطنين، حسب مصادر، يمولهم ويدربهم الحرس الثوري الإيراني، وكذلك «حزب الله» اللبناني، ومليشيات عراقية، ويفجرون ويقتلون قوات الأمن في البحرين، وخلايا نائمة من الكويتيين دربها «حزب الله» يهربون ترسانة أسلحة للكويت بانتظار ساعة الصفر للقيام بعمليات إرهابية.. فيما حسن نصر الله يؤدي التحية للكويت!

وأضاف: من حقنا كما أعلنت وزارة الداخلية أن تنشر أسماء وصور واعترافات من يريدون بالبلاد سوءاً، كما نشرت أسماء وصور أفراد خلية «داعش» في الكويت المسؤولة عن تفجير مسجد «الإمام الصادق»، وحتى لا يكون هناك ازدواجية، كما نريد أن نسمع ممن صدعوا آذاننا بدور وتأثير المناهج الدراسية على الانحراف والعمليات الإرهابية والتطرف، وكذلك الصامتين صمت القبور نتمنى أن يمتلكوا الجرأة ليُدلوا بدلوهم ويوضحوا موقفهم من خلية العبدلي، و«الحرس الثوري»، وأيضاً «حزب الله»، وإيران.

وبيَّن أن تهديد أمننا في دول الخليج أصبح من منظمات ومليشيات بتخطيط وتدبير وتهيئة مناخات مواتية لتهديد أمننا واستقرارنا وبأيدي شركائنا في الوطن، وهذا أخطر أنواع التهديد والتحدي والاختراق من الداخل عن طريق الطابور الخامس، وما خفي كان أعظم؛ لأن أمننا واستقرارنا في دولنا الخليجية صار يضرب من شركائنا في الوطن وبأيدي إرهابيين وخونة خدمة لمشاريع وبرامج خارجية.

تنامي الجريمة المنظمة

فيما قال أستاذ القانون الدولي العام والعلاقات الدولية والخبير في قضايا مكافحة الإرهاب د. فايز النشوان: تنامي ظاهرة الجريمة المنظمة يستدعي قيام الدولة بتدابير نوعية، قد يكون منها تقنين زيارة المواطنين لدول مجاورة لا مجال لمجاملتها على حساب الأمن.

فيما قال النائب السابق ناصر الدويلة: احفظوا أولادكم من إيران وأيضاً «داعش»، فهم خطر عليهم، مبيناً أن إيران ومعها «داعش» تحتضر في كل الميادين، والشعب الكويتي يتوحد ضد المنظمات الإرهابية، داعياً كل المنتمين للخلايا المسلحة تسليم أنفسهم، قائلاً: لا تلحقوا الضرر بأهلكم ووطنكم، وقعتم في الخيانة العظمى، وهذا عار ودمار، لكن بادروا بالاستسلام.

وأضاف: حادثة وقعت في ديسمبر من العام الماضي في ميدان رماية تابع للجيش، حيث دخل مجموعة من المدنيين للميدان بتواطؤ ضابط وقاموا بالرماية، لم تأخذ بُعداً سياسياً؛ حيث ذكر أن بعض أسماء المجموعة التي تدربت في ميدان رماية تابع للجيش مشابهة للأسماء التي تسربت في «التويتر» عن التنظيم المسلح؛ لذلك لابد من فتح ملف الميدان.

وأشار إلى أن حادثة الميدان وقعت بعد منتصف الليل عبر تواطؤ أحد العاملين، وتم كشفها من قبل الأمن عبر كاميرات ليلية، وتم ضبط المجموعة، واعتبرت تسيُّباً إدارياً، كما قال: لا أستطيع أن أجزم بارتباط المجموعة المسلحة بحادثة ميدان الرماية، لكن كانت الأسماء متشابهة، واعتبر العامل بالميدان متجاوزاً للنظم لأجل أصدقائه، وختم حديثه قائلاً: أرجو من وزير الدفاع إعادة فتح التحقيق مرة أخرى في حادثة الأديرع، والتأكد من أسماء المتهمين ما إذا كانوا هم أنفسهم من كانوا في الميدان.

الإرهاب لا دين له ولا مذهب

فيما أكد الداعية الإسلامي د. ناظم المسباح أن الإرهاب لا دين له ولا مذهب، وأي جريمة يرتكبها أي إرهابي فإنه ينبغي أن يعاقب عليها وحده، وعلينا ألا نعمم الأحكام

عبدالله النفيسي:
إيران ستزداد عدوانية وتريد تعويض اندحارها في اليمن بتصعيد نشاطها في الكويت والبحرين

فلاح الصواغ:
ما تجرأ حزب الشيطان على هذا المخطط الخبيث إلا عندما علم بانشغال الحكومة بمطاردة أبنائها

ناظم المسباح:
الإرهاب لا دين له ولا مذهب وأذرعه دائماً ترتبط بالخارج

عبدالله الشايجي:
من حقنا أن تنشر الداخلية أسماء وصور واعترافات ومحاكمة الإرهابيين أفراد خلية العبدلي

فايز النشوان:
تنامي ظاهرة الجريمة المنظمة يستدعي قيام الدولة بتدابير نوعية

بسام الجعارة:
متى سيبدأ تنظيف البيت الخليجي من مرتزقة إيران؟

على فئة من فئات المجتمع، مبيناً أننا وكما نرفض أن نحمل شريحة اجتماعية كاملة جريرة تفجير «مسجد الصادق»، فإننا أيضاً نرفض أن نحمل شريحة اجتماعية كاملة جريرة خلية العبدلي.

وبين أن أذرع الإرهاب والتخريب والتدمير دائماً ما ترتبط بالخارج ضمن مخططات قوى الشر الإقليمية المعروفة للجميع، والتي تهدف للسيطرة على دول الخليج من خلال ضعاف النفوس معدومي الضمير من بعض مواطني دول الخليج بكل أسف، وختم بأن المؤامرة على الكويت والبحرين والسعودية واليمن وبقية دول الخليج باتت مكشوفة ومعروفة للجميع، داعياً المولى جل وعلا أن يحفظ الكويت وشعبها والمقيمين فيها وسائر بلاد المسلمين من شر الأشرار وكيد الفجار.

وقال الخبير العسكري ظافر العجمي: الاتفاق النووي جعل إيران تتصرف كدولة نووية حتى قبل أن تفجر قنبلتها في وجوهنا، مشيراً إلى أن ظهور خلايا «حزب الله» خير دليل على أن طهران مستمرة في ممارسة هوايتها في جميع العواصم العربية.

سيناريو اليمن

فيما حذر أستاذ التاريخ د. عبدالهادي العجمي من سيناريو اليمن، حيث قال: إنه بعد تشكيل الحوثي بدأ يتحرك سياسياً، ثم أخرج الأسلحة للعمل، ثم حرك الحوثي بالسلاح وبدأ يتكلم باسم أنصار الله والعدل وحقوق الشعب وانقلب على النظام، وبسرعة أعلنت إيران وحزب الله دعمهما، ثم بدأ الإيرانيون والمجرم نصر الله يتكلم عن أنصار الله وحقوق الشعب، ثم بدأ الحديث عن تدمير الدولة بهذا الفصيل، مطالباً بأن تكون هناك حملة إعلامية توضح خطر هذه المجموعات على الدولة، ولابد أن ينتبه الأفراد ويعلنوا مواقفهم من هذا الخطر، وليس السكوت!

ومن جانبه، قال المعارض السوري بسام جعارة في تغريدة عبر حسابه على موقع التدوين المصغر «تويتر»: بعد اكتشاف خلايا لحسن نصر الله في الخليج.. متى سيبدأ تنظيف البيت الخليجي من مرتزقة إيران؟

فيما ذكر الكاتب السعودي حسين شبكشي في تغريدة عبر حسابه على موقع التدوين المصغر «تويتر»: شبكات تمويل تنظيم «حزب الله» الإرهابي التكفيري بمناطق مختلفة بالعالم تعتمد على غسيل الأموال وتجارة المخدرات والتهريب بشتى أنواعه، هذا هو «حزب الله».

وأكد جابر الحرمي، رئيس تحرير جريدة «الشرق» القطرية، أن الأمن الجماعي الخليجي ليس التصدي لغزو خارجي فحسب، بل التنبه لاختراق الجبهة الداخلية هو التحدي الأكبر.

فيما أشار الكاتب والحقوقي الجزائري أنور مالك في تغريدة عبر حسابه على موقع «تويتر» إلى أن الإسلام لا يصنع جماعات أو حركات أو أحزاب أو تنظيمات متطرفة، بل تصنعها أجهزة استخباراتية لديها إستراتيجية سرية للتصدي للمد الإسلامي في العالم.■

الشاهين عن حظر النشر: المقصود الإجراءات الأمنية والقانونية

قال عضو الحركة الدستورية الإسلامية النائب في مجلس فبراير ٢٠١٢ المحامي أسامة الشاهين: إن قرار حظر النشر من قبل النائب العام في قضية الخلية الإرهابية - خلية «حزب الله» بالكويت - يتعلق بالإجراءات الأمنية والقانونية القائمة واللاحقة بشأنها، أما الحديث عن تداعيات الحدث وأسبابه وأبعاده دون خوض في إجراءات النيابة والأجهزة المعاونة فلا يشمله الحظر، بجانب كونه مكفولاً دستورياً.■

مشـــروع الأضاحـــي

1436 هـ - 2015 م

الرحمة العالمية
RAHMA INTERNATIONAL
جمعية الإصـــلاح الاجتـــماعي
التميز في العمل الخيري

لك الأجر .. ولهم الفرحة

ابتداءً من:
15 د.ك

أوروبا | أفريقيا | الدول العربية | آسيا

1 888 808 | khaironline.net | تابعنا عبر @khaironline

نائب جلالة ملك البحرين في مقدمة المشيعين..

وفاة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة.. أحد رواد العمل الخيري

فقدت الأمتان العربية والإسلامية واحداً من أعظم رواد العمل الخيري والإنساني والدعوي؛ هو الشيخ عيسى ابن محمد آل خليفة الذي انتقل إلى جوار ربه مساء يوم الخميس ١٣ أغسطس ٢٠١٥م خارج البحرين عن عمر ناهز الـ٧٧ عاماً.

حشود من كافة الدول شاركت في وداع الشيخ عيسى

شغل الشيخ عيسى عدداً من الوظائف العامة بالبحرين أهمها وزارتا العدل والعمل

من أهم أقواله: «أحياناً تحتم عليَّ الظروف أن أقوم ببعض الأعمال تجاه الدعوة التي آمنا بها ولن يستطيع أي طاغية أو ماجن خلعها من بيننا إلا إذا خلع القلوب والأفئدة ودون ذلك قطع الرقاب»

وشارك في وداع الفقيد بمقبرة الحنينية حشود غفيرة من داخل البحرين وخارجها، كان في مقدمتها نائب جلالة ملك البحرين الأمير سلمان بن حمد آل خليفة.

وأسدل رحيل الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة الستار على ٧٧ عاماً قضاها الفقيد متنقلاً بين سلك القضاء، وتولي حقائب وزارية، شملت وزارة العدل ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية، والإمساك بعد ذلك بدفة سفينة جمعية الإصلاح بالبحرين والتي احتفلت مؤخراً بإكمالها ٧٥ عاماً على الإنشاء.

سيرة عطرة.. وتاريخ حافل

وقد وُلد الشيخ عيسى بن محمد بن عبدالله آل خليفة رحمه الله في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٣٨م، في مدينة المحرق، وهو متزوج وله ثلاثة أبناء، هم: محمد، وعبدالله، وسلمان.

ودرس الشيخ عيسى في مدرسة الهداية الخليفية وتخرج فيها عام ١٩٥٠م، وواصل دراسته في مدرسة حلوان الثانوية (مصر)، والتي حصل منها على شهادتي الثقافة والتوجيهي في عام ١٩٥٦م، ثم درس الحقوق في جامعة القاهرة بجمهورية مصر حتى حصل على شهادة البكالوريوس في القانون عام ١٩٦٢م.

وشغل الشيخ الراحل عيسى بن محمد العديد من الوظائف، بدءاً من قاض في محاكم مملكة البحرين بين العامين ١٩٦٣ و١٩٦٨م، ورئيس المحكمة الكبرى بين العامين ١٩٦٨ و١٩٧٣م، وعضو في محكمة الاستئناف العليا، ووكيل في وزارة العدل، بين العامين ١٩٧٣ و١٩٧٤م، حتى تقلد منصب وزير العدل بين العامين ١٩٧٤ و١٩٧٥م، ثم وزيراً للعمل بين العامين ١٩٧٥ و١٩٨٠م.

وعُرف الفقيد بفكره الوسطي المتسامح، وبمواقفه الداعمة للديمقراطية والدستورية والعمل الوطني، وسعيه إلى الوحدة الوطنية بين مختلف فئات المجتمع.

ويعتبر الشيخ عيسى الأب الروحي لجمعيتي الإصلاح والمنبر الوطني الإسلامي في البحرين.

وترأس جمعية الإصلاح ومجلس إدارتها لعدة دورات، وفي ديسمبر عام ٢٠١٤م، فاز بمنصب رئيس مجلس الإدارة بالتزكية للدورة الثامنة عشرة للعامين ٢٠١٥ – ٢٠١٦م، وذلك لآخر مرة قبيل وفاته في ١٣ أغسطس ٢٠١٥م.

وفي ١٢ مايو ٢٠١٥م، قام برعاية حفل تدشين كتاب يؤرخ لتاريخ جمعية الإصلاح

البحرينية بمناسبة الذكرى الـ٧٥ لتأسيسها.

كذلك ترأس الشيخ الراحل عيسى بن محمد العديد من الهيئات والجمعيات، أهمها بعد جمعية الإصلاح، جمعية المحامين البحرينية (١٩٨٠م)، ومدرسة ابن خلدون الوطنية (١٩٨٥م)، وجمعية مكافحة التدخين، كما أصبح رئيساً لمجلس أمناء مدرسة ابن الهيثم الإسلامية الخاصة، ورئيس مجلس أمناء مدارس الفلاح الخاصة.

ونال الشيخ عيسى عضوية العديد من الهيئات والجمعيات، منها: جمعية المحامين الدولية، المجمع العربي لحماية الملكية الفكرية، عضو في «المستشارون الخليجيون»، أمين سر الجمعية الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت، عضو منظمة الدعوة الإسلامية في الخرطوم (السودان)، وعضو مؤسسة آل البيت (الأردن).

وقد وثّق الكاتب هشام الشيخ سيرة حياته في كتاب «عيسى بن محمد قصة نجاح وشمس الإصلاح»، الذي صدر في عام ٢٠١٢م، وضم نحو ٢٠٠ صورة ووثيقة تاريخية.

في رثاء الشيخ عيسى

وقد تركت وفاة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة بالغ الأثر في نفوس العديد من أبناء البحرين والدول العربية والإسلامية لاسيما ممن عاصروا الشيخ الفقيد ورافقوه في رحلة حياته، ويأتي في طليعة هؤلاء فضيلة الإمام الشيخ يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي كتب رسالة رثا فيها الفقيد، قائلاً:

صديقنا معالي الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة..

عرفناك أيها الأخ الحبيب، والصديق العزيز، والقاضي العادل، والمحامي الصادق، والوزير المخلص؛ في شبابك، وفي كهولتك، وفي شيخوختك، فكان شبابك في طاعة الله، وكهولتك في عمل الخير، وشيخوختك في تأييد المناضلين عن الحق، المقاومين للباطل.

بدأت في البحرين، وأكملت في مصر، وتسلمت الراية من مصر، وبقيت في الخليج قمراً منيراً، تضيء لكل الناس، تزرع ليحصد الناس، وتغرس ليجني الآخرون، وتبني ليستظل الكل بظلك، قالوا: إنك من الأسرة الحاكمة، وأنعم بأسرة؛ أبناؤها علماء عند الحاجة، وزراء عند المشاركة، ومع كل الناس في ساعة المحنة.

رأست نادي الإصلاح أول ما ظهر، ولما تطور إلى جمعية الإصلاح، كنت القائد الذي لا يتخلف، والجندي الذي لا يفري أحد فريَّه، دعوناك للمشاركة في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، فكنت أسرع من لبوا واستجابوا، وحملوا العبء في سكرتارية الهيئة لعدة سنين، وهيأت لنا اللقاء مع أمير البحرين المحبوب الشيخ عيسى بن سلمان رحمه الله، وجندت مكتبك للمحاماة لخدمة الهيئة الخيرية، كما هو لخدمة قضايا الناس.

كنت – رحمك الله – نموذجاً للعمل المخلص والحركة الدؤوبة، والسعي بكل جد إلى كل ما فيه خير ونفع، في عملك في القضاء، وفي توليك وزارة العدل، ثم وزارة العمل، إلى أن ختمت حياتك رئيساً لجمعية الإصلاح المباركة.

لا ننسى تواضعكم الجم حين قلتم: «لسنا نحن من أسس الحركة الإسلامية في البحرين، وإنما كنا على صلة بها»، ولا إيمانكم العميق حين قلتم منذ ستين سنة: «أحياناً تحتم عليَّ الظروف أن أقوم ببعض الأعمال تجاه الدعوة التي آمنا بها، ولن يستطيع أي طاغية أو ماجن خلعها من بيننا، إلا إذا خلع القلوب والأفئدة، ودون ذلك قطع الرقاب».

سيذكر التاريخ كيف كان إصراركم وتمسككم بثوابت الإسلام ودعوته الغراء، وحمل مشروع نهضة فكرية واجتماعية يقوم على فكر مستنير معاصر، ونشر الثقافة الإسلامية التي تعزز نهج الاعتدال والوسطية.

وسيذكر تفانيكم في العمل الدعوي، وكيف جعلتم من جمعية الإصلاح نموذجاً يحتذى في ميدان العمل الخيري، ومثالاً مشرفاً لمؤسسات المجتمع من خلال دعم العمل الخيري وتطويره إلى آفاق أرحب، فلم تكن جمعية الإصلاح مجرد جمعية أهلية، وإنما مدرسة فكرية تقوم على العمل الجماعي المتماسك مع العمل الفردي المخلص.

كل إخوانك في البحرين، وفي الخليج العربي، وفي بلاد العرب، وبلاد الإسلام يدعون لك، ويصلون عليك، ويطلبون لك الرحمة والمغفرة والرضوان، يقولون: هذا رجل عاش لله؛ ومن عاش على شيء مات عليه.

نعزي فيك شعب البحرين، وملك البحرين، وأمراء البحرين، وجمعية الإصلاح.. سائلين الله تعالى أن يتغمدك بواسع عفوه ورحمته، وأن يسكنك فسيح جناته، وأن يجزيك عما قدمت لدينك ووطنك وأمتك خير الجزاء، وأن يلهم أهلك وذويك الصبر والأجر، وأن يجمعنا الله بك في جنة الفردوس.■

نيجيريا..

إمكانات هائلة واقتصاد ضعيف

محمد سعيد باه

إذا ألقينا نظرة اليوم في الوضع الجيو - سياسي لمنطقة جنوبي الصحراء؛ نجد أن وتيرة التوتر تتعالى يوماً بعد يوم منذ حوالي عقد من الزمن في كل من السودان الأوسط الذي محوره بحيرة تشاد المطل عليها عدد من الدول المهمة، هي: الكاميرون، تشاد، النيجر، نيجيريا، وحوضا النيجر، والسنغال.

وحسب المؤشرات المتوافرة لدينا من خلال قراءتنا للمشهد العام، يتوقع أن يشهد الوضع مزيداً من التصعيد؛ وفي هذا السياق تمثل جمهورية نيجيريا الفيدرالية، وما يتفاعل في ساحتها من تعقيدات، وتتصارع فيها من تناقضات؛ حالة جيدة لتشخيص هذا الوضع المتفجر، وقراءة مآلاته الممكنة في المستقبل المنظور، وكل ذلك على ضوء العامل الجديد المتمثل في انتخاب الرئيس «محمد بخاري» الذي يعلق عليه كثير من الناس آمالاً عريضة بأنه المرشح الجيد لإخراج العملاق من القمقم الذي حبس فيه.

عملاق أفريقيا

يُطلق على نيجيريا نعت لا يكاد ينازعها فيه أحد؛ ألا وهو «عملاق أفريقيا»، وذلك انطلاقاً من حجمها الجغرافي البالغ ٩٢٣٧٦٨ كم٢، والديموجرافي الذي يقدر بحوالي ١٨٠ مليون نسمة على وجه التقريب، وتزداد هذه الخريطة تعقيداً إذا أخذنا في الاعتبار التشكيلة البشرية الفسيفسائية التي يتكون منها المجتمع النيجري حوالي ٣٠٠ مجموعة عرقية، ومن هذه الزاوية نحاول تسليط الضوء على نيجيريا، مستعرضين أهم الجوانب التي يجب أن تتجمع لتعطي الصورة المتكاملة لمسيرة البلاد المتعرجة، وما يتوقع أن يرسو عليه الوضع فيها مستقبلاً، والدور الذي القيادي الذي يمكن أن تنهض به في قطر القارة نحو آفاق جديدة يسود فيها جو صحي يمكن أن يصلح للنهوض متى استطاعت أن تتخلص من المعوقات الشديدة التي ظلت تكبل خطاها وتبطئ من سيرها.

الإسلام في نيجيريا

يرجح الباحثون الذين درسوا الوجود الإسلامي في غرب أفريقيا عموماً، وفي السودان الأوسط خصوصاً، بأن دخول الإسلام إلى المنطقة يعود في أقرب التقديرات الممكنة إلى نهاية النصف الأول من القرن الأول الهجري، ويحدد بعضهم ذلك التاريخ بعام ٦٦٧م عندما وصلت طلائع جيوش الإسلام إلى بلاد كانم – برنو الواقعة على الجهة الشرقية الشمالية لحوض نهر تشاد، قبل أن يتوجه المد الإسلامي الذي كان مكتسحاً إلى الجهة الغربية من البحيرة، ويربط بعض المؤرخين الذين تناولوا موضوع وصول الإسلام إلى المنطقة بالخط الذي اتخذه جيش عقبة بن نافع إلى منطقة «كوار»[1].

ظل التمدد الإسلامي يتم على مهل، وفي حالي مد وجزر، يتعاقبان حسب الظروف والتقلبات السياسية، إلى أن تلقى الوجود الإسلامي في القرن الحادي عشر الميلادي دفعة جديدة عندما أخذ بعض ملوك المنطقة يعتنقون الإسلام ويتبنونه ويحرصون على نشره؛ ما أعطى الوجود الإسلامي في هذه المرة قدراً كبيراً من الزخم، جعله يتحول من حالة فردية أو بقع اجتماعية متباعدة إلى ظاهرة اجتماعية منتظمة.

ثم جاءت الموجة الأكثر تأثيراً والأكبر حجماً، ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي؛ وذلك عندما انطلقت موجات متلاحقة من المهاجرين من القبائل الفلاّنية المعروفة بشدة تمسكها بأهداب الإسلام وهي قادمة من السودان الغربي وبالأخص من حوض نهر السنغال، وبالإضافة إلى أن هؤلاء ساهموا في توسعة دائرة الوجود الإسلامي في عموم المنطقة التي ستقوم عليها دولة نيجيريا الحديثة لاحقاً، فإنهم سيحدثون نقلة نوعية لهذا الوجود من الناحيتين، وذلك عندما ستفضي حركتهم الثقافية إلى أن ينبثق منها جهاد على أساس المشروع الإسلامي الذي ولد قيام كيان اجتماعي وسياسي منظم على أساس الإسلام وتعاليمه[2].

مع كل هذا تبقى البصمة الكبرى والأكثر عمقاً في التغلغل الإسلامي؛ وبالتالي انتشاره على مستوى المنطقة هي التي نتجت عن حركة الشيخ عثمان بن فودي دم (١١٦٨هـ – ١٢٣٣هـ/ ١٧٥٤م – ١٨١٨م) العلمية ومشروعه الجهادي وتنظيمه السياسي، عندما أدى كل ذلك إلى قيام إحدى أكبر الدول الإسلامية جنوبي الصحراء حجماً[3]، والأوسع تأثيراً؛ وهي التي تعرف باسم الخلافة أو دولة «السكوتو» الإسلامية التي عمّرت أكثر من قرن، قبل أن تقضي عليها ضربات الاحتلال الأجنبي المتلاحقة من فرنسيين وبرتغال وإنجليز، لكن آثار قيامها تظل شاخصة إلى يومنا هذا.

الصراع الإسلامي النصراني

أحدث الوجود الإسلامي بالمنطقة ظاهرة جديدة كان لها انعكاسها الواسع والعميق حتى في ظل الاحتلال الأجنبي، حيث أصبح الوجود الإسلامي يعتبر العنوان الأبرز على مستوى البلدان المطلة على حوض تشاد عموماً، وفي نيجيريا خصوصاً، لكن ذلك لا يعني من جانب آخر بأن الإسلام قد فرض هيمنته المطلقة، وإنما أوجد حالة من الانسجام بين المكون الإسلامي الذي كان ينظر إليه باعتباره عامل تحضر ومصدر تنظيم اجتماعي ناجح يفرض احترام المكونات الوطنية المتنافرة ويستأثر

عدد سكان نيجيريا يقدر بحوالي ١٨٠ مليون نسمة ويضم نحو ٣٠٠ مجموعة عرقية

الإسلام دخل مناطق غرب أفريقيا في نهاية النصف الأول من القرن الأول الهجري

البصمة الكبرى والأكثر عمقاً في التغلغل الإسلامي في غرب أفريقيا نتجت عن حركة الشيخ عثمان بن فودي دم العلمية ومشروعه الجهادي والسياسي الذي أدى لقيام دولة «السكوتو» الإسلامية

باهتمامها، وبقي الوضع على هذا الترتيب إلى أن دخل الاحتلال الأجنبي الذي كانت الكنيسة بمختلف مللها ونحلها تمثل رأس جسر لحركته، وهو ما كان يستدعي العمل بكل الوسائل من أجل إزاحة المسلمين وقياداتهم الروحية والعلمية على الخصوص من مركز التأثير، وهو السلوك الذي فتح باب الصراعات الدامية بين الفريقين يمكن وضعها تحت الصراع الإسلامي المسيحي الدامي في جمهورية نيجيريا الفيدرالية الحديثة.

احتدم هذا الصراع، واتخذ فيما بعد عناوين عدة يجملها في المحطات التالية:

– الصراع العقدي – الثقافي: وتحت هذا العنوان حاولت الجهات الكنسية إحداث تغيير جذري في الخارطة العقدية للشعب النيجيري، وفي هذه المرحلة يلاحظ أن الجهد التنصيري قد انصب على محاولة صرف المسلمين عن دينهم أو تشويه هويتهم، مستخدمين شتى الوسائل بما في ذلك قوة القانون والقرار السياسي.

– التهميش عبر قنوات التعليم: وظفت الجهات الكنسية التربية والتعليم من خلال فرض هيمنة تعليم اللغة الإنجليزية وإبعاد التعليم الإسلامي لغة ومضامين، بناء منظومة تربوية تعليمية مفصلة على مقاس محدد كان الهدف من ورائها تجهيل المسلمين أو إرغامهم على التخلي عن هوياتهم مقابل التمتع بما كان التعليم الكنسي يوفره للشباب من مكانة سياسية عالية ومركز اجتماعي متقدم وحالة اقتصادية مريحة، وهو النهج الذي يقوم على دعامة التغرير، وكان من أبرز نتائج ذلك وضع مقاليد السلطة في أيدي نخبة مدنية وعسكرية تنتمي مباشرة إلى النصرانية أو إلى أولئك المسلمين الذين مورس عليهم غسيل المخ أو ما يمكن أن نسميه بالتدجين الفكري؛ ونتج عن ذلك بالتلازم تعويم ولائهم وجعلهم ينحازون إلى مصالح بريطانيا والدول الأجنبية التي درسوا فيها، وقد يصل الأمر إلى أن يستخدم هذا الصنف من المسلمين في مشاريع محاربة الإسلام والمسلمين والتنكيل بهم نيابة عن خصومهم.

– النهج العنيف: رغم ما حققته الكنائس من نتائج بارزة في صراعها المحتدم مع المسلمين في نيجيريا؛ فإنها لم تقنع بذلك؛ لأنها كانت تتوق إلى أن تفرض نموذجها لتصبح المرجعية الفكرية العقدية الاجتماعية الوحيدة، وهو المشروع الذي كان جمهور المسلمين يقفون منه موقفاً حاداً؛ ما جعل الصراع بين الجانبين يتجه اتجاهاً عنيفاً، يمكن اعتبار ما يحدث اليوم من فتنة عمياء تحرق الأخضر واليابس، من إفرازات تلك الترسبات التاريخية.

نماذج الصراع

ويمكن تقديم نموذجين يبرز من خلالهما مدى عنف الصراع الذي دار بين الجانبين، والدرجة القصوى من الحقد الذي كانت الكنيسة تكنه للوجود الإسلامي:

يتمثل النموذج الأول في المؤامرة الشرسة التي كانت وراءها مخالب الكنيسة، وأدت في النهاية إلى مقتل الرئيس «أحمد بلّو»، حفيد مؤسس دولة «السكوتو» الإسلامية وأول رئيس مسلم لنيجيريا، ورئيس وزرائه «أبو بكر تفاوا» بعد الاستقلال، إلى جانب عدد كبير من القيادات الإسلامية[٤]، ومثلت هذه المؤامرة محطة دموية بين الجانبين لا يمكن تجاوزها إلى هذا اليوم لما يمثله من رزء شديد للمسلمين.

النموذج الثاني نجده في حرب «بيافرا» الانفصالية المدمرة، والتي كادت تقصم ظهر نيجيريا وتحولها إلى كيانين سياسيين اجتماعيين متعاديين؛ أحدهما في الجنوب يشكل معقلاً للوجود المسيحي، وآخر مسلم يضم المناطق الشمالية وغيرها حيث الكثرة الإسلامية، شكلت هذه الحرب التي كانت تشعل وتسعر بوقود من كنائس العالمية، والتي بدأت منتصف عام ١٩٦٧م واستمرت زهاء أربع سنوات، حيث لم تضع أوزارها إلا في عام ١٩٧٠م، وقدر عدد الذين ماتوا فيها بحوالي مليوني نسمة.

مثلت هذه الحرب شرخاً ضخماً بالنسبة للمكونات الاجتماعية في نيجيريا وبين المسلمين وبين المسيحيين على وجه خاص، ومن الواضح أن الهدف من ورائها، بخلاف ما أعلن بأنها

> الكنيسة بمختلف مللها حركت الاحتلال الأجنبي للعمل بكل الوسائل من أجل إزاحة المسلمين وقياداتهم الروحية والعلمية من مراكز التأثير

> الصراع الإسلامي المسيحي احتدم واتخذ عدة عناوين ومحطات شملت الصراع العقدي الثقافي والتهميش عبر قنوات التعليم والنهج العنيف

> الجيش النيجيري يشبه الجيش المصري في تحكمه بمفاصل الدولة ويعد من أهم أسباب الفساد في البلاد

بمثابة سعي إلى رفع الظلم عن السكان من غير المسلمين من المناطق الجنوبية، كانت محاولة فرض هيمنة مطلقة على بقية مكونات المجتمع لتصبح تحت نير الكنيسة.

انطلاقاً من هذا التاريخ، اتسمت العلاقات بين الجانبين، رغم أن المسلمين يشكلون أغلبية دينية مريحة، بقدر عال من التوتر الدائم، مع تفاوت في درجات هذا التوتر تبعاً لموازين القوى أو للظروف الدولية المحيطة، لكن الذي لا خلاف عليه أن النار لا تزال تحت الرماد، ويمكن أن تشتعل في أي لحظة، كما تؤكد ذلك الحالة الراهنة في البلاد، وهو وضع لا تنفرد به نيجيريا، وإنما نجده في عدد كبير من البلدان الإسلامية التي فيها أقليات نصرانية مدللة تطمح في أن تُحدث انقلاباً في التركيبة السكانية أو عبر السيطرة على مقدرات الدولة سياسياً واقتصادياً، وعلى الآليات الأساسية التي يمكن من خلالها التحكم في سير وتنظيم المجتمعات.

التحديات السياسية

وإذا كانت جمهورية نيجيريا الفيدرالية تحتل المرتبة الأولى على مستوى الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء من الناحيتين السكانية والاقتصادية؛ حيث تنتج ما يقدر بحوالي ٢,٥ مليون برميل من النفط يومياً؛ ما يوازي حوالي ٢,٦٢٪ من الإنتاج العالمي، كما أنها أول دولة أفريقية من حيث عدد السكان والسابعة عالمياً، إلا أن وزنها السياسي لا يوازي حجمها في المجالين المذكورين؛ ما جعل قيادتها للدول الأفريقية جنوب الصحراء بل ولدول منطقة غربي أفريقيا المنضوية تحت لواء المجموعة الاقتصادية لدول غربي أفريقيا المعروفة اختصاراً بـ «إيكواس» غير خالص لها، فضلاً عن أن ثمة دولاً تنافسها على المستوى القاري، وعلى رأسها جمهورية جنوب أفريقيا؛ ما جعل النزاع على الوزن السياسي والنفوذ محتدماً بين الجانبين.

وباستقرار الحالة في نيجيريا وما يمكن أن يكون عليه وضعها السياسي، يمكن استنتاج جملة من العوامل نستطيع بها تفسير هذا الوضع المتذبذب وغير المريح الذي تجد نيجيريا نفسها فيه، ويمكن اعتبار تلك العوامل التحديات السياسية الأبرز التي على نيجيريا التغلب عليها لتحتل مكانها اللائق على المستوين القاري والدولي.

أولاً: الفشل في إقامة دولة مؤسسات جادة وممكنة تكون قادرة على القيام بوظائف الدولة في الداخل، من تحقيق الأمن والاستقرار، وتثبيت أركان السلم الاجتماعي، وتوفير الحد الأدنى من الحياة الكريمة لمختلف طبقات الشعب، ثم تحظى بسبب ذلك بوافر الاحترام على المستوى القارة منذ الاستقلال الخارجي؛ ما يجعلها تؤدي دورها وتشارك في القرار العالمي بما يناسب وزنها السياسي وثقلها الاقتصادي الهائل.

ثانياً: الفساد الشامل الذي ظل ينخر في النظام السياسي لنيجيريا من اللحظات الأولى من نشأتها، بحيث تصنف هذه الدولة الكبيرة في أدنى السلم من حيث الحكم الرشيد، ويشهد لها تاريخها السياسي المتقلب الذي تتبعه الذي تلطخه سلسلة من الانقلابات الدموية التي بلغ عددها حتى الآن ٨ من بين أكثر من ٨٠ حركة انقلابية شهدتها القارة منذ استقلالها، وكان من حصادها المر مقتل ٤ من الرؤساء؛ ما جعل الناس ينظرون إلى انتخاب «محمد بخاري»، الرئيس الحالي، بصورة ديمقراطية لم تشهبها شائبة فرصة ثمينة في مرحلة من الحياة السياسية القائمة على دعامة الديمقراطية والتبادل السلمي للسلطة، ويكون الصندوق الانتخابي والقانون الدستوري حَكَماً في تحديد مصير القيادات السياسية اختياراً وعزلاً.

ثالثاً: فشل النظام السياسي؛ بشقيه العسكري والمدني، في إنتاج نموذج مجتمع يقوم على التوافق الاجتماعي من خلال عقد اجتماعي يرتكز على دعامة الشراكة والمصلحة الوطنية الجامعة، حتى ولو على الحد الأدنى من الالتفاف، بدلاً من هذا فإن المجتمع النيجيري لا يزال يعيش حالة يمكننا أن نطلق عليها الجزر

حرب «بيافرا» الانفصالية كادت أن تحول نيجيريا لكيانين متعاديين أحدهما بالجنوب يشكل معقلاً للوجود المسيحي وآخر مسلم يضم المناطق الشمالية

الفشل في إقامة دولة مؤسسات جادة والفساد الشامل وإخفاق النظام السياسي في إنتاج مجتمع يقوم على التوافق كلها تحديات تحول دون تبوُّؤ نيجيريا مكانها اللائق إقليمياً ودولياً

العائمة التي تتسم علائقها بالهشاشة المفرطة، بحيث يمكن لكل هزة أن تُحدث بلبلة واسعة، كما هي الحال اليوم مع ظاهرة «بوكو حرام»، كما سنرى لاحقاً.

الملف الاقتصادي

إذا نظرنا إلى نيجيريا من خلال أراضيها الشاسعة والصالحة للزراعية، وإمكاناتها البشرية الهائلة، فإن المنطق يقتضي أن تكون اليوم ضمن الدول التي يعيش شعبها حداً مقبولاً من الرفاهية، لكن الواقع المر هو أن وضع نيجيريا الحالي على عكس ذلك تماماً، والأنكى أن هذه الدولة الغنية بمصادرها تعيش حالة شديدة من التخلف الاجتماعي والاقتصادي؛ ما جعل بعض الدول التي لا تمتلك إلا جزءاً ضئيلاً من إمكاناتها المادية الضخمة، مثل جمهورية جنوب أفريقيا وإثيوبيا ورواندا تعيش حالة أفضل منها بكثير.

ومن باب عرض المؤشرات الدالة على التدهور الاقتصادي الذي يعاني منه المواطن النيجيري العادي، ننظر في هذه المعطيات:

تتراوح نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر من الشعب النيجيري ما بين ٥٠ - ٦٠٪، ولا يبلغ دخلهم اليومي دولاراً أمريكياً، وتقول الدراسات: إن المؤشر في ارتفاع مستمر، أما تعداد الأميين فيصل إلى رقم مخيف؛ حيث يبلغ عدد الأميين البالغين من الشعب النيجري في عام ٢٠٠٦م حوالي ٥٥٪، هذا بالإضافة إلى مؤشر آخر يتمثل في الوضع الصحي للشعب النيجيري الذي لا يزال يعاني من انتشار أوبئة مميتة أو محدثة للعاهات الدائمة، بينما نجحت دول أفريقية أقل شأناً من الناحية الاقتصادية من نيجيريا بكثير في القضاء عليها بصورة نهائية مثل السنغال ومالي وبوركينافاسو[٥].

أما أبرز أوجه القصور في المجال الاقتصادي في نيجيريا، فنجده في السياسة التي تتبعها في إدارة مواردها الاقتصادية عموماً، والنفطية على وجه الخصوص، إن الإنسان الذي يزور هذه الدولة التي تعتبر محورية في السياسة النفطية العالمية (العاشرة عالمياً، والخامسة على مستوى الإنتاج بـ «أوبك»، والسادسة عالمياً من حيث التصدير)، يفاجأ بطوابير السيارات أمام محطات بيع الوقود، مقابل انتشار ظاهرة بيع الوقود في السوق السوداء في كل شوارع المدن الكبيرة والصغيرة، والأنكى من هذا حالة التراجع التي تشهدها البلاد؛ حيث كانت تمتلك أكثر من مصفاة لتكرير النفط، لكنها اليوم معطلة كلها؛ ما جعل هذا العملاق النفطي يستورد من الخارج كل ما يستهلكه من وقود؛ مع ما يصاحب ذلك من أزمات نفطية متكررة، وحوادث رهيبة تحصد الأرواح وتخرب الممتلكات كما وقع منذ عامين في منطقة الدلتا.

ما بين ٥٠ - ٦٠٪ من الشعب النيجيري يعيشون تحت خط الفقر

الشركات الأجنبية صاحبة القرار وتتحكم في سياسة نيجيريا النفطية

ومن مظاهر الفساد الساري في الحياة الاقتصادية النيجيرية بعد مجال النفط الذي تتحكم فيه الشركات الأجنبية التي تمتلك القرار وتتحكم في سياسة نيجيريا النفطية، إذا كانت ثمة سياسة على الإطلاق، انتشار بل طغيان ظاهرة الفساد الاقتصادي بكل ما يعنيه من رشوة تعم جميع مرافق الدولة، وتتغلغل في صفوف المجتمع، واختلاس المال العام؛ بحيث يقدر ما تخسره الدولة بسبب هذا الفساد المستشري بما لا يقل عن ٧ مليارات دولار أمريكي تم تهريبها إلى الخارج؛ ومن أهم أسباب هذا الفساد التي تكبد نيجيريا خسارة فادحة الجيش النيجيري الذي يشبه في تحكمه على مفاصل الدولة الجيش المصري، والمجال الآخر هو المجال النفطي الذي سبقت الإشارة إليه.

شبح الإرهاب

تعيش جمهورية نيجيريا اليوم أشد حالات العنف التي لم تشهد لها مثيلاً منذ انتهاء الحرب الأهلية التي كادت تحطم الوحدة الوطنية، وتبعثر أطراف الدولة الفيدرالية، وذلك منذ ظهرت إلى مسرح الأحداث جماعة «أهل السُّنة للدعوة والجهاد» التي تحولت إلى «بوكو حرام» التي حملت منذ أيام فقط اسم «الدولة الإسلامية في المغرب الإسلامي» أسوة بالدولة الإسلامية المشرقية، وصاحب هذا التحول الدرامي إعلان «أبي بكر شيكوى»، أمير دولة المغرب، مبايعته لـ «أبي بكر البغدادي»، أمير دولة المشرق «داعش».

ومنذ ظهور الجماعة على يد مؤسسها «محمد يوسف» إلى آخر حلقة في تطورها، فإن الثابت الوحيد هو اشتداد النهج العنيف إلى حد الوحشية التي تتبعها الجماعة مع اطراد نموها واتساع دائرة نشاطها لتخرج من حدود نيجيريا التي ظهرت في المرحلة الأخيرة من حكم الرئيس «جوناثان» وكأنها على وشك رفع الراية البيضاء؛ بسبب عجزها عن كف الضربات الموجعة التي تكيلها لها الجماعة والقدرة على الرد بمثلها أو بأقوى منها.

بهذا استطاعت الجماعة التي بدأت مثيرة للسخرية «أقلمة» أو تدويل المعركة التي فرضتها، وتجاوزت ذلك إلى إزعاج دول الجوار اللصيق بنيجيريا وتردد بعضها قبل الإقدام على المجاهرة بمجابهة الجماعة، كما هي الحال لكل من الكاميرون والنيجر اللتين تلقتا ضربات موجعة من قبل محاربي الجماعة، وخلق لهذه الأنظمة السياسية حرجاً شديداً؛ ما جعلها تعول على إنشاء تحالف فضفاض يضم قوات

متعددة الجنسية من الدول الأفريقية.

رغم هذا الحشد الذي لا يزال في دائرة الأمنيات؛ فإن المعطيات المتوافرة لا تدل على أن هذه الظاهرة الإرهابية لا يتوقع دحرها في الإدارات الفاسدة، إلى جانب تطهير الحياة السياسية والاقتصادية، مع ما عرف عن الرجل من صرامة ونظافة اليد، قد يكون لكل هذا تأثير يمكن أن يُحدث تحولاً في مسار المعركة.

لكن الحقيقة المريرة تبقى أنه حتى في حال كسر شوكة الإرهاب وتقليم أظافر الإرهابيين بالمنطقة، فإننا مقبلون على عقود من الهزات بفعل جملة من العوامل؛ منها أن الإفرازات التي خلفتها الظاهرة تحتاج إلى وقت طويل لتنمحي، إلى جانب وجود هذه القنوات المفتوحة بعضها على بعض عبر العالم، وفوق هذا كله ما يذاع، مع وجود معطيات داعمة، بأن هذه الظاهرة المنحصرة في العالم الإسلامي ليست بريئة، وإنما تتم تغذيتها من مصادر خفية ضمن أجندات غاية في الجدية، كما يشير الوضع في شمالي أفريقيا ومنطقة الشام وبلاد الرافدين وأجزاء من الخليج ضمن ما يعتبر داخل دائرة الدول المنكوبة.

الموقع والمكانة

أشرنا إلى كون نيجيريا أهم البلدان التي تطل على بحيرة تشاد التي تبلغ مساحتها الإجمالية ١٦٣٠٠ كم٢، والغنية بالثروات المطمورة في حوضها، والتي قامت بدور كبير في نشأة حالة عمرانية إسلامية راقية اجتذبت أنظار العالم الخارجي، وولدت انصهاراً اجتماعياً، من أبرز علاماتها امتزاج قبائل حميرية وفلانية وهوساوية وغيرها في النسيج البشري المحلي.

من ناحية أخرى، تزداد أهمية نيجيريا الإستراتيجية وخاصة في إطار العلاقات العربية – الإسلامية – الأفريقية؛ بسبب وقوعها على ما يمكن أن نسميه بنقاط تماس الأبرز أهمية بين العالمين، كما تتمتع كذلك بخطين يصلانها بكل من منطقة شمالي أفريقيا والخليج العربي.

تمتلك نيجيريا عدداً من الأوراق يمكنها أن تستخدمها في إطار مشروع حضاري؛ ما يمكنها من الاستفادة من عمقيها الأفريقي والعربي – الإسلامي، وفي هذا الإطار نتذكر ما كان قد لاحظه الزعيم الإسلامي التركي الملهم «نجم الدين أربكان» (يرحمه الله) حين رأى أهمية نيجيريا وفائدة وضعها ضمن عدد من الدول الإسلامية التي تمتلك مؤهلات تمكنها من أن تكون القاطرة التي تستطيع جر قطار التنمية في العالم الإسلامي، وبقياس آخر يمكن للرئيس «بخاري» انتشال بلاده من الهوة السحيقة التي انزلقت إليها طيلة عقود؛ بأن يوظف كل الأوراق الجيدة التي يمتلكها بما في ذلك تثبيت أركان الحكم الصالح الرشيد.

وحتى تقوم نيجيريا بهذا الدور المحوري، يتعين عليها القيام بخطوات إصلاحية كبيرة في شتى المجالات؛ في التربية والتنمية والأمن والترابط الاجتماعي واستعادة هيبة الدولة؛ بما ييسر لها استعادة توازنها وإعادة بناء وحدتها الوطنية التي تمزقت إرباً، لكن لا يُعقل أن تنتظر الدول الإسلامية أو تتفرج حتى تنصلح الحال لتستقبلها، لكن عليها واجب النجدة ومد يد العون لها بما يخفف عنها حمل الضغط الشرير الواقع عليها.

ويبدو لي أن الخطوة الأولى يمكن أن تكون إسناداً قوياً من النواحي الإعلامية، والسياسية، والاقتصادية للتيار الجديد من القيادات الإسلامية التي وصلت إلى مركز القرار خلال الاستحقاقات السياسية الأخيرة؛ وبذلك تتم تقوية موقفها، وتحسين فرص نفاذ ما تحمله من خيارات ستصب في نهاية المطاف في الرؤية الجديدة الرامية إلى احتواء مثيري الشغب باسم الله.■

الهوامش

(١) يراجع أحمد محمد كاني في الجهاد الإسلامي بغرب أفريقيا.

(٢) تعتبر دولة الأئمة التي قامت في بلاد «فوتَ تورُ» في حوض نهر السنغال خلال عامي ١٧٧٦ – ١٩٩١م من أهم الروافد التي أمدت حركة الشيخ «عثمان بن فودى» فكرياً وجهادياً، باعتبار الأصداء التي كانت تصلهم من المنطقة وبفعل أن جده ينحدر من هناك.

(٣) حيث ضمت بالإضافة إلى معظم نيجيريا الحالية أجزاء كبيرة من تشاد، كما وصلت حدودها إلى جمهورية مالي الحالية غرباً؛ ما جعل الشيخ «أحمد لُبُّ باه»، أمير دولة ماسينا المسلمة، يبايع الشيخ «عثمان» ويلحق إمارته بالدولة.

(٤) وقعت أحداث الانقلاب الدامي فجر يوم ٢٥ يناير ١٩٦٦م.

(٥) تعتبر نسبة الأمية أعلى في صفوف المسلمين من غيرهم عموماً، وبالمقارنة مع المسيحيين خصوصاً، لكن هذا الانقلاب في الأوضاع بعد أن كان المسلمون يشكلون الطبقة المتعلمة وأعرض قاعدة من المثقفين؛ نتيجة السياسة التربوية التعليمية التي مورست ضدهم تحت نير الاحتلال وبعد جلاء المحتل كذلك؛ ما جعل المسلمين يهتمون بإنشاء تعليم موازٍ.

نيجيريا

نظام الحكم:
جمهوري فيدرالي على غرار الولايات المتحدة الأمريكية.

العاصمة الفيدرالية:
أبوجا.

دخول الإسلام:
دخل الإسلام نيجيريا في القرن الثالث عشر الميلادي.

الرئيس الحالي:
محمد بخاري (فاز في انتخابات 2015م).

الانقلابات:
شهدت نيجيريا 8 انقلابات دموية منذ استقلالها عن الاحتلال البريطاني عام 1960م.

المساحة:
923768 كم2.

الولايات:
37 ولاية، بالإضافة إلى العاصمة الاتحادية، وكل ولاية لها مجلس تشريعي وحاكم منتخب.

الاستعمار الأجنبي:
كانت البرتغال أول دولة أجنبية تحتل نيجيريا ثم بريطانيا عام 1885م.

نيجيريا

السكان:

يقدر عدد سكان نيجيريا بحوالي 180 مليون نسمة موزعين على 300 مجموعة عرقية.

التعليم:

55٪ من الشعب أميون.

الديانة:

يمثل المسلمون 50,4٪ من الشعب، والمسيحيون 48,2٪ (27٪ كاثوليك، و31,5٪ بروتستانت، و40,7٪ ينتمون لطوائف مسيحية أخرى)، والديانات الأخرى 1,4٪.

الحركات المتطرفة:

تعد «بوكو حرام» من أهم التنظيمات الإرهابية المتطرفة في نيجيريا ودول الجوار النيجيري، وبايعت تنظيم «داعش» أخيراً.

الاقتصاد:

يعد النفط من أهم الموارد الاقتصادية، ويبلغ إنتاج نيجيريا اليومي من النفط 2.5 مليون برميل، وانضمت لمجموعة الدول المصدرة للنفط عام 1970م.

العملة:

النيرة النيجيرية.

الناتج المحلي الإجمالي

(وفقاً لإحصاء عام 2010م):
341.572 مليار دولار.

دخل الفرد:

ما بين 50 - 60٪ من الشعب يقل دخلهم اليومي عن دولار واحد.

الحملات الإلكترونية..

هل تكون بديلاً لمراقبة الأسعار؟

يبدو أن الشعوب العربية عازمة على مواجهة غلاء الأسعار بعد تقاعس بعض الحكومات عن القيام بدورها في مواجهة الغلاء المصطنع، فمن حملة المقاطعة التي أطلقها الكويتيون تحت عنوان «# خلوها_تخيس» لمواجهة ارتفاع أسعار الأسماك بالسوق، مروراً بالحملة التي دشنها السعوديون والتي جاءت تحت عنوان «# حملة_مقاطعة_الأسماك_خلوها_تعفن»، إلى حملة «# بلاها_لحمة» والتي أطلقها المصريون وسار على دربهم الكويتيون بعد ذلك.

مواقع التواصل الاجتماعي تتحدى غلاء الأسعار بالمقاطعة

«#خلوها_تخيس».. حملة كويتية لمواجهة غلاء أسعار الأسماك

«#بلاها_لحمة».. حملة مصرية لمواجهة غلاء أسعار اللحوم

رغم استمرار حملات المقاطعة والتي دشنتها الشعوب، لا تزال الأجهزة الحكومية المعنية ملتزمة الصمت إلا من تصريحات بسيطة هنا وهناك، دون اتخاذ أي إجراء لمصلحة المواطن والمقيم المتضرر من ارتفاع الأسعار، ودون اكتراث لبحث الأسباب التي دعت أصحاب البسطات إلى رفع الأسعار بهذه الصورة المبالغ فيها، وهو ما يعكس حالة التخبط التي تعيشها الأجهزة الحكومية في التعامل مع مثل تلك الحالات، رغم ما لديها من أجهزة وقوانين تساعدها على القيام بدورها.

ففي الكويت أطلق مغردون حملة لمقاطعة شراء الأسماك من الأسواق بعد ارتفاع أسعارها بشكل ملحوظ، وتناقل مواطنون عبر هشتاج «#خلوها_تخيس» تغريدات تدعو إلى العزوف عن شراء الأسماك بالأسواق، وتركها تتعفن بعد الزيادة غير المبررة في أسعارها.

وبلغة خبراء السوق، وبنسب مفزعة تتجاوز الـ٩٠٠٪ وصلت إليها أسعار بعض أصناف الخضار تقارع فيها السمك والدجاج والخرفان، شهدت السوق المحلية تضخماً غير مسبوق في أسعار الخضار المحلي والمستورد، يبرر المنطق اشتعال أسعارها بحرارة الصيف وانقطاع الموسم، لكن جيوب المستهلك هي التي تحترق بلظاها الذي لا يرحم.

وكان نواب قد تفاعلوا مع حملة المقاطعة التي انطلقت، حيث صرح النائب عبدالله المعيوف قائلاً: من المخجل أن تتخلى الحكومة عن واجبها في مراقبة الأسعار، بينما يقوم المواطن بمقاطعة شراء الأسماك للحد من الغلاء الفاحش وجشع البائع.

وقال النائب السابق محمد الدلال: حملة «خلوها تخيس» لمقاطعة الأسعار الفاحشة لبياعي السمك حملة في مكانها الصحيح، في ظل فشل الأجهزة الحكومية في حماية المستهلك من جشع بعض التجار، وأضاف الدلال: لم يتمادَ بعض التجار في رفعهم الأسعار لولا الضعف الحكومي في الرقابة وتطبيق القانون على المتجاوزين، وشكراً لكل من أطلق حملة «خلوها تخيس»، وختم الدلال: حملة «خلوها تخيس» مثال للعمل الشعبي العفوي الناجح لمن يريد

استغلال الناس، وعلينا أن نكررها في ممارسات أخرى نُري فيه ضعف الحكومة وتجاوز البعض.

وقال عضو مجلس الأمة المبطل الأول أسامة الشاهين: «خلوها تخيس» جرس إنذار من المواطنين للحكومة ولأنفسهم أيضاً، بضرورة مواجهة غلاء المعيشة المتزايد دون ضابط أو رادع.

ومن ناحيته، قال النائب المستقيل رياض العدساني: بين فترة وأخرى يخرج عضو ويقول: قدرنا أن نكون في الصف الأول في هذه المرحلة الحرجة، إذا قضية رفع سعر الزبيدي تركت للشعب يحلها.

فيما أكد الاتحاد الكويتي لصيادي السمك في بيان له؛ أن سوق السمك في شرق شهدت - أخيراً - إقبالاً كبيراً من المستهلكين المواطنين والمقيمين الذين حضروا لشراء الربيان والأسماك المحلية، وتابع الاتحاد: إن حملة «خلوها تخيس» فشلت بكل المقاييس بعد الإقبال الكبير الذي شهدته أسواق السمك، واستغرب الاتحاد من عدم ذكر الحملة للأسماك والربيان المستورد في المباركية، وركزت على سوق شرق والأسماك والربيان المحلي فقط.

ولم يتوقف صدى حملة «خلوها تخيس» التي بدأت شرارتها من الشبكات الاجتماعية على الأسماك فقط، وإنما امتد للحوم أيضاً، فقد تداعى موطنون ومقيمون لتنظيم حملة جديدة لمقاطعة اللحوم الحية والمذبوحة بعد الارتفاع المطرد في أسعارها، خصوصاً في ظل مقاطعة الأسماك واقتراب عيد الأضحى المبارك.

وصرح عجمي فلاح المتلقم، رئيس نقابة العاملين بوزارة التجارة والصناعة، بأن غلاء الأسعار وارتفاعها المتزايد وغير المبرر أصبح عبئاً لا يمكن تحمله على كاهل المواطن في ظل غياب القوانين الرادعة لبعض التجار الذين يتاجرون بقوت المواطنين؛ الأمر الذي لا يمكن السكوت عليه، فقد نادينا مراراً وتكراراً بالرقابة الجدية على السوق من أجل عدم استغلال بعض التجار للسوق والتلاعب بالأسعار.

وأكد المتلقم بأن غلاء العديد من أسعار السلع بصورة مبالغ فيها أمر غير منطقي، ولا نقبل به، ونؤيد وندعم تلك الحملات التي تدعو إلى مقاطعة تلك السلع من أجل الحفاظ على ثبات أسعارها وعدم ارتفاعها بصورة غير منطقية ولا طبيعية، وعلى سبيل المثال الحملة التي تم انطلاقها لمقاطعة الأسماك؛ فإننا كنقابة نساند تلك الحملة، حيث إن أسعار السمك تعدت سعر جرام الذهب بالسوق، فسعر جرام الذهب لا يتعدى ١٠ دنانير، في حين وصل كيلو الزبيدي ١٥ ديناراً فهل هذا يعقل؟!

وأوضح المتلقم بأن دور وزارة التجارة محدود في أنها جهة رقابية تجاه بعض السلع الحرة، ومنها تجارة الأسماك، وأنه لا توجد مبررات لتلك الزيادة؛ وبالتالي فإن الدور الآن على المستهلك بأن يدعم هذه الحملة والحملات المشابهة، وذلك من أجل خفض الأسعار بما يتناسب مع مستوى المعيشة في ظل هذه الظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد.

وقال المتلقم: إن وزارة التجارة والصناعة لا تتحمل المسؤولية وحدها عن ارتفاع الأسعار، وإنما نحمل السلطة التشريعية الجانب الأكبر والأساسي من المسؤولية، وذلك لعدم إقرار القوانين الرادعة التي تعمل من خلالها وزارة التجارة على محاربة الأسعار في بعض السلع الاستهلاكية الحرة، ومنها على سبيل المثال الأسماك والمواشي وغيرها من السلع.

وتابع المتلقم: إن مفتشي وزارة التجارة والصناعة لا يألون جهداً في طبيعة عملهم من خلال الدور الرقابي على الغش، ولكن هناك بعض الغلاء في السلع ليس من صلاحيات مفتشي وزارة التجارة والصناعة، فلابد من وجود تشريع يعطي لهم من الصلاحيات التي تساعد في محاربة غلاء الأسعار على كافة السلع، وهذا ما قصدناه بأن السلطة التشريعية تتحمل الجزء الأكبر في غلاء الأسعار وارتفاعها.

واختتم المتلقم تصريحه بأننا في نقابة التجارة والصناعة ندعم دائما وأبداً كل ما هو في صالح المستهلك وما يعود عليه بالنفع، ولا يؤثر على مستوى معيشته بما يتوافق مع القوانين، وهذا ما طالبنا به مراراً وتكراراً بأن تراعي القوانين المستوى المعيشي لكافة طبقات الشعب الكويتي ومحاربة الغلاء وارتفاع الأسعار.

ومن الكويت إلى السعودية، حيث أطلق المغردون هاشتاج «#حملة_مقاطعة_الأسماك_خلوها_تعفن»، وسرعان ما تجاوبت معها قطاعات واسعة من المواطنين والمقيمين، وانتقلت إلى الغالبية العظمى من السكان عبر الرسائل المجانية لتطبيقات الهواتف الذكية؛ مثل «واتس آب» و «فايبر»، وذلك بعد أن وصلت أسعار الأسماك إلى مستويات خيالية.

ومن السعودية إلى مصر، حيث دشن العديد من النشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي حملات لمناشدة المواطنين مقاطعة شراء اللحوم، احتجاجاً على ارتفاع سعرها إلى ٩٠ جنيهاً للكيلو؛ أي حوالي ١٢ دولاراً، ومواجهة ما وصفوه بـ «جشع الجزارين».

وقد حظيت الحملة التي بدأ تطبيقها من صعيد مصر قبل أن تمتد إلى باقي المحافظات، بدعم من جانب العديد من الشخصيات العامة.

من جانبه، قال رفاعي البرديسي، أحد مؤسسي حملة «بلاها لحمة» في سوهاج: إن فكرة مقاطعة شراء اللحوم جاءت بعد ارتفاع سعرها من ٦٥ - ٨٥ و٩٠ جنيهاً، وهو أمر غير مألوف بمحافظات الصعيد، والتي عادة ما يكون سعر اللحوم منخفضاً بها عن المحافظات الأخرى، لتربية المواشي بحكم الطبيعة الريفية.

وأضاف أن الحملة مستمرة حتى ١٥ سبتمبر القادم، حتى تخفيض أسعار اللحوم لما كانت عليه، لافتاً إلى أنها تستهدف اللحوم البلدية وليست المستوردة، أو ما يطلق عليها بـ «اللحوم المبردة»، وأشار إلى استجابة العديد من المحافظات الأخرى لحملات المقاطعة، مثل أسيوط وبعض محافظات الدلتا والوجه البحري، موضحاً أن أغلب من استجابوا لها كانوا من محدودي الدخل.

الحملات التي أطلقها المغردون في الدول المختلفة أعادت الحياة إلى أفكار جديدة للحملات الإلكترونية على مواقع التواصل الاجتماعي، ونجاحها اليوم قد يساعد في إطلاق حملات شعبوية في مجالات أخرى، وهو حق دستوري لا يُنازَع عليه المواطنون، وما نلاحظه كذلك أن التحرك الشعبي كان سابقاً بخطوات للتحرك النيابي والحكومي أيضاً.■

الليلة تشبه البارحة (٢ - ٢)

نخبة تكنوقراط علمانية تدعم دكتاتورية عسكرية

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

لم يكن انقلاب يوليو ٢٠١٣م العسكري الدموي الفاشي في بلادنا بعد أول تجربة ديمقراطية حقيقية إلا نسخة متطابقة شديدة الضراوة والدموية من انقلاب يوليو ١٩٥٢م الذي أسس لجمهورية الخوف ودولة الرعب.

بعد توقيع قرارات الديمقراطية إبان عهد «عبدالناصر» بدأ الانتقام كما يحدث في أيامنا بصورة أشد قسوة

عدم مقاومة الأحزاب والقوى السياسية شجع العسكر على الاستمرار في غيّهم والتلاعب بمصير الشعب

كافة القوى السياسية - باستثناء الإخوان المسلمين - استسلمت استسلاماً مثيراً للدهشة ما شجع ضباط انقلاب يوليو ١٩٥٢م على المضي قدماً في طريقهم

وهنا في هذا العدد يواصل خالد محيي الدين تعليقه على الخديعة الناصرية لحرمان الشعب من الحرية والديمقراطية: «وأعتقد أن هيئة التحرير وأجهزة الدولة كانت وراء هذه الحشود» (ص ٣١٢)، «ولابد من الإشارة هنا إلى أن مصطفى وعلي أمين وغيرهما من كبار الكتّاب في «الأهرام» و«الأخبار» كانوا يؤيدون مواقف عبدالناصر، وكانوا يروجون لفكرة «إما.. وإما»، ومن ثمة فقد كانوا رافداً مهماً من روافد التفكير المعادي للديمقراطية» (ص٣١٣)، هل هناك فرق بين ما يفعله كتاب الصحف القومية وغير القومية الآن وما كان يفعله مصطفى وعلي أمين وغيرهما؟!«وسارت مظاهرات تهتف: «تسقط الديمقراطية، وتسقط الأحزاب» (ص٣١٤)، «ووقّع الجميع على قرارات إلغاء الديمقراطية والرجوع عنها إلا أنا» (ص٣١٥).

وبعد أن نضجت الثمرة، بدأ الانتقام كما يحدث في أيامنا بصورة أشد قسوة: «فما أن استقرت الأحوال حتى تمت تصفية الحسابات مع كل من حاول الوقوف في وجه محاولة الارتداد عن القرارات الديمقراطية؛ الصحفيون جرى فصل العديد منهم، الطلاب اعتُقل منهم الكثيرون، أساتذة الجامعات شرد العديد منهم، أما ضباط الفرسان فكان لهم النصيب الأكبر من الاضطهاد» (ص ٣١٦ - ٣١٧).

ما أشبه الليلة بالبارحة، بل ما أشد تطابقهما مع الفارق في الوحشية الجديدة وقسوتها!

ويذهب خالد محيي الدين في الصراحة إلى أبعد من ذلك حين يكشف خبيئة البكباشي: «وكثيراً ما كنت أناقش جمال عبدالناصر عن الديمقراطية وعن ضرورة إشراك الجماهير، فكان يرد عليَّ باسماً: ألا ترى أن الجماهير تؤيدنا؟!» (ص ٢٠٨)؛ أي: إن التأييد المدفوع مسموح به، أما المعارضة فغير مسموح لها.

ويذكرنا خالد بأن عدم مقاومة الأحزاب والقوى السياسية كانت من وراء تشجيع العسكر على الاستمرار في غيّهم والتلاعب بمصير الشعب وحرمانه من حقه في التعبير عن إرادته:

«يضاف إلى ذلك أيضاً (يقصد عدم مقاومة الدكتاتورية العسكرية) أن الأحزاب السياسية لم تقاوم ولو بأقل قدر ما وجه إليها من صفعات، بل استسلمت استسلاماً مثيراً للدهشة وخيبت الآمال فيها، بما شجع الزملاء في مجلس القيادة (يقصد ضباط الانقلاب) على المضي قدماً في طريقهم (يقصد الحكم العسكري) فباستثناء الإخوان

المسلمين والشيوعيين لم يتحرك أحد.

والمثير للدهشة أن أكثر من حذرنا من دعوة البرلمان الوفدي أو إجراء انتخابات جديدة كان د. عبدالرازق السنهوري باشا رئيس مجلس الدولة، وسليمان حافظ وكيل مجلس الدولة، كما كان علي ماهر، رئيس الوزراء، ضد دعوة البرلمان وضد إجراء انتخابات جديدة.

وأجهد الفقهاء الدستوريون أنفسهم لإيجاد مخرج، لم أكن راضياً عنه، فقد كنت راغباً في دعوة البرلمان للاجتماع» (ص ١٧٧).

ودهش الضابط الشاب (خالد محيي الدين) إذ وجد أن أساطين القانون الدستوري، الذين طالما تحدثوا عن الدستور والبرلمان؛ كانوا يستحثون الضباط ويحرضونهم على تأجيل الانتخابات ورفض اجتماع مجلس النواب، ومن ثم تأجيل قضية الديمقراطية.

«وللتاريخ أسجل أن د. عبدالرازق السنهوري، وسليمان حافظ، وعلي ماهر كانوا جميعاً يحرضون الضباط على تجاهل البرلمان والدستور، وطبعاً كانت هناك الكثرة الغالبة من الضباط الذين يستجيبون لذلك ويتقبلونه بحماس، بحكم أنهم يستشعرون مصلحتهم في الاستمرار في حكم البلاد بأنفسهم» (ص ١٨٠).

«أما المثير للدهشة فهو أن السنهوري باشا اتخذ من قانون الإصلاح الزراعي ذريعة لضرب أي توجه ديمقراطي.. فقد قال: إذا كنتم تريدون كسب الشعب من خلال قانون الإصلاح الزراعي، فإن آثار هذا القانون لن تظهر قبل خمس أو ست سنوات، فكيف تسارعون بإجراء الانتخابات في فبراير؟ وبدأ يستحثنا على ضرورة تأجيل الانتخابات لفترة تكفي لضمان اكتساب جماهيرية حقيقية.

ترزية القوانين

ومرة أخرى أصدم.. فها هو كبير الفقهاء الدستوريين يستخدم قانون الإصلاح الزراعي ذريعة لضرب التوجه الديمقراطي، وطبعاً كان يجد آذاناً صاغية، ونفوساً تتقبل ما يقول

د. عبدالرازق السنهوري وسليمان حافظ وعلي ماهر كانوا جميعاً يحرضون الضباط على تجاهل البرلمان والدستور

السنهوري باشا اتخذ من قانون الإصلاح الزراعي ذريعة لضرب أي توجه ديمقراطي وسجل التاريخ التخلص منه جزاء خدمته للدكتاتورية العسكرية

عبدالرحمن صادق المستشار الصحفي في سفارة مصر بباريس كلفه «عبدالناصر» بعمل علاقة مع السفارة «الإسرائيلية»

بصدر رحب وترحيب شديد» (ص ١٨١ – ١٨٢).

وسجل التاريخ بعدئذ أنه تم ضرب السنهوري في مجلس الدولة، جزاء خدمته للدكتاتورية العسكرية التي قادها البكباشي «جمال عبدالناصر»! ويسجل التاريخ الآن أن كثيراً من جهابذة القانون يصوغون القوانين التي تقهر الشعب وتذله وتحطم روحه، وما قانون التظاهر اللعين ببعيد!

ويواصل خالد محيي الدين سرد الدور النفاقي الإجرامي لبعض أهل القانون على أيامه في التآمر على الشعب لحساب البكباشي الطاغية الصاعد فيقول: «وبدأ أساطين القانون الدستوري يدبجون للثورة نصوصاً تمكنها من التلاعب بالحياة الحزبية، ويرسمون لها خطوات ماكرة أربكت الأحزاب التي كانت مرتبكة بذاتها وضعيفة وعاجزة عن ممارسة أي فعل يمتلك صفة الاعتراض والمقاومة» (ص٢٠٨ – ٢٠٩).

«والحقيقة أن عبدالناصر كان يضمر في هذا الوقت الدخول في تصادم مع الأحزاب السياسية، فأراد أن يكسب الإخوان إلى صفه في هذه المعركة، ولكنه في نفس الوقت لم يسمح بإعطائهم أي نفوذ داخل الثورة، بل ومارس داخلهم لعبة استقطاب البعض إلى صفه، فأحدث انقساماً خطيراً في صفوفهم، وشجعه ذلك على المضي قدماً في طريق تصادمه مع القوى الحزبية عامة» (ص ١٩٧).

«ارتفعت أصوات تقول: هذا الشعب الجاهل لا يصلح للديمقراطية، وأصوات تقول: هذا الشعب الذي كان يبيع أصواته في الانتخابات تريدون أن تعطوه الفرصة ليبيع أصواته من جديد؟» (ص ٢٦٨).

«وساد وسط الفرسان بأن هناك اتجاهاً دكتاتورياً يحاول إجهاض أي محاولة لعودة الديمقراطية، وأن هذا الاتجاه يريد أن يحرف المسألة إلى مسألة شخصية: بقاء نجيب أو إبعاده، وأن المسألة يجب أن تحدد.. ديمقراطية أم دكتاتورية» (ص ٢٦٩).

«ثم يتكلم عبدالناصر ليحدد موقفه: فترة الانتقال ضرورية، ولا بد منها، فشعبنا لا يستطيع تقدير مصلحته الحقيقية بسرعة، وربما لا تكفي ثلاث سنوات، وشعبنا لا يمكنه تحمل مسؤولية الحرية، وقد سبق للإقطاعيين أن اشتروا أصوات الناخبين، وقال: الشعب الذي لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية الحرية،

لا يمكنه أن يستمتع بالحرية» (ص ٢٧٣).

بعد حل الأحزاب وشن حملات اعتقال لقياداتها وإعلان فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات، وقيام هيئة التحرير، والدستور المؤقت ونقل سلطة السيادة في الدولة إلى ضباط مجلس قيادة الثورة (الانقلاب) ورئيسه (البكباشي) بفضل ألاعيب القانونيين، وتشكيل المؤتمر المشترك من مجلس قيادة الثورة والوزراء، علق خالد محيي الدين على ذلك قائلاً: «إنه الحكم العسكري المباشر، وأحسست أن كل أحلامي عن حكم نيابي وديمقراطي تتلاشى» (ص ٢١٢)، ويضيف: «والحقيقة أن الموج المعادي للديمقراطية كان عالياً» (ص ٢١٣).

ودفع خالد محيي الدين ثمن موقفه من تأييد الديمقراطية ثمناً يعد بسيطاً بالنسبة لغيره، فقد تم نفيه إلى سويسرا براتب معقول، أما رفاقه في سلاح الفرسان فقد أطيح بهم وفصلوا من السلاح، ليستوي البكباشي على عرش مصر دون منازع!

أمريكا والانقلاب

يحاول خالد محيي الدين فيما يتعلق بعلاقة الضباط الانقلابيين بالولايات المتحدة أن ينفي أن يكون الانقلاب صناعة أمريكية، ولكنه لا ينفي أن هناك علاقة بين الطرفين، وأن السفير «كافري» كان يسميهم أولاده، وأن محمد حسنين هيكل، عرّاب الانقلابَيْن، كان واسطة بين الأمريكيين والعسكر.

يقول خالد: «أخذ الأمريكيون يتقربون من الحركة، وفي عشاء لدى عبدالمنعم عبدالرؤوف في بيته، كان هناك مجلس قيادة الثورة، وحضر كافري السفير الأمريكي والمستشار السياسي للسفارة الأمريكية، وكانت هذه الجلسة تمهيداً لعلاقة حسنة مع الأمريكيين، وكانت أغلبية المجلس تتحسس طريقها للبحث عن استقرار للحكم دون تصادم مبكر مع قوة كبرى مثل أمريكا» (ص ٩٧ – ٩٨).

ويشير إلى أن «جمال سالم بطبيعته كان معجباً بأمريكا، وقد قضى في أمريكا فترة للعلاج على نفقة الدولة بعد إصابته في حادث سقوط طائرة، وعاد من أمريكا معجباً ومبشراً بنظام الحياة فيها، وبدأ جمال سالم ينتقد الإشارة في منشوراتنا إلى الاستعمار الأنجلو – أمريكي، وطالب باستبعاد الأمريكيين والاكتفاء بمهاجمة الإنجليز، فلا فائدة لنا في مناصبة الأمريكيين العداء» (ص ١٢١).

ويضيف: «وسألت من هو علي صبري؟ وأجاب بغدادي: إنه مدير مخابرات الطيران، وهو معنا وقد أخذ بعثة في أمريكا وهو على علاقة حسنة بالأمريكيين، وأنه من خلال علاقته بالملحق الجوي في السفارة الأمريكية سمع منه تلميحات بأنه في حالة تحرك الجيش فإنهم سيطلبون من الإنجليز عدم التدخل إذا كانت الحركة غير شيوعية ولا تهدد مصالحهم، وانتهز بغدادي الفرصة ليعود إلى المطالبة بعدم مهاجمة الأمريكيين» (ص ١٢٢).

«عبدالناصر» رتب علاقة مع الأمريكيين قبل الثورة عن طريق علي صبري ومنحهم قدراً من التطمينات أن الثورة القادمة لن تقف ضدهم

خالد محيي الدين: هزيمة يونيو ١٩٦٧م لم تكن هزيمة عسكرية بل هي في الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته في اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا

ويحاول خالد أن يصف البكباشي بالبراجماتية في العلاقة مع الأمريكيين، فيقول: «الحقيقة أن جمال عبدالناصر كان قد رتب – كما قلت – قبل الثورة علاقة مع الأمريكيين، عن طريق علي صبري، ومنحهم قدراً من التطمينات من أن الثورة القادمة لن تقف ضدهم» (ص ١٨٧).

«والحقيقة أيضاً أن كافري كان يتصرف – بالحق أو بالباطل – على أساس أنه يمتلك نفوذاً في صفوف الثورة.. ولقد أدهشني أن طالعت فيما بعد في بعض الوثائق وزارتي الخارجية البريطانية والفرنسية أن كافري كان يزهو أمام السفراء الغربيين موحياً إليهم بأنه على علاقة خاصة جداً مع الثورة، بل لقد كان يتحدث عنا قائلاً: my boys (أي أولادي)، والحقيقة أنه كان مبالغاً في ذلك أشد المبالغة، فلم نكن أولاده، ولم يكن يمارس علينا نفوذاً حقيقياً، لكنه استفاد من غموض الموقف، ومن بعض العلاقات ليتظاهر بأنه يملك نفوذاً ما» (ص ١٨٨).

ويتحدث خالد محيي الدين عن لقاءاتهم مع السفير «كافري» ومستشاره السياسي «إيفانز»، وتحذيره لهم من العناصر الوطنية مثل فتحي رضوان، ونور الدين طراف؛ لأنهم يصطفون في نهاية الأمر مع الشيوعيين، ومهاجمته للوفد لأنه يخضع للضغط الشعبي، وقد اعترض «كافري» على ترشيح السنهوري باشا لرئاسة الوزراء تحت دعوى أنه شيوعي. (ص ١٨٨ وما بعدها).

ويزعم خالد أن «عبدالناصر» لم يكن

خاضعاً للأمريكيين، لكنه كان يتفاهم مع القوى المختلفة بل مع الأضداد؛ محاولاً استخلاص مصلحته هو من مثل هذا التفاهم. (ص ١٩٠)، وأن «عبدالناصر» كان حريصاً على تحييد أمريكا. (ص ١٩١)، وأنه كان هكذا دوماً ومع كل الأطراف.. حتى مع «إسرائيل»، فيقول خالد: «ففي فترة إقامتي بالمنفى وأثناء زيارتي لباريس، أبلغني الأستاذ عبدالرحمن صادق، المستشار الصحفي في سفارتنا بباريس، أنه مكلف من عبدالناصر بعمل علاقة ما بالسفارة «الإسرائيلية»، وأن هدف العلاقة هو التعرف على كل أفكار «الإسرائيليين» ورؤيتهم للثورة وموقفهم إزاءها، ويمكن القول: إن «إسرائيل» في هذه الفترة لم تكن مدرجة في الأسطر الأولى لجدول الأعداء» (ص١٩٢).

«وفيما أعتقد استمرت العلاقات والاتصالات مع السفارة الأمريكية عبر قناتين تصب كل منهما عند عبدالناصر وحده: عبدالمنعم أمين، وعلي صبري، ولعل هذه العلاقة قد استمرت زمناً ليس بالقصير» (ص ١٩٢).

ويشرح خالد بعض الأبعاد الخاصة في دور أمريكا، وخاصة بالنسبة لإنجلترا، فيقول: «ولعبت أمريكا دور الوسيط - بين مصر وإنجلترا - وكانت المفاوضات تجري عبر محورين: اتصالات مباشرة مع الإنجليز، ووساطة دالاس بين الطرفين التي كانت تنسقها بشكل مستمر سفارة أمريكا بالقاهرة، وخصص الأمريكيون دبلوماسياً من سفارتهم بالقاهرة اسمه بيل ليكلاند للاتصال المباشر والمستمر مع عبدالناصر حول هذا الموضوع، وكان ليكلاند هذا صديقاً للأستاذ محمد حسنين هيكل، ومن هنا كان هيكل مطلعاً على بعض تفاصيل المفاوضات» (ص ١٩٣).

الهزيمة والإعلام

ونختم برأي خالد محيي الدين في هزيمة عام ١٩٦٧م، وهو رأي قريب إلى السواء، ولكنه يتكلم كأن في فمه ماء، فلم يفصل كثيراً، ويكتفي بالإشارة إلى أنها هزيمة سياسية لنظام فاشل، وأن «عبدالناصر» لم يتنازل للشعب بعد هزيمته المذلة: «وفي اعتقادي أن هزيمة يونيو ١٩٦٧م لم تكن هزيمة عسكرية، بل هي في الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته في اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا، وبعد الهزيمة كانت هناك فرصة تاريخية لتحقيق الديمقراطية، لكن هذه الفرصة ضاعت؛ لأن الديمقراطية تتطلب من الحاكم أن يقدم تنازلات للشعب، ولم يكن عبدالناصر مستعد (كذا!) - حتى رغم هزيمته - أن يقدم أي تنازلات» (ص٢١٥).

> «عبدالناصر» كان يتوجه كل مساء إلى دار «الجمهورية» ليراجع بنفسه المانشيتات والعناوين الرئيسة ويدل ذلك على مدى اهتمامه بالصحافة كوسيلة لمخاطبة الرأي العام
>
> خالد محيي الدين دفع ثمن موقفه من تأييد الديمقراطية حيث نُفي إلى سويسرا وأطيح برفاقه في سلاح الفرسان ليتربع البكباشي على عرش مصر دون منازع!

كما يشير خالد إلى الاهتمام البالغ الذي كان يوليه «عبدالناصر» للأذرع الإعلامية، وكانت الصحافة في ذلك الحين أهم الأذرع وأقواها: «كان عبدالناصر يتوجه كل مساء إلى دار «الجمهورية» ليراجع بنفسه المانشيتات والعناوين الرئيسة، ولعل هذا وحده يكفي للدلالة على مدى اهتمام عبدالناصر بالصحافة كوسيلة لمخاطبة الرأي العام» (ص ٢٢٨).

ويقول: «عندما توليت مسؤولية دار «أخبار اليوم»، كان هناك موتوسيكل مخصص لإرسال أول خمس نسخ تصدر من الطبعة الأولى ليسرع بها إلى بيت عبدالناصر» (ص ٢٢٨).

كما كان عبدالناصر يتابع صحف بيروت لمعرفة اتجاهات الدول العربية، وملخصات مترجمة من الصحف العالمية، ويتصل يومياً مرات عديدة بخالد ليعرف أهم الأخبار والتوجهات، ويبدي رأيه وتوجيهاته. (ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

يتناول خالد قضية فصل السودان وعلاقته باليهودي «هنري كورييل»، مؤسس الأحزاب الشيوعية المصرية والعربية وقضايا أخرى، وكلها تصب في اتجاه الاستبداد وخيبة الوطن، وللأسف الشديد يصر بعض الناس على استعادة التاريخ في صورته الدامية الكئيبة، ولله الأمر من قبل ومن بعد!■

المصدر

اعتمدت على الطبعة الأولى لكتاب خالد محيي الدين «والآن أتكلم»، ط ١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

وقد أعادت مكتبة الأسرة التابعة لهيئة الكتاب المصرية التي يشرف عليها الشيوعيون المصريون وأشباههم نشر الكتاب مرة أخرى!

هل تغيرت العقيدة القتالية للجيش المصري؟

جمال خطاب

كانت السنوات الأولى في حكم «السادات» استثناء في تاريخ مصر والعالم العربي بوجه عام، وفي تاريخ الجيش المصري على وجه الخصوص؛ فقد اضطر «السادات» الذي لم يكن مرضياً عنه من المؤسسات الناصرية التي عرفت فيما بعد بـ«مراكز القوى»، اضطر للجوء للشعب والاحتماء بالقوى والشخصيات الوطنية، وبعد حسم معركته مع مؤسسات «عبدالناصر» (مراكز القوى)، كانت تنتظره معركة أهم وأشد وهي المعركة مع الكيان الصهيوني الذي لم يكن قد أفاق بعد من نشوة انتصاره الساحق الخاطف في عام ١٩٦٧م.

والواقع أن «السادات»، لظروف وملابسات داخلية وخارجية، اتخذ قراراً جباراً كان كفيلاً بتغيير وجه مصر والعالم، وهو بناء جيش مصري عقدي حديث قادر على توجيه ضربة قاصمة لجيش الكيان الصهيوني الذي كان في قمة غروره آنذاك للدرجة التي جعلته يعتقد أنه جيش لا يُقهر!

عقيدة جيش رمضان ١٣٩٣هـ

اضطر «السادات» لطرد الخبراء الروس من مصر لأسباب نعلم بعضها فقط؛ لأن الجيش المصري لم يفرج عن وثيقة واحدة من وثائقه منذ تأسيسه على يد خبراء فرنسيين في الربع الأول من القرن التاسع عشر، طرد «السادات» الخبراء الروس - كما يقول - انتقاماً من روسيا؛ لأنها لم تفِ بتعهداتها في تسليح الجيش المصري، ويذكر «السادات» أنه اتصل بالهند لكي يحصل منها على السلاح الروسي بطريقة غير مباشرة، لكن الهنود عادوا إلى السوفييت لاستئذانهم ولكن الروس رفضوا[1].

وعندها اضطر العسكريون المصريون الممنوعون من الاتكاء لا على روسيا ولا على أمريكا، اضطروا للاعتماد على أنفسهم وعلى شعبهم الذي طالما أهملوه واحتقروه واضطهدوه، اعتمدوا على شعبهم، رجال أشداء مؤمنين «صُبُرٌ في الحرب، صدُقٌ عند اللِّقاء»، وقيض الله لمصر المسلمة رجالاً حشدوا وخططوا ودربوا جنوداً أعادوهم إلى جذورهم الإسلامية، فاستلهموا بطولات خالد بن الوليد، القائد الذي لم يهزم، وعمرو بن العاص، الفاتح الظافر المحرر لمصر من محتليها الرومان المعيدها لأهلها، وتذكروا صلاح الدين الأيوبي، وسيف الدين قطز اللذين ردا الغزاة الطامعين من الغرب ومن الشرق.

وانتشر الدعاة في الجيش يحمسون الجنود الخارجين من هزيمة هي الأثقل في العصر الحديث، خرج منها الجيش المصري مطأطئ الرأس، وخرج منها الجيش الصهيوني منفوشاً مغروراً مدعياً أنه جيش لا يُقهر!

يقول د. عبود الزمر، وكان وقتها ضابطاً في الجيش المصري بسلاح الاستطلاع: إن إدارة الشؤون المعنوية تم تفعيل دورها في حرب أكتوبر بعد أن كانت مجرد إدارة على الورق وبلا دور يُذكر في حرب النكسة، وكان الواعظون يأتون من الأزهر إلى الجبهة لتذكير الجنود بالشهادة وفضلها والفوز بإحدى الحسنيين (النصر أو الاستشهاد).

ويضيف الزمر: بالنسبة لمظاهر التدين، فإنها كانت موجودة بشكل ملحوظ في أعقاب هزيمة ١٩٦٧م، وأهم مظاهره هي تركيز القادة والجنود على قضية العبادة بشكل عام، فلا تكاد تبدأ كلمة قائد إلا بالبسملة وآيات القرآن والأحاديث الشريفة، وفي اجتماعات التخطيط للعمليات تسمع ألفاظ التوكل على الله وتقديم المشيئة.

ويقول د. فرحات المنجي، وهو من الدعاة الذين ساهموا في وعظ الجنود قبل الحرب: إن الشيخ محمد متولي الشعراوي، وعطية صقر، وإبراهيم النجار، ومحمد الغزالي وغيرهم - رحم الله الجميع - من الشخصيات التي كانت تلهب حماس الشباب على الجبهة، فينطلقون بشجاعة لمواجهة المحتلين الغاصبين، وكان لمجرد ظهور أحدهم - كالشعراوي مثلاً - على خط المواجهة مفعول عجيب في رفع الحالة المعنوية للمجاهدين.

و يروي العميد علي مختار القطان كيف كان الدعاة الأزهريون يعظون القادة والجنود مرددين آيات: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾(التوبة)، وكيف كانت ألسنة الشباب تلهج بسورتي «الأنفال» و«التوبة» منذ لحظة العبور.

وقد كان اللواء عبدالمنعم خليل، قائد الجيش الثاني الميداني خلال الحرب، يصلي بالناس جميع الصلوات، كما يروي القطان، ويضيف: أذكر أنه كان دائماً يتلو قول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور:٥٥).

وكان الداعية د. وجدي غنيم قد التحق بالجيش في أول أكتوبر ١٩٧٣م أي قبل الحرب بستة أيام فقط، ويقول: أبرز ما أذكره في تلك الحقبة أن وسائل الإعلام التي كانت قد اعتادت على أن تطبل وتزمر للحكام ورجال السلطة تحولت لتكرس صيحة الله أكبر في أغانٍ وطنية جادة.

والعميد متقاعد محمد لطفي (دفاع جوي) يقول: إن القيادة في أكتوبر أدركت حقيقة مهمة، وهي أن العقيدة أو الدافع الديني هو أقوى شيء يمكن أن يدفع الأشخاص لتحقيق الأهداف، أقوى من المال وأقوى من السلطة وأقوى من أي شيء، لا سيما إذا كان التدين فطرياً عند المصريين، وهذا الذي جعل من صيحة «الله أكبر» شعار أكتوبر، وكان يرددها مائة ألف مقاتل على القنال في وقت واحد.

وقد قال أبرز قادة الجيش المصري في حرب رمضان ورئيس أركانه الفريق سعد الدين الشاذلي في برنامج «شاهد على العصر» بقناة «الجزيرة» متحدثاً عن العقيدة والبعد الإيماني للجيش المصري: «نحن لا نساوي شيئاً بدون البعد الإيماني، نحن بدون الإيمان لا شيء..»، وأكد أن المسلمين منتصرون لا محالة؛ لأن هذا وعد من الله تعالى، لا نقض فيه ولا إبرام، وعند سؤاله عن ولائه قال: «هو لله أولاً.. ثم للدولة».

هكذا استلهم الجيش المصري في حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣م) عقيدته من دينه بعد هزيمته الأثقل عام ١٩٦٧م، فأحيت الجيش وأعادت أمجاد الماضي، وانتصر في البداية انتصارات ساحقة فاجأت العالم كله؛ غرباً وشرقاً، حتى تدخلت السياسة الخرقاء، أو العمالة الصريحة؛ فحولت النصر إلى هزيمة أو كادت، وتراجعت عن العقيدة القتالية للجيش فعاد مسلسل الهزائم، وهذه هي العقيدة القادرة على مواجهة ومقارعة وهزيمة عقيدة الحرب الصهيونية.

عقيدة الجيش الصهيوني

● اقتل كل من تراه ودمر كل شيء»:

تشير التقديرات العسكرية الدولية إلى أن «إسرائيل» تحتل المرتبة الثانية من حيث قدراتها العسكرية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كشفت تقارير إعلامية نشرت مؤخراً أن تل أبيب بدأت تطور قدراتها العسكرية بجيل جديد من الأسلحة المصممة لمواجهة أي هجوم أو خوض أي حرب محتملة[٢].

وعقيدة الجيش الصهيوني «قدس الأقداس» الدولة الصهيونية، وسياستها تستند أساساً إلى عقائد ومنطلقات توراتية لا تحيد عنها، من أهمها:

● تقديس القتل والإرهاب:

يقول «جابوتنسكي»، وهو قيادي في الحركة الصهيونية ولد في أوكرانيا: «إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء»، وأكد الحاخام «إبراهام كوك» الإيمان الديني بسفك الدماء وممارسة الإرهاب، وقال: «تتطلب السياسة العمل الدموي والقدرة على فعل الشر».

وقال السفاح «مناحيم بيجن»: «إن قوة التقدم في العالم ليست للسلام بل للسيف»، وكتب في مذكراته قائلاً: «أنا أحارب إذن أنا موجود».

وورد في كتابه «الثورة» ما يلي: «من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال، اليهودي المحارب، أولاً وقبل كل شيء يجب أن نبادر بالهجوم»[٣].

و«بن جوريون»، مؤسس الكيان الصهيوني يقول: «بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار ستقوم ثانية»[٤].

● المغالاة في العنصرية واحتقار الآخر:

ويفتي رجال الدين اليهودي بممارسة الإرهاب وقتل العرب وإبادتهم لإقامة «إسرائيل التوراتية»، ويصفون العرب بالأفاعي والصراصير والأشرار، وأن الله ندم لأنه خلق العرب. ويصرحون علناً بإبادة العرب، إذ أعلن الحاخام «عوفيديا يوسيف» قائلاً: «يجب قصف العرب بالصواريخ من أجل إبادتهم ومحوهم عن وجه الأرض»[٥].

وتعتبر التوراة أن غير اليهودي حيوان على هيئة إنسان، وقد قال السفاح «بيجن» عن الفدائيين: «إنهم حيوانات كاسرة تسير على ساقين».

وتنادي التعاليم التوراتية والصهيونية بتصفية الحيوانات المتوحشة؛ أي بتصفية العرب، وأكد الحاخام «إسحق جين زبورج» ذلك عن العربي قائلاً: «إن العربي حيوان بطبعه، وقد وصفته التوراة بأنه إنسان متوحش، وهناك فرق بين الدم اليهودي والدم العربي، وإن هذا التمييز موجود في التوراة»[٦].

وأفتى الحاخام «دافيد كفيتز» بقتل العربي قائلاً: «إن قتل العرب لا يشكل مشكلة أخلاقية»[٧].

وقد قال الإرهابي «بيجن» في كتابه «التمرد»: «ينبغي عليكم أيها الإسرائيليون ألا تلينوا أبداً، وعندما تقتلون أعداءكم ينبغي ألا تأخذكم بهم رحمة حتى ندمر ما يسمى بالثقافة العربية التي سنبني على أنقاضها حضارتنا».

- الغاية تبرر الوسيلة:

يقول «حاييم وايزمان»، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية في مذكراته «التجربة والخطأ»: «إنه أخذت تصعد إلى السطح الروح العسكرية والارتماء في أحضانها، وأكثر من ذلك اللجوء إلى العنف والإرهاب، واستعداد للتعاون مع الشر، كقوة لها فوائدها في تحقق الوطن القومي لليهود»[٨].

أما «بن جوريون» فيقول في مجلة «المناضل» اليهودية الصادرة في نيويورك: «إنني لا أخجل من الاعتراف بأنني لو كنت أملك ليس فقط الإرادة، بل القوة أيضاً، لانتقيت مجموعة من الشبان الأقوياء والأذكياء والمخلصين لأفكارنا ومن ذوي الشعر الأشقر، ولأرسلتهم إلى البلدان التي بالغ اليهود في الاندماج فيها، وستكون مهمة هؤلاء الشبان أن يتنكروا بصفة أناس غير يهود ويرفعوا شعارات معادية للسامية، إنني أستطيع أن أضمن أن يكون تدفق المهاجرين إلى «إسرائيل» أكبر بعشرات المرات من النتائج التي يحققها آلاف المبعوثين».

وانطلاقاً من هذا الفكر الإرهابي الصهيوني المتوحش، نسف الصهاينة سفينة «باتريا» في ميناء حيفا التي كانت تحمل خمسة آلاف من اليهود معظمهم من الأطفال والنساء الذين هربوا من الجحيم النازي، وقتل منهم حوالي ٢٧٥ يهودياً، وفي عام ١٩٥٠ فجروا مقهى البيضاء اليهودي والكنيس اليهودي في بغداد ليدفعوا اليهود للهجرة إلى الكيان الصهيوني!

عقيدة الجيش المصري في ١٩٦٧م وما قبله

بعد هزيمة عام ١٩٦٧م المنكرة ذهبت أم كلثوم، التي قال عنها «عبدالناصر»، مخاطباً جنوده: «أم كلثوم معكم في المعركة»، ذهبت لتغني في باريس «أروح لمين»! أم كلثوم تشدو في باريس ويهود العرب في أول المقاعد بجوار الملوك والأمراء تطربهم أم كلثوم وآلاف الجنود المصريين قتلوا وأسروا ودفنوا أحياء في سيناء الجريحة! وهذا يلخص عقيدة الجيش المصري قبل حرب رمضان:

● الجندي مجرد رقم لا قيمة له:

الجندي في عقيدة الجيش المصري قبل حرب أكتوبر كان مجرد رقم لا قيمة له، وهذا ثابت بالوثائق والمذكرات، منذ تأسس الجيش المصري في بداية القرن التاسع عشر على يد «محمد علي»، حينها كان المصريون يقتلون قبل التجنيد إذا سولت لهم أنفسهم الاعتراض على التجنيد الإجباري، ويقتلون بالعشرات في التدريب، وبعشرات الآلاف في المعارك والمغامرات التي خاضها «محمد علي»، وقد سمعنا عن عشرات ومئات وآلاف القتلى، ولم تحفظ لنا الوثائق أو المذكرات تحقيقاً واحداً في أسباب قتلهم! كان الجندي المصري المجند إجبارياً في جيش «محمد علي» مظلوماً مهاناً مسحوقاً، ولذلك فشل في التصدي لأول محاولة جادة لاحتلال مصر في عام ١٨٨٢م، رغم أن أهالي رشيد المصريين المدنيين صدوا غزواً أشد وأقوى قبل ذلك التاريخ بحوالي ٧٥ عاماً!

وجاء الإنجليز، فاستخدموا الجندي المصري ليحارب في صفوفهم مُكرهاً من أجل تحقيق أهدافهم في الشام، حيث استعمل أكثر من ١٠٠ ألف جندي مصري فيما يسمى «التجريدة المصرية لغزو فلسطين»، حتى وقعت القدس في عام ١٩١٧م، وبعد وقوعها بشهر أهداها الإنجليز لليهود فيما عرف بـ«وعد بلفور»، وحارب المصريون في السودان لأهداف استعمارية، وكذلك في ليبيا وغيرها، في أثناء الحرب العالمية الأولى تحت قيادة الإنجليز.

كان المتوقع أن تتغير النظرة إلى الجندي المصري وتتغير معاملته،

من كلمات الفريق سعد الدين الشاذلي:

- عندها اضطر العسكريون الممنوعون من الاتكاء لا على روسيا ولا على أمريكا للاعتماد على شعبهم وجدوهم رجالاً أشداء مؤمنين «صُبُرٌ في الحرب صدُقٌ عند اللِّقاء»

- نحن لا نساوي شيئاً بدون البعد الإيماني

- المسلمون منتصرون لا محالة لأن هذا وعد من الله لا نقض فيه ولا إبرام.. وولائي لله أولاً

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والثانية، ولكن ظلت الحال على ما هي عليه، ولم تتغير النظرة للجندي المصري، وظل مجرد رقم لا قيمة له حتى بعد أن أصبح أغلب القادة من المصريين، في العهد الملكي، وكلهم بعد عام ١٩٥٢م.

فقد استشهد المئات من الجنود في حرب عام ١٩٤٨م، ولم نسمع عن تحقيق قامت به الدولة المصرية الملكية أو الجمهورية لتقصي حقائق هزيمة الجيش المصري في فلسطين، رغم أن ضباط يوليو قالوا في بيان انقلابهم: إنهم ثاروا بسبب النكبة!

● الولاء للحاكم وليس للوطن

كانت راية الجند في عهد «محمد علي» مكتوب عليها «محمد علي»، ولم تكن علماً مميزاً لهم أو علماً لمصر، أو حتى علم الدولة العثمانية، وظل الجيش يتوارث الولاء للحاكم حتى غزا الإنجليز مصر في عام ١٨٨٢م، فاستخدموا الجيش لأغراضهم الاستعمارية.

وعندما سئل الفريق سعد الدين الشاذلي عن ولاء الجيش قبل هزيمة يونيو، قال: إن كل القيادات في الجيش كان ولاؤها للقائد الأعلى للقوات المسلحة، آنذاك المشير عبدالحكيم عامر.

● الطاعة العمياء أهم من التدريب:

الجنود الذين خدموا في الجيش يعرفون جيداً أن التركيز على تطويع الجندي الفرد أهم عند القادة والمدربين، فالجيش يريد طاعة صماء بكماء عمياء! ومن هنا برزت عدة أمثلة على هذه العقيدة من بينها «أطع

الأوامر ولو كانت خطأ»، «نفِّذ ثم تظلَّم» وغيرها، والجنود الأميون وغير المؤهلين دراسياً تمتد فترة خدمتهم لثلاث سنوات، في حين يكتفي بسنة ونصف سنة للمؤهلات المتوسطة، وسنة واحدة للمؤهلات العليا، وهم الأقدر على فهم والقيام بالمهام العسكرية العلمية المتقدمة!

ولكن رغم كل مثالب وآفات مرحلة ما قبل عام ١٩٦٧م ظلت عقيدة الجيش المصري محاربة العدو القادم من الشرق (العدو الصهيوني)، العقيدة التي تغيرت بعد «كامب ديفيد»!

عقيدة «كامب ديفيد»

● لا قبَل لنا بالحرب:

قام «السادات» بتحويل نصر أكتوبر إلى هزيمة بعد قراره بتطوير الهجوم شرقاً، وكان هجوماً غير موفق، انتهى بالفشل وخسارة ٢٥٠ دبابة من قواتنا الضاربة الرئيسة في ساعات معدودات من بدء التطوير بسبب التفوق الجوي الصهيوني! وبعدها أوقفت الحرب، وبدأ «السادات» يعود لنغمة: إننا لا نحارب «إسرائيل»، ولكن نحارب أمريكا وهي الأكبر والأعظم ولا قبل لنا بمحاربتها! وهي أيضاً التي تملك الحل والسلام؛ لأن ٩٩٪ من أوراق اللعبة معها، وتحول الجيش المصري من التسليح الروسي إلى شراء السلاح من أمريكا، التي تضمن أمن وسلامة وتفوق الكيان الصهيوني!

وقام «السادات» بتسريح أغلب من شارك في حرب أكتوبر وخبر الحرب وخبر العدو، وأخذ يردد: «لتكن حرب أكتوبر آخر الحروب»، بعد أن فرض على قادة أفذاذ منتصرين اتفاقية مجحفة رغم معارضة كبار قادة الجيش لها آنذاك، وتغيرت عقيدة الجيش الذي لم يعد يستعد لمجابهة الخطر القادم من الشرق عملياً، ولكن لا «السادات» ولا كنز

«بن جوريون» أحد مؤسسي الكيان الصهيوني: بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار ستقوم ثانية

الحاخام «إبراهام كوك»: تتطلب السياسة العمل الدموي والقدرة على فعل الشر

«حاييم وايزمان»: لا مانع من اللجوء إلى العنف والإرهاب واستعداد للتعاون مع الشر كقوة لها فوائدها في تحقق الوطن القومي لليهود

«إسرائيل» الإستراتيجي «مبارك» تمكن من إعلان ذلك؛ لأن روح أكتوبر كانت مازالت سارية في شعب وجيش مصر.

العقيدة العسكرية للجيش المصري بعد الانقلاب

● الإرهاب و«حماس» و«الإخوان» هم العدو:

تورّط الجيش في اقتتال داخلي، وانتشر في المدن والقرى المصرية تاركاً ثكناته ومعسكراته، وتغيرت بوصلته وعقيدته العسكرية، من أن «إسرائيل» هي العدو، إلى أن الإرهاب و«حماس» وليبيا و«الإخوان» هم العدو، ولم ينكر «السيسي» في حوار له مع قناة «فرانس ٢٤» أن التهجير والعمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش في سيناء هي حماية لأمن «إسرائيل».

● التنسيق والتعاون وحماية الكيان الصهيوني:

قالت القناة «العاشرة الإسرائيلية» في فبراير الماضي: إن التنسيق الأمني بين القاهرة وتل أبيب الآن هو الأقوى منذ قيام «إسرائيل»، وإن «إسرائيل» تضع ثقتها الكاملة في «السيسي» وجيشه! لحمايتها من أي تهديد قادم من سيناء.. ووصل الأمر- بحسب تصريحات محلل الشؤون السياسية في «راديو إسرائيل»، «شمعون آران»، في حديثه لقناة «الجزيرة» - أن التعاون بين الجيشين المصري و«الإسرائيلي» تجسد في تحليق طائرات من دون طيار «إسرائيلية» فوق سيناء؛ لجمع المعلومات حول تحركات المسلحين، وشمل التعاون أيضاً، وفقاً لـ«آران»، اجتماعات أمنية منتظمة وزيارات لمسؤولين «إسرائيليين» إلى القاهرة!

وكان البرادعي قد دعا خلال حوار أجرته معه جريدة «الشروق» في عام ٢٠١١م الجيش المصري إلى أن يضيف أشياء جديدة إلى عقيدته القتالية؛ إذ قال: «الجيش عليه دور كبير اليوم والعالم يتغير؛ فهناك أخطار جديدة تواجه مصر والجيش، غير الخطر التقليدي وهو إسرائيل»! واعتبر البرادعي أن هذه الأخطار الجديدة التي يجب أن يواجهها الجيش المصري بدلاً من «إسرائيل»؛ هي الإرهاب والجريمة المنظمة! وكلمة «الإرهاب» في قاموس المصطلحات السياسية الأمريكية تساوي كلمة «الإسلام»؛ فهم يصفون المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، ويصفون محاولة توصيل السلاح إلى «حماس» في غزة من أجل مواجهة الصهاينة أيضاً بالإرهاب؛ ما دعا الإعلامي الساخر «أليكس جونز» المعروف عنه معارضته السياسات الأمريكية إلى أن يصف البرادعي بأنه دمية وصناعة المخابرات الأمريكية، وأنه مجرد أداة أمريكية للسيطرة على مصر.

ولكن مهما تغيرت العقيدة أو التوجهات لدى الحكام، فهل ستتغير عقيدة الشعب المصري النابعة من انتمائه لدينه ولأمته؟ اللهم لا.■

الهوامش

(١) قناة «الشرق» الفضائية https://www.elsharq.tv

(٢) «الكبرياء.. أيام سعد الدين الشاذلي: طرد الخبراء الروس.. ضربة مزدوجة موهت ساعة الحرب»، جريدة «النهار» الكويتية ٢٠١٥/٢/١م.

(٣) مناحيم بيجن، الثورة، نيويورك عام ١٩٥١م.

(٤) بن جورين، إسرائيل سنوات التحدي نقلاً من دير ياسين إلى مخيم جنين الزرو، عمان، عام ٢٠٠٢م، ص ٨.

(٥) صحيفة «معاريف» العبرية، في ٢٠٠٠/٤/٩م.

(٦) صحيفة «كول هزمان» العبرية في ٢٠٠٠/١٠/٢٠م.

(٧) صحيفة «معاريف» في ٢٠٠١/١٠/٢٢م.

(٨) انظر: مذكرات حاييم وايزمان «التجربة والخطأ» نقلاً من مجزرة دير ياسين إلى مخيم جنين، نواف الزرو، ص ٧.

الهجرة إلى أوروبا في سفن الموت..

قصص وأرقام مؤلمة

لندن: د. أحمد عيسى

في هذا العام حتى أبريل لقي ١٧٠٠ من المهاجرين حتفهم في البحر المتوسط، بينهم ٨٠٠ ماتوا في يوم واحد في ١٩ أبريل حينما غرقت سفينتهم في البحر بين ليبيا وإيطاليا؛ حيث تقوم أعداد هائلة برحلات طويلة ومحفوفة بالأخطار بحثاً عن «الأمان» في أورونا، وتتضاعف أعداد الهاربين من سورية وأفريقيا الذين يصعدون على متن قوارب الموت في البحر، خاصة مع تحسن الجو في الصيف، ومعظمهم ينطلقون من ليبيا ولكن أيضاً من مصر وتركيا.

وفي حين تبحث الأطراف الدولية والأوروبية عن حلول في البحر، تتعامى عن الحل الجذري في البر لمعاناة الشعوب بإنهاء الاحتلال العسكري والاقتصادي، وإزالة الأنظمة الاستبدادية، وإرجاع حق الشعوب في الحرية والعدالة والكرامة والديمقراطية.

قصة «دعاء»

فرّت دعاء الزامل، البالغة من العمر ١٩ عاماً، من منزلها في سورية على أمل إيجاد الأمان ومستقبل أفضل، ولكن انتهى بها الأمر إلى صراع يائس، فبعد أربعة أيام على إبحار السفينة، اعترضتها باخرة، تتذكر دعاء قائلة: طلب منا الأشخاص على متن الباخرة التوقف، ورمونا بالقطع الحديدية والأخشاب، وشتموا ربان السفينة التي كنا على متنها، لم تتوقف سفينتنا، فطوقوها وصدموها، وانتظروا حتّى غرقنا ثم غادروا.

غرقت السفينة في دقائق معدودة، وقالت دعاء: تمسك بعض الأشخاص بالحبال المتدلية من سارية السفينة لإنقاذ أنفسهم، والبعض الآخر قطّعت أجسامهم إرباً برفاصها عندما سقطوا في المياه، وغرق معظمهم، وجدت دعاء نفسها في المياه مع مائة ناج تقريباً، تمسكت بحبل نجاة وأخذت تبحث عَن خطيبها، ثم أدركت أنه غرق على الأرجح مع السفينة، طفا الناجون لثلاثة أيام في البحر المتوسط من دون طعام أو ماء، وسرعان ما بدؤوا يموتون، بدأ الناس يطلبون من دعاء الاعتناء بأطفالهم، أعطى رجل دعاء حفيدته التي عمرها عام واحد، فربطتها دعاء بحزام النجاة الخاص بها، ثم أتت أم بطفلتها البالغة من العمر ١٨ شهراً وابنها البالغ ستة أعوام وطلبت مني الاعتناء بطفلتها فأبقيتها معي أيضاً، ورأيت الجد والأم وابنها يموتون.

قالت دعاء: إن إصرارها على إنقاذ الطفلين زاد إصرارها على البقاء على قيد الحياة، وتم إنقاذها من قبل باخرة تحمل علم ليبيريا: توفيت الطفلة التي تبلغ من العمر عاماً واحداً قبيل إنقاذنا، ونُقلنا إلى جزيرة كريت، أما الطفلة الأخرى فتم إنقاذها وقد تعافت، لا تزال تستذكر الصدمة التي عاشتها في ١٠ سبتمبر ٢٠١٤م عندما غرقت السفينة التي كانت تنقل دعاء وأكثر من ٥٠٠ شخص آخر، بينهم الكثير من النساء والأطفال، قبالة الساحل الشرقي لمالطا؛ ولم ينجُ سوى ١١ شخصاً[١].

هجرة وموت بالآلاف

وفي العام الماضي، قدرت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أن حوالي ٣٤٠٠ شخص لقوا حتفهم أو فُقدوا في البحر المتوسط حتى نوفمبر ٢٠١٤م، وحتى ذلك التاريخ وصل أكثر من ٢٠٠ ألف لاجئ ومهاجر (١٦٠ ألفاً استقبلتهم إيطاليا، والباقي في اليونان، نصفهم من سورية وإريتريا) عن طريق البحر الأبيض المتوسط، من بينهم ١٢ ألف طفل غير مصحوب بعائل[٢]!

وخلال الأشهر الستّة الأولى من عام ٢٠١٥م عبر ١٣٧ ألف شخص البحر المتوسط إلى أوروبا، وقد كان ثلث هؤلاء الرجال والنساء والأطفال من سورية، والباقي من إريتريا والعراق والصومال وأفغانستان ودول أفريقية، ويصل قرابة ألف لاجئ يومياً إلى الجزر اليونانية، وتتابع غالبية اللاجئين انتقالهم محاولة الوصول إلى بلدان في غرب وشمال أوروبا من خلال منطقة غرب البلقان، وتزايد عدد الأشخاص الفارين من النزاع من سورية والذين يبحثون عن الأمان في بلدان تقع خارج نطاق المنطقة المجاورة التي أصبحت ترزح تحت ضغط هائل نتيجة تزايد عدد اللاجئين الفارين من النزاع، وتم تسجيل ٤,١ مليون لاجئ سوري في البلدان المجاورة لسورية[٣].

وزاد عدد المهاجرين لأوروبا الغربية حتى وصل عدد طلبات اللجوء العام الماضي إلى ٦٥٠ ألفاً، حوالي ثلثهم لألمانيا وحدها، ثم السويد وإيطاليا وفرنسا والمجر والنمسا والنرويج والدنمارك وهولندا وبلجيكا[٤].

الخطة الأوروبية

ولا توجد خطوات بالتنسيق مع بلدان الأصل إلا ما جاء تحت بند: متابعة دعم برامج الإغاثة والتنمية لتلبية الاحتياجات الإنسانية والاحتياجات على صعيد حقوق الإنسان والتنمية.

خطوات داخل الاتحاد الأوروبي:

١- تعزيز عمليات الإنقاذ في البحر، وضمان دعم طرق الإنقاذ بما في ذلك الحصول على دعم الاتحاد الأوروبي.

٢- تشجيع ربابنة السفن التجارية على الإنقاذ عند الحاجة، وتقليص التكاليف المالية التي يتكبدها المشاركون في عمليات

المفوضية السامية: ١٢ ألف طفل غير مصحوب بعائل ضمن المهاجرين خلال عام ٢٠١٤م

زاد عدد المهاجرين لأوروبا الغربية حتى وصل عدد طلبات اللجوء العام الماضي إلى ٦٥٠ ألفاً

«اليونسيف»: هناك حاجة ماسة لضرورة تعزيز قدرات البحث والإنقاذ لحماية الأرواح وملاحقة المتاجرين بالبشر ومعالجة الأسباب الجذرية للهجرة في بلدان المنشأ

يغادر ليبيا يومياً ما بين ٣٠٠ و٧٠٠ مهاجر غير شرعي في اتجاه أوروبا

الإنقاذ.

٣- وضع آليات أكثر فاعلية ومعتمدة لتحديد الأماكن الآمنة للإنزال.

٤- تعزيز مرافق الاستقبال، وبناء مرافق إضافية لتقديم خدمات الرعاية العاجلة مع التركيز على ذوي الاحتياجات الخاصة.

٥- وضع آليات لتحديد سمات اللجوء، وتمكين الأفراد الذين هم بحاجة إلى الحماية الدولية من إجراءات اللجوء المنصفة والفعالة.

٦- توفير الدعم لضمان العودة الآمنة والكريمة وفي الوقت المناسب للأشخاص الذين لا يتبين أنهم بحاجة إلى الحماية.

خطوات بالتنسيق مع بلدان العبور أو اللجوء الأولى:

١- تعزيز عملية جمع وتحليل ومشاركة البيانات حول التحركات في البحر في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

٢- تعزيز عملية تطوير القدرات وبناء المؤسسات في بلدان العبور وبلدان اللجوء الأولى بما في ذلك إستراتيجيات الحماية.

٣- زيادة عدد برامج المعلومات الجماعية على طول طرقات العبور لإبلاغ الأفراد بأخطار التحركات البعيدة، والانخراط في حوار مع منظمات الجاليات القائمة على المجتمع.

٤- ابتكار خيارات قانونية بديلة للتحركات الخطيرة وغير النظامية، بما في ذلك إعادة التوطين والحصول على التأشيرات الإنسانية، وبإمكان الدول أيضاً تسهيل لمّ شمل الأسر واستخدام برامج الرعاية وبرامج منح التأشيرات للدراسة والعمل.

الوضع في ليبيا

ومما يزيد هذه الظاهرة تفاقماً، الفوضى العارمة التي تسود الشواطئ الليبية، حيث تتركز أكثر عمليات الهجرة من أفريقيا الشمالية، مع تحسن الطقس يغادر ليبيا يومياً ما بين ٣٠٠ و٧٠٠ مهاجر في اتجاه أوروبا، بعض هؤلاء حمل حكايات مرعبة عن الفوضى في ليبيا والتعذيب وسوء المعاملة من جانب المهربين وعن الموت في البحر، ووصول الآلاف إلى الشواطئ الأوروبية يشير إلى فشل خطة الاتحاد الأوروبي لمواجهة الهجرة غير الشرعية.

يونيسف

أكدت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) في بيان لها الحاجة إلى اتخاذ إجراءات جماعية وسريعة وشجاعة لوقف مد الهجرة غير الشرعية، وأن التقارير الإخبارية عن مآسي البحر الأبيض المتوسط - والتي تخلف مئات من الناس، بمن فيهم الأطفال، بين قتيل ومفقود - أصبحت أمراً كثير التكرار، وكلفته البشرية باهظة الثمن، ويضيف البيان أن الأطفال الذين يجدون أنفسهم في هذه الرحلات يتعرضون لسوء المعاملة والاستغلال وربما الموت، كما دعت إلى تعزيز قدرات البحث والإنقاذ لإنقاذ وحماية الأرواح، وملاحقة المتاجرين بالبشر، ومعالجة الأسباب الجذرية للهجرة في بلدان المنشأ - النزاعات والفقر والتمييز - لتجنب تكرار الخسائر المأساوية[٥].

الهوامش

(1) The Mediterranean>s deadly migrant routes- 22/4/2015
http://www.bbc.co.uk/news

(٢) المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، مبادرة وسط البحر الأبيض المتوسط، ديسمبر ٢٠١٤م.
http//:www.unhcr-arabic.org54/d361926.html

(3)Syria Regional Refugee Response (UN refugee Agency) 16/8/2015
http://data.unhcr.org/syrianrefugees/regional.php

(4)What's Behind the Surge in Refugees Crossing the Mediterranean Sea?
New York Times, 20/4/2015

(٥) ضرورة اتخاذ تدابير صارمة قبل وقوع المزيد من المآسي في حوض البحر الأبيض المتوسط.
http://www.unicef.org/arabic/media/24327_81668.html

انتفاضة العراقيين..
بين التغيير والتخدير!

بغداد: محمد الطائي

كرة ثلج، لم يتوقع حكام العراق – ولا محرِّكوهم – أنها ستبلغ هذا المبلغ، بدأت تدحرجها عندما اشتدت موجة الحر في العراق، وقد انهارت منظومة الكهرباء المتهالكة فيه، وصارت ساعات وصول التيار الكهربائي في اليوم لا تتجاوز أصابع اليد الواحد المبتورة؛ فخرج العشرات من الناس إلى الشارع بشكل عفوي؛ معبرين عن احتجاجهم على دولة فاشلة صرفت (بل سرقت) المليارات من الدولارات وهي تدعي في كل مرة إصلاح منظومة الكهرباء، وتعدهم بمدد طويلة من عدم الانقطاع، وكان ذروة ما كان من تظاهرات بهذا الشأن في محافظة البصرة، الأكثر سخونة وتضرراً.

حيدر العبادي – رئيس الوزراء الحالي

نوري المالكي – رئيس الوزراء السابق

إياد علاوي - رئيس القائمة الوطنية

العبادي في تسريب من لقاء رفيع المستوى مع وزرائه: إنه قلق من تنامي الجزء الموالي لإيران في الحشد الشعبي

المرجعية الدينية العليا في النجف تحث العبادي على انتهاج برنامج إصلاحي شامل وفاعل

رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية دعا العراقيين إلى دعم حكومة العبادي

مليشيات الحشد الشعبي تسعى لاستغلال تبرم الجماهير في ظل حكومة فاسدة إلى إحداث انقلاب يُسقط تلك الحكومة

حاول بعض الفاسدين من السياسيين (من دولة القانون، والمجلس الأعلى) ومليشيات الحشد ركوب الموجة، وبدؤوا بالتصريحات المنافقة دعماً للمتظاهرين، وأنهم سينزلون معهم داعمين لهم في دعواتهم للإصلاح، فطُرد البعض، وأُنذر آخرون، وكانت ردود الأفعال الحكومية والسياسية والدينية سريعة بعد أن تبين لهم أن التظاهرات باتت تشكل خطراً عليهم، وأن هناك تهديدات باتت تتكلم عن اقتحام المنطقة الخضراء، ومقرات الدولة، بل وحتى مقرات بعض المرجعيات، حيث تجاوزت الهتافات العالية الحديث عن الفساد والمفسدين في الحكومة إلى المطالبة بطرد السياسيين كافة من مواقعهم ومناصبهم، ووصل الأمر إلى استهداف المراجع الدينية، كما كان بالنسبة لعمار الحكيم، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، بل وحتى المرجعية الدينية في النجف، ولأول مرة وبشكل علني باعتبارها المشجع الأول على انتخاب هذه الأحزاب الفاسدة ورجالاتها المُفسدين!

فجاءت تصريحات المرجعية الدينية العليا في النجف تحث رئيس الوزراء العبادي على انتهاج برنامج إصلاحي شامل وفاعل، بينما سارع رئيس الوزراء العبادي إلى إصدار حزمة من الإصلاحات، تدعو إلى محاربة الفاسدين وإقالتهم وإعادة التعيين في المناصب الوزارية والدرجات الخاصة في الدولة على أساس الكفاءات والمعايير الموضوعية والخبرة المهنية، وليس على أساس المحاصصة الطائفية (على حد وصف مدير مكتبه الإعلامي)، ليحاول الهروب من المأزق الذي تمر به حكومته الفاسدة، وليرمي الكرة في ملعب البرلمان.

وكان النائب عن دولة القانون في الائتلاف الشيعي جاسم محمد جعفر قد أعلن قبلها في تصريح لصحيفة «المدى»، أن العبادي قد تلقى اتصالاً هاتفياً من المرجعية الدينية في النجف حول تظاهرات واحتجاجات المواطنين، وتمخض الاتصال عن تشكيل لجنة من رئاسة الوزراء والمرجعية في النجف، لتدارك الوضع الخطير، ووضع خطة إصلاحية سريعة على ثلاث مراحل؛ تمثل مرحلتها الأولى إصلاحات تشمل المناصب سواء كان بالتغيير أو المحاسبة، بينما أعلن جعفر أن المرحلتين الثانية والثالثة لا يمكن الحديث عنهما الآن.

ردود الأفعال

وكعادة عراق ما بعد الاحتلال، فإن ردود الأفعال كانت على أساس المذاهب والقوميات وقوات الاحتلال فيه، فبينما رحب الجانب الأمريكي بالخطوات الإصلاحية التي دعا إليها العبادي، مشترطاً أن تتضمن الإصلاحات ملف المصالحة الوطنية (في إشارة إلى التغول الشيعي وتهميش واستهداف أهل السُّنة العرب)، نجد أن الموقف الإيراني كان حذراً من هذه التظاهرات الفاضحة لفساد الحكومات الشيعية المدعومة أصلاً من قبلهم، حيث دعا رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية اللواء «حسن فيروز آبادي» العراقيين إلى دعم حكومة رئيس الوزراء حيدر العبادي.

أما الكتل السياسية العراقية، وقد أدركت صعوبة الوقوف أمام التيار المحتج الجارف، فقد كانت منكسرة مجبرة على تلك الإصلاحات وباعتراضات ضمنية، فكان من مواقفها الآتي:

١- الكتلة الكردية: تأييد خجول كالعادة، فالكرد لهم دولتهم شبه المستقلة ومصالحهم المستقلة البعيدة عن العراق الواحد، وقد أعلنوا مراراً وتكراراً أنهم لن يكونوا طرفاً في نزاعات العراق، فبينما رحبوا بالحق الشرعي للعراقيين بالتظاهر، فقد أكدوا من جانب آخر ضرورة دستورية الإصلاحات التي يطالب بها أولئك المتظاهرون، وبقي دور رئيس الجمهورية (الكردي) فؤاد معصوم مختفياً.

٢- الكتلة السُّنية: وينطبق عليها المثل القائل: «المُفلس بالقافلة أمين»، فالساسة السُّنة فشلوا في الحفاظ على ماء وجوههم عوضاً عن الدفاع عن حقوق أهلهم، فجماهيرهم صارت بلا أرض وهي نازحة ترجو الكرامة وأسباب الحياة.

وجل أعضاء تلك الكتل السُّنية فاسدون، وقد صاروا من أتباع المالكي أو الدولة الفاسدة، وهم يركضون وراء مصالحهم الشخصية، بينما كانوا المتضررين الأكبر من خلال قرارات العبادي الإصلاحية (غير الدستورية)، حيث شملت هذه الإصلاحات إقالات رؤساء الكتل السُّنية؛ أسامة النجيفي، وصالح المطلك، وإياد علاوي (الشيعي الذي يقود القائمة الوطنية السُّنية!) من مناصبهم السيادية؛ بدعوى التقشف والإصلاح، وقد استغرب بعضهم على استحياء هذه الإقالة

لهم، بينما الفاسدون الحقيقيون من حيتان النهب والفساد يسرحون ويمرحون!

٣- الكتل الشيعية: وأقول هنا: الكتل؛ لأن حرب المصالح قد بدأت بين أحزابهم، فبينما رفض الحكيم هذه التظاهرات التي نالت منه ومن فساد كتلته، ووصف تلك التظاهرات الداعية للإصلاح بأنها «داعشية»! نرى مقتدى الصدر الذي يشعر بأنه الخاسر الأكبر في الدور الحالي والمستقبلي في العراق، وقد أيد هذه الانتفاضة الجماهيرية بكل ما فيها، وسارع إلى الطلب من نائب رئيس الوزراء بهاء الأعرجي، صاحب أكبر منصب للتيار الصدري في الدولة، إلى تقديم استقالته، وهذا ما حصل فوراً، وهدد الصدر بمظاهرات مليونية ضد البرلمان في حالة رفض الإصلاحات.

من وراء التظاهرات؟

لا يختلف اثنان على أن التظاهرات بدأت عفوية، حيث خرج المظلومون إلى الشارع وقد ضاقت عليهم بيوتهم وقد قتلتهم الفاقة وجانبتهم الخدمات، والحديث يطول عن جرائم الفساد التي سرقت أكثر من تريليون دولار من خيرات العراقيين خلال السنوات العجاف الماضية لحكومات الفساد من بعد الاحتلال الأمريكي - الإيراني للعراق.

ولكن هذه التطورات السريعة والمفاجئة، سواء كانت بقوة التنامي السريع للمتظاهرين، أو بالاستجابة السريعة للإصلاحات من قبل الحكومة العراقية، أو بالقرارات القاصمة للأحزاب والحيتان الفاسدة في الدولة، كانت قد أثارت سؤالاً كبيراً مفاده: من وراء هذه الدعوات للتغيير؟ في إشارة إلى أن الأمر أكبر من قدرات العبادي الضعيفة المحدودة من جهة، وأقل من إمكانيات المتظاهرين المتفرقين هنا وهناك من جهة أخرى، ولعل من أبرز السيناريوهات التي تحدث عنها مقال لمدير معهد تواصل للعلاقات العامة والإعلام في تفسير ما يحدث هو ما يلي:

١- صراع الإرادات في المنطقة، فالأمريكيون بالتأكيد ليسوا راضين عن تبعية الواقع العراقي لإيران بهذا الشكل الأعمى، خاصة مع مشهد بناء مليشيات الحشد الشعبي وسيطرتها تدريجياً على كل مفاصل الحياة (النسخة العراقية من الحرس الثوري الإيراني)، مقابل تأييد ودعم الائتلاف الشيعي لهذا التوجه للحشد الشعبي، حيث إن بعض التسريبات تشير إلى لقاءات سرية بين المخابرات الأمريكية والعبادي مؤخراً نتج عنها تسليم العبادي مشروع التغيير والإصلاحات كاملاً لتنفيذه لا لمناقشته، ليتم به خلط الأوراق وإعادة تشكيل المشهد العراقي بعد الإطاحة بالرؤوس القوية بحجة الفساد، ومسك الخيوط من جديد بيد العبادي، من أجل تقليم أظافر بعض العملاء لإيران.

٢- صراع المرجعيات، حيث أعلن مكتب قائد الثورة الإسلامية الإيرانية في النجف قبل مدة قليلة عن استلام مجتبى الحسيني الشيرازي مهامه ممثلاً جديداً للمرشد الإيراني الأعلى «علي خامنئي» في العراق، وقد أعاد هذا التعيين - المريب - قصة صراع المرجعيات بين قُم والنجف، حيث أصبحت الكثير من مراكز القوى في العراق الدينية منها مثل المجلس الأعلى بقيادة عمار الحكيم، والسياسية مثل دولة القانون بقيادة نوري المالكي، والعسكرية منها كالحشد الشعبي بقيادة أبو مهدي المهندس، وهادي العامري، كلها تدين لإيران قبل العراق وحكومته الضعيفة، حيث أثير مؤخراً موضوع اتصالات سرية بين المرجعية العليا في النجف وبين العبادي لإيقاف تغول المرجعية الإيرانية ليس في قُم فحسب، وإنما الحد من سيطرتها على مرجعية النجف من خلال مجتبى الشيرازي المثير للجدل، ونُقل عن العبادي في تسريب آخر في لقاء رفيع المستوى مع وزرائه؛ أنه قلق من تنامي الجزء الموالي لإيران في الحشد الشعبي، وهو الجزء الأكبر عدداً والأحدث تجهيزاً بالأسلحة والمعدات، وصرح العبادي أمام الحضور بأنه لن يسمح بهذا التغول على حساب المرجعية الدينية للسيستاني في النجف.

٣- سعي مليشيات الحشد الشعبي وعلى رأسها عصائب أهل الحق بقيادة قيس الخزعلي، وفيلق بدر بقيادة هادي العامري إلى استغلال تبرم الجماهير من الأوضاع المأساوية التي يعيشها العراقيون في ظل حكومة فاسدة فاشلة إلى إحداث انقلاب يُسقط الحكومة ورئيسها بدعوى الانفلات الأمني وغياب القدرة على السيطرة على الأمور أو إحداث الإصلاحات المطلوبة.■

قرارات الحكومة

من أهم قرارات الحكومة العراقية بعد زلزال التظاهرات:

أولاً: إقالة رؤساء الكتل السياسية الحاكمة من مناصبهم في الدولة، وأبرزهم:

١- أسامة النجيفي، رئيس قائمة «متحدون».

٢- صالح المطلك، رئيس قائمة «الحوار الوطني».

٣- إياد علاوي، رئيس «القائمة الوطنية».

٤- نوري المالكي، رئيس قائمة «دولة القانون».

٥- بهاء الأعرجي، رئيس قائمة «التيار الصدري».

ثانياً: البدء بالتحقيق في ملفات الفساد الخاصة بالوزراء والمسؤولين السابقين جميعاً، وقد أعلن في الإعلام عن فتح ملفات الفساد لنوري المالكي، وبهاء الأعرجي كبداية لحملة الإصلاح!

ثالثاً: إعادة ترتيب الوزارات العراقية سواء كان من خلال دمج بعضها ببعض لتخفض إلى ١٥ وزارة، أو من حيث استبدال الوزراء بآخرين من الأكفاء.

رابعاً: إعلان نهاية عهد المحاصصة الطائفية، وأن رئيس الوزراء العبادي هو من سيختار وزراءه.

خامساً: التهديد بإعادة بناء مرافق الدولة كافة، ومنها الدعاوى القائمة بحل البرلمان الفاسد.

سادساً: استمرار الضغط الجماهيري، والمطالبة بالتغييرات الفعلية على الأرض لا مجرد تقديم ملفات الحزم الإصلاحية للإعلام!

سابعاً: بروز نجم العبادي كقائد أوحد في العراق بعد أن سحب البساط من تحت أقدام المنافسين له من الكتل السياسية والأحزاب.

ثامناً: زيادة فرصة الاتجاه نحو النظام الرئاسي في الحكم بدل النظام البرلماني الحاكم اليوم.■

المشهد الليبي.. تداعيات ومواقف

د. نزار كريكش

تتقاذف المشهد الليبي الكثير من المواقف الدولية، والمخاوف الإقليمية، والتصعيد العسكري الذي طال كافة أرجاء البلد في الشرق بدرنة وبنغازي، وفي الوسط بسرت، وفي الجنوب بالكفرة وسبها، رغم اختلاف الأسباب والسياقات وراء ذلك التصعيد، محصلة كل ذلك كانت في تدني الخدمات المقدمة للمواطن وتدهور اقتصادي مخيف يطال البلد لأول مرة منذ عقود.

المواقف الدولية تأتي في سياق محاولات إستراتيجية من الأمم المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية لتنظيم المنطقة، المخاوف الإقليمية بين مصر من جانب والجزائر من جانب آخر، تسعى الأولى للتمدد المباشر أو غير المباشر في المجال الحيوي الليبي للاستفادة من ثرواته باستعمال قوة السلاح، وتسعى الجزائر لأن تضمن بقاء حدودها مع الأمازيغ في ليبيا في حالة من التوازن والاستقرار حتى لا يوحي المشهد للأمازيغي بحلم الدولة الأمازيغية.

نحو السلام في الجزائر

بعد أن رفض المؤتمر الوطني في الشهر الماضي المسودة التي عرضها السيد «ليون»، المبعوث الأممي في ليبيا، كان رد فعل القوى الدولية والمبعوث في حث المؤتمر على الموافقة، تقابل المبعوث الأممي مع وفد من المؤتمر في الجزائر الأسابيع القليلة الماضية محاولاً طمأنة الأخير من مخاوفه، مطلقاً الوعود بإمكانية مناقشتها في ملاحق الاتفاق، مؤكداً أن الأولوية هي لحضور جلسات الصخيرات والتوقيع على المسودة.. المؤتمر من جانبه يصر على وجود بعض التعديلات الأساسية المتعلقة بقرارات مجلس النواب السابقة والتي تضمنت قضايا أساسية يعتبرها المؤتمر لا تتوافق مع دعاوى السلام، وتشمل إعادة السيد خليفة حفتر كقائد للجيش الليبي، وإعادة أربعمائة ضابط من ضباط النظام السابق، وطلب التدخل أو المساعدة من الدولة المجاورة في الحرب على ما يسميه المجموعات الإرهابية، حيث قرر البرلمان أن فجر ليبيا وهي المجموعة العسكرية الداعمة للمؤتمر مجموعة إرهابية.

لكن فيما يبدو أن المسودة التي لقيت ترحيباً من القوى الدولية في مجلس الأمن، تمثل إستراتيجية أشمل تشهدها المنطقة، من حيث القدرة على تصميم نظام سياسي جديد يناسب التغيرات التي شهدتها المنطقة، فإن الاتفاق الذي جرى في فيينا

تدني الخدمات المقدمة للمواطن والتدهور الاقتصادي المخيف هما محصلة الوضع الحالي لليبيا

الاتفاق مع طهران لا يتعلق بالبرنامج النووي فحسب بل يعبر عن توافق جديد حول دورها الإقليمي مستقبلاً ويفسر هذا محاولة الوصول بالملف الليبي نحو الاستقرار

بين القوى العظمى وإيران يعبر عن توافق جديد ليس فقط في مجال الأسلحة النووية بل في الدور الإقليمي الذي ستؤديه إيران.

تركيا من جانبها انخرطت في الحرب ضد «تنظيم الدولة»، وسمحت للطائرات الأمريكية بالانطلاق من القاعدة التركية «إنجرليك»، وفي الوقت نفسه بدأت زيارات سعودية مصرية وأمريكية ومحاولات أمريكية لطمأنة دول المنطقة حول الاتفاق مع إيران.. في هذا السياق، يمكن أن نفهم محاولة الوصول بالملف الليبي نحو الاستقرار، وحرص المبعوث الدولي على التوقيع ولو بالأحرف الأولى حتى يمكن أن يستمر الحوار.

لكن للاتحاد الأوروبي شأناً آخر، فقد أعلن رئيس الوزراء البريطاني الرغبة في قيادة حملة لمساعدة الحكومة الليبية في القضاء على «تنظيم الدولة»، بل ذكر الصحفي الإيطالي «لورينزو مارينوني»، في صحيفة «إيست جورنال»، استعداد دول غربية لتدخل عسكري محتمل في ليبيا، وقد أشارت صحيفة «التايمز» البريطانية إلى ذلك أيضاً، كل هذه التكهنات تعبر عن سياسة أوروبية تنظر للخطر الإستراتيجي الذي تمثله ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي ظهر بوضوح أنها مرتبطة بـ «تنظيم الدولة» والإرهاب عبر نقل المتطرفين إلى أوروبا.

الاتحاد الأوروبي يعاني من خلل في سياساته الخارجية، فمنذ عام ٢٠٠٩م، ومع ظهور الأزمة الاقتصادية الدولية، شكل الاتحاد الأوروبي لجنة لتوحيد السياسة الخارجية، ومن بعدها شكلت عدة لجان، ويذكر المراقبون ضعف تكوين هذه اللجان، وأن القرارات القيادية لدول بعينها في الاتحاد هي التي تشكل البعد الإستراتيجي لمواقف الاتحاد الأوروبي.

هذه الخلفية تبين أن الإستراتيجية التي تتخذها الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة بقيادة الرئيس «أوباما»، والتي تشبه سياسة الرئيس «كيندي»، وكذلك «هنري كسينجر» في البحث عن السلام، حين حاور الأخير الاتحاد السوفييتي إبان الحرب الباردة، هي سياسة يتخللها بعض التناوش من قوى الاتحاد الأوروبي في البحث عن سلامة أراضيها واقتصادها من الهجرة التي تكاثرت جراء غياب الدولة ومؤسساتها في ليبيا.. لذلك فهناك موقف تتأهب له القوى الأوروبية لضبط الأمور في ليبيا، وهناك مشروع إستراتيجي ينظر لمستقبل المنطقة وإمكانية إدارتها عبر وجود قوة مركزية يستمر التعامل معها عبر الدبلوماسية الأمريكية، وكيفية التنسيق بين الاثنين هي أحد العوامل التي ستحدد مستقبل ليبيا.

الحرب بالوكالة

كان التدخل الخارجي سمة بارزة في الثورة الليبية، وقد اعتمد «حلف الناتو» إستراتيجية عدم التدخل البري ومساعدة الثوار في الوصول للعاصمة طرابلس، لكن هذه الإستراتيجية وفق بعض الدراسات تبين أن المجتمع الدولي لم يوفها حقها؛ أولاً:

اللواء خليفة حفتر في الوسط

لعدم وجود نماذج مسبقة يمكن الاعتماد عليها في تنفيذ المهمة، ثانياً: تقاعس الكثير من الدول في الاهتمام بليبيا لعدم وجود مصلحة مباشر قصيرة الأمد تخص هذه الدول.. في تلك الأثناء استمرت بعض الدول العربية في استغلال المجال الحيوي لبناء حزمة مصالح مشتركة بعضها يخص «الربيع العربي» واختلاف زوايا النظر لهذا الربيع، وبعضها يتعلق بمحاولة تصميم النظام الليبي الجديد وفق شراكات مع بعض التيارات المختلفة التي برزت في ليبيا بعد الثورة.

هذا الأمر يمكن أن يفهم من خلال تصور الحرب المستمرة في ليبيا من خلاف سياسي حول الإعلان الدستوري الذي وضعه المجلس الانتقالي وتبعاته، إلى حالة من الانقسام العسكري ثم السياسي، ثم البحث عن حلفاء لكل فريق من المتخاصمين.

لذا كان هناك دعم عسكري وسياسي لكلا الفريقين انطلاقاً من مصلحة بعض الدول مثل مصر التي ترى إمكانية وجود تحالف مع حكام جدد أكثر طواعية لترحيل المشكلات السياسية والاقتصادية في مصر إلى ليبيا، وقد صرح الجنرال المتقاعد خليفة حفتر هذا الأمر بوضوح أنه مع مصلحة مصر ولو كانت على حساب مصلحة ليبيا.

في المقابل، تزعم بعض التقارير وجود دعم سوداني وتركي وقطري لفجر ليبيا، لكن أياً كان صحة هذه المزاعم، فإن استمرار الحرب وانقسام الرأي السياسي بين مصر والجزائر يؤكد وجود نوع حرب بالوكالة في ليبيا.

وسط هذا الانقسام، هناك خطر شامل تمثل في استغلال «تنظيم الدولة» لما يحدث في ليبيا للسيطرة على بعض المناطق الإستراتيجية، وهذا الأمر جعل من المشهد يحكم من قبل المجتمع الدولي، حيث صارت كل الدول العظمى ترى خطورة وجود نقطة مركزية في ليبيا لدعم «تنظيم الدولة» التي شكلت هلالاً امتد من سورية والعراق إلى سيناء والنيجر ومالي، هذه الإستراتيجية التي صارت واضحة للتنظيمات الإرهابية جعلت المجتمع الدولي يضغط على القوى الإقليمية كمصر والإمارات العربية التي كانت تدعم التدخل العسكري لتأجيل هذه المصالح الآنية - التي في مجملها مسائل أيديولوجية تتعلق بالصراع العلماني مع التيار الإسلامي - من أجل القضاء على الخطر المشترك، وهذا ما يفسر إصرار مجلس الأمن على المضي قدماً في الحوار.

معاناة أهل ليبيا

في هذه الأجواء ظهرت آثار فشل مؤسسات الدولة على الحياة اليومية لأهل ليبيا، بعض المعاناة كانت من فشل مؤسسات

مصر تبحث إمكانية إقامة تحالف مع حكام جدد في ليبيا أكثر طواعية لترحيل مشكلاتها السياسية والاقتصادية إليها

وجود نقطة مركزية لدعم «تنظيم الدولة» بليبيا جعل المجتمع الدولي يضغط على قوى إقليمية كمصر والإمارات لتأجيل التدخل العسكري في ليبيا

الدولة التي عانت من الانقسام السياسي وغياب السلطات الحقيقية داخل البلد، وأدى انقطاع التيار الكهربائي إلى أزمة خانقة في العاصمة خاصة مع انقطاع المياه بسبب ارتباط منظومة النهر الصناعي بالكهرباء، وفي الشرق كذلك سبب انقطاع الكهرباء والمياه معاناة يومية للمواطنين.

وأكد وزير الكهرباء بحكومة الإنقاذ الوطني نور الدين سالم أن العجز الكهربائي الذي تواجهه ليبيا يقدر بحوالي ١٨٠٤ ميجاوات، أما الأزمة الاقتصادية والعجز المؤسساتي، فقد ظهرت آثاره على أسعار القمح والسلع التموينية لاسيما الخبز الذي يعد من أساسيات الحياة اليومية لليبيين، وتعد ليبيا من الدول الأكثر استهلاكاً للخبز عالمياً، بالإضافة إلى التضخم وارتفاع سعر صرف الدولار، كل ذلك ساهم في تنامي السوق السوداء.

لا تسل عن الجريمة والاختطاف واستمرار الصراع في بنغازي ودرنة التي تقاوم «تنظيم الدولة»، وتعاظم معاناة النازحين والمهجرين من بنغازي، ودخول عصابات التهريب في الجنوب التي تتقاتل من أجل السيطرة على طرق التهريب في الجنوب، هذا الفشل للدولة هو ما عبر عنه تقرير الدول الفاشلة، وأشار إلى وجود حالة من الفشل تتعاظم في ليبيا التي صنفت ضمن الدول الأسوأ، واحتلت المرتبة ١٠١ في تقرير عام ٢٠١٤م بعد أن كانت في منتصف التصنيف.

سيناريوهات محتملة

في ضوء هذه المعطيات، يمكننا تحديد بعض السيناريوهات المحتملة للوضع في ليبيا، أولها إمكانية الوصول لحل دولي في ضوء رغبة القوى العظمى في تصميم نظام شرق أوسطي على غرار صلح «ويستفاليا» بعد حرب المائة عام في أوروبا في القرن التاسع عشر، ومن هنا تأتي ليبيا في سياق تنظيم المنطقة للوصول لاستقرار سياسي يسمح بتوقع مسار المنطقة في ضوء وجود «تنظيم الدولة» الذي يعتبره الغرب الآن مجموعة من الحركات الانفصالية التي تحاول تشكيل المنطقة.

وهذا السيناريو - كما رأينا - له شواهد كثيرة في الاتفاق النووي، والتدخل التركي، والحوارات الخليجية الأمريكية، وتبدل لغة الحوار بين «ليون» والمؤتمر ومحاولة إقناع الأخير بشتى الطرق لإمكانية الوصول لحل.

السيناريو الآخر يتمثل في عدم إمكانية ترويض المنطقة للإرادة الدولية، وهنا يحتمل وجود تصعيد من قبل مصر تجاه ليبيا، وتنفيذ وعودها باعتبار الحل العسكري هو الأمثل للقضاء على خصوم النظام المصري، هنا يصبح توازن القوى وليس المشاريع المكتوبة هو المحرك للمشهد، حين تصبح حسابات كل دولة وقوتها الاقتصادية والعسكرية هي التي تحدد مسار المنطقة، كما هي حال الأزمة السورية، والأزمة اليمنية، هذا النموذج اليمني قد يتكرر في ليبيا بصور مختلفة بين مصر وتونس من جانب، والجزائر من جانب آخر بدعم من الاتحاد الأوروبي.

بين وجود حالة من الاستقرار تفرضه القوى الدولية ووجود تصعيد تفرضه القوى الإقليمية على ليبيا بحثاً من مصالحها على المدى القصير، تقع عدة سيناريوهات تجمع الاثنين حين تتعارض الإرادة الدولية مع مصلحة بعض الدول المركزية كفرنسا أو بريطانيا والتي تسعى للتدخل العسكري في ليبيا بالتعاون مع قوة كإيطاليا وإسبانيا، أو من خلال تغليب قوة بعض الأطراف داخل البلد من مثل انتصار أحد الطرفين بدعم إقليمي، أو أن تكون هناك تسوية ليبية يمكنها أن تمثل حالة من التوافق السياسي، خاصة وأن مجلس النواب في طبرق تنتهي ولايته في شهر أغسطس القادم، وقد صرح الأخير بالعمل على وضع خارطة طريق تتضمن انتخابات جديدة قد تكون حلاً سياسياً يسبق المجتمع الدولي والمخاوف الإقليمية.

هناك عدة قضايا تتعلق بالدولة ومؤسساتها والمجتمع، صراعاته هي القضايا التي ستكون عائقاً أمام الليبيين في المستقبل، وآثار كل ذلك على مؤسسات الدولة، فالانقسام السياسي جعل من الحكومة في طبرق تسعى لإقامة إدارات جديدة، وتبحث عن عقود وميزانيات لتسيير مؤسساتها المترهلة التي يعلوها الفساد والضعف الإداري، لذا ازداد البلد فشلاً على فشل سواء في حكومة طرابلس أو طبرق.

في الجانب الاجتماعي، سيعاني البلد من الجرح الأخلاقي، وهي مجموعة الأعراض التي تصيب مجتمعات عانت من مثل ما عانت منه ليبيا كما حدث في كمبوديا، هذا الجرح هو السؤال الذي يسأله المجتمع لنفسه دون أن يصرح به: ما الذي كان ينبغي علينا فعله لمنع كل هذا؟ البعض يجيب طبعاً بألا نقوم بثورة، والبعض الآخر يجيب بأن تنجح الثورة، لكن الصواب يكمن في قدرة المجتمعات على حمل قيمها التي ثارت من أجلها، وفي قدرتها على استمرار مكوناتها الإنسانية كما هي مهما تبدلت أطر السياسة والموازين.■

الأكاديمي السوري
د. محمد أيمن الجمال لـ«المجتمع»:

جماعة الإخوان أكبر داعم للثورة والثوار واللاجئين

أجرى الحوار: محمود القاعود

أوضح الأكاديمي السوري د. محمد أيمن الجمال أن الانقلاب العسكري في مصر يدعم نظام «بشار الأسد» بالسلاح، وأكد في حواره لـ«المجتمع» أن جماعة الإخوان المسلمين في سورية تدعم جميع أبناء الشعب السوري، وأنها بذلت من أموال المنتسبين لها القاطنين في مختلف دول العالم أكثر ممّا تستطيعُه دول، كما حمل على الموقف الأمريكي المتخاذل من نظام «بشار».. وإلى نص الحوار:

● ما رأيكم في المبادرات التي تُطرح من قبل دول إقليمية وغربية بشأن سورية؟

– لا شكّ أنّ الحلول التي تُطرح للقضيّة السوريّة في جملتها بعيدة عن واقع الثورة والثوّار، وهي تُراعي بالدرجة الأولى مصالح الدول ذات العلاقة بالنظام أو الدول ذات المصلحة المتوقّعة من الاستقرار في بلاد الشام، أو الدول ذات الارتباط المعنوي بالثورة السوريّة، والنظرة إلى مصالح الشعب السوري تكاد تكون معدومة في هذه المبادرات، فضلاً عن رؤية الثوّار للدولة.

إنّ دور النظام السوريّ في إفشال جميع المبادرات التي يُحتمل أن تُقبل من قبل الثوّار دورٌ رئيسٌ في دفن تلك المبادرات قبل ولادتها، وممّا هو معلوم؛ فإنّ غياب الرؤية الشاملة لدى الإسلاميين من الثوّار، والاختلاف الحاصل بين فصائلهم في أصل المفاوضات والاتّفاقات السياسيّة شكّل أرضيّة ملائمة لتطاول دول العالم على احتياجات الشعب السوريّ.

والواقع الذي يعيشُه الشعبُ السوريّ الأبيّ يجعل السياسيّ في موقف حرج، فهو من ناحية يرى المعاناة العظمى التي يعيشُها شعبٌ عُدِمَ أسباب الحياة لعقود، وفي الوقت ذاته يرى إصرار هذا الشعب وهو يُخرج قتلاهُ من بين أنقاض رُكام بيوته المتهدِّمة، فلا يملكُ التنازل عن حقوق معركة صارَ كلُّ واحد من أبناء الشعب السوريّ يعدّها شخصيّةً، ولا يملكُ في الوقت ذاته أن يُلزم هذا الشعب بمزيد من التضحيات والصبر، لكن لا يُمكن لأحد أن يرفض مبادرة توقفُ شلالات الدماء، وتُعطي الثوّار حقوقهم في بناء الدولة السوريّة التي يطمحون إليها.

دور الإخوان في سورية

● هل من توضيح لدور جماعة الإخوان المسلمين في سورية منذ بدء الثورة وحتى الآن؟

– إنّ انتماء الشعب السوري لأمّته ولدينه انتماءٌ متوارثٌ دفع أبناء هذا الشعب إلى التمسّك بالثوابت الدينيّة والبحث عن النموذج، ولمّا بدأت الثورة كان أكثر الثائرين من المنتمين للخطّ الإسلاميّ الوسطيّ المعتدل، ولهذا كانت شعاراتُها: «قائدنا للأبد سيّدنا محمّد»، و«يا الله ما لنا غيرك يا الله»، وغيرها من الشعارات

التي تُعبّر عن الكبت الديني الذي وجد الثائرون في الثورة مجالاً للتنفيس عنه.

ثمّ حين ظهرت الحركات الإسلاميّة المقاتلة المتشدّدة على أرض الشام – التي أضرّت بمسيرة الثورة سياسياً وإنسانياً – كان هناك نفورٌ عامٌّ من التعامل معها، وطفق الناس يبحثون عن الإسلام الوسطيّ المعتدل فوجدوا نموذج ذلك في الإخوان المسلمين وغيرهم من الجماعات التي تنتمي فكرياً للإسلام الوسطيّ.

ولقد بذلت جماعة الإخوان المسلمين من أموال المنتسبين لها القاطنين في مختلف دول العالم أكثر ممّا تستطيعُه دول، وبفضل الله تعالى، وبسبب تكاتف أبناء الجماعة، ودعمهم لمن مرّوا بمثل معاناته منذ ثلاثين عاماً استطاعت الجماعة أن تكون أكبر داعم للثورة السورية، كما أنّ قيام بعض نُشطاءً شباب الجماعة في مختلف دول العالم وفي دول الجوار بتأسيس جمعيّات خيريّة ساهم بشكل مباشر في دعم الثورة السوريّة، وهذه المؤسّسات التي يُديرُها هؤلاء من أكثر المؤسّسات مصداقيّة ووطنيّة وشفافيّة، ولذلك فقد حازت على ثقة المتبرّعين والمستفيدين. وقد التزمت الجماعة دعم جميع أبناء الشعب السوريّ نظراً للمعاناة الإنسانيّة المشتركة بين أبنائه بمختلف مناطقهم وطوائفهم وانتماءاتهم الفكريّة والسياسيّة، دون إبراز لمصدره، فكثيرٌ من الدعم الذي يصل للداخل السوريّ يأتي عن طريق الجماعة وبجهود أبنائها؛ دون أن يعلم المستفيدون أنّه من الجماعة وأبنائها.

معاناة اللاجئين

● ماذا عن اللاجئين ومعاناتهم جراء القصف المستمر من قبل شبيحة «بشار»؟

– اضطرّ كثيرٌ من أبناء الشام إلى الهجرة بسبب ظروف الحياة شديدة الصعوبة التي عاشوها في مناطقهم التي تعرّضت للقصف والحصار والاشتباكات؛ فخرجوا بأنفسهم وأموالهم وتركوا ديارهم حفاظاً على أرواحهم وأعراضهم، وانتقلوا إلى دول الجوار وغيرها من الدول التي استقبلت في بداية الثورة أعداداً من المهاجرين، لكنّ تعامل أكثر تلك الدول مع أبناء الشام كان دون المستوى الإنسانيّ المعقول! فكان التضييق والحصار والمنع من العمل والاستغلال البشع عناوين التعامل مع المهاجر السوريّ! ولذلك فقد فضّل كثيرٌ من المهاجرين إلى مختلف بلدان العالم أن يُلقوا بأنفسهم وأبنائهم في البحر لتأكلهم الحيتان على أن يعيشوا في تلك الدول.

لقد كانت الأعداد المهولة للمهاجرين سبباً في زيادة معاناتهم، فقد كانت الأعداد تزداد بالآلاف في كلّ ليلة، ممّا سبّب حملاً مضاعفاً غير متوقّع على الدول المضيفة، وقد كان الدور التركيّ مشهوداً في احتواء أكبر عدد من المهاجرين بلغ الملايين، وكانت استضافتهم بصورة لائقة نسبياً، هوّنت على بعض اللاجئين ألم اللجوء وصعوبة الغربة.

أمريكا تدعم «الأسد»

● تبدو روسيا في العلن داعمة لنظام «بشار الأسد»، لكن الواقع وفق كثير من المحللين أن أمريكا هي من تدعم «الأسد».. ما رأيكم بذلك؟

– من المفارقات العجيبة أن يتمّ التصالح بين الإيرانيّ الذي يقوم بدور مكشوف في بلاد الشام، وبين الأمريكيّ الذي يزعم أنّه يسعى لإنهاء المعاناة الإنسانيّة للمواطنين السوريّين، وممّا لا يفوتُ على العقلاء أنّ المصالحة كانت على شرف الوضع السوريّ، فالتدخّل الإيرانيّ السافر في صدّ ثورة أهل الشام كان حافزاً لأمريكا ودول الغرب على المصالحة مع إيران، وإثباتاً لحُسن النوايا من جهة الإيرانيّ.

إنّ دور «بشّار الأسد» ونظامه في العمالة دورٌ تاريخيّ، ومن باع الجولان لا يصعب عليه أن يبيع سوريّة كلّها.

إنّ الدور الأمريكيّ في سياسة العالم يفرض علينا أن نفهم أنّ الرغبة الأمريكيّة هي التي توجّه النظام السوريّ لإلقاء براميله المتفجّرة على رؤوس أهل السُّنة في بلاد الشام، ويُلزمنا هذا الدور أن نوقن أنّ الأمريكيين هم الذين يُريدون للطغاة أن يستمرّوا في التحكّم في رقاب شعوبهم.

انقلاب مصر

● بماذا تفسر دعم الانقلاب في مصر لنظام «بشار الأسد»؟

– بعض الدول التي تخشى على نفسها من الثورات وتخاف «الربيع العربيّ» أن يدخل إليها ما تزال تدعم الثورات المضادّة، وتدعم الأنظمة القمعيّة، ولذلك فقد وجدنا دعماً من بعض الأنظمة العربيّة للنظام السوري، ومن أبرز تلك الأنظمة التي تدعمه علانيةً نظام الانقلاب المصريّ القائم حالياً، وقد وصلتنا معلومات مؤكّدة عن وجود أسلحة مصريّة تُلقى على الثوّار السوريّين، وعلى مشاركة نظام الانقلاب في الدعم اللوجستي للطاغية في بلادنا، أمّا الدعم السياسيّ للنظام السوريّ من قبل نظام الانقلاب في مصر فلا يكاد يخفى على أحد.■

دور الأمة تجاه سورية

● ما المطلوب من العرب والمسلمين تجاه الشعب السوري؟

– الثورة السوريّة ليست ثورة السوريّين وحدهم، والمعركة ليست معركتهم! والمستفيد منها إن كتب الله لها النجاح ليسوا أهل الشام فحسب، بل هي معركة الأمّة، والنصر فيها نصرٌ للأمّة، والهزيمة – لا قدّر الله– هي هزيمةٌ للأمّة، واستمرار للمدّ الشيعيّ الرافضيّ المجوسيّ على بلاد المسلمين كلّها، ستبتلع إيران الخليج العربيّ بعد أن تأكل الأردنّ بلقمة واحدة، ستنقضّ إيران على مصر وبلاد المغرب الإسلاميّ كلّه في عُجالة، ستنطلقُ شرقاً لتُنهي الحنفيّة في باكستان والهند؛ لتصبحان شيعيتين في زمن قياسيّ.

إنّ التهاون في دعم ثورة الشعب السوريّ سيؤدّي إلى أن يقول العالم العربيّ والإسلاميّ: أُكلتُ يوم أُكل الثور الأسود!■

الحصار والمنع من العمل والاستغلال البشع عناوين التعامل مع المهاجر السوري

الانقلاب في مصر يدعم «بشار الأسد» بالسلاح والعتاد

أمريكا توجه النظام السوري لإلقاء براميله على رؤوس أهل السُّنة بالشام

التهاون في دعم ثورة الشعب السوري سيؤدي لاستمرار المد الشيعي وسيطرة إيران على بلاد المسلمين بأسرها

تونس..

الحريات الدينية تصارع من أجل البقاء

تونس: عبدالباقي خليفة

يبدو أن السفينة التونسية ورغم مرور نحو ٥ سنوات على اندلاع الثورة (١٧ ديسمبر٢٠١٠/ ١٤ يناير ٢٠١١م) لم ترسُ على شاطئ الاستقرار بعد، وذلك بسبب محاولات الحرس القديم استعادة هيمنته على الساحة سياسياً، وإعلامياً، وثقافياً، وعلى كافة المستويات.

الأسعد عبيد

د. نور الدين الخادمي

الشيخ شهاب الدين تليش

الشيخ رضا الجوادي

حيث لا تزال التجاذبات مستمرة، بل تزداد ضراوة مع استفحال الأزمة الاقتصادية، ووصول المديونية إلى أرقام قياسية غير مسبوقة (٨٤٪ من الناتج المحلي)، واتساع دائرة العنف المسلح وتنوعها، وتواصل محاولات فرض نمط مجتمعي على البلاد رغم ثبوت فشله من خلال النتائج المدمرة التي أفضى إليها، ومنها ارتفاع معدل البطالة (١٨٪) في أوساط الخريجين، وازدياد نسب تعاطي المخدرات والمسكرات بين الشباب، وتضاعف نسب الطلاق، وفي الوقت نفسه العنوسة، وتعاقب أجيال ضحلة التحصيل المعرفي، بعد سياسة تجفيف الينابيع، فاستبدلت سكرة الحلاج، رداً على بطش الحجاج، برفع الكلاشنكوف في وجه من رأته «جينكيز خان العصر»، حسب أدبيات معروفة في هذا السياق.

العنف والتجاذبات

أسباب كثيرة، وراء تفشي ظاهرة العنف المسلح أو الإرهاب، لعل أهمها ضعف أو غياب الإطار الديني الصحيح، لدى كثير من الشباب، ونشر البعض من العلمانيين أفكاراً منافية للدين ومضادة له بل معادية ومعلنة ذلك العداء، وقد أفرز ذلك نوعين من الشباب؛ أحدهما لجأ للمخدرات والسلبية والضياع، وفي أحسن الحالات يعيش لنفسه وحسب، ونوعاً آخر حمل السلاح رداً على ما يراه مخالفاً للدين ومحارباً له، ومع تلقي المعرفة الدينية عبر الإنترنت ومن جهات خارج تونس لها قراءتها للواقع وكيفية التعامل معه، تفاقمت هذه الظواهر، ولم تسلم هذه الظواهر من توظيف، ولم تخلُ من تجاذبات؛ حيث استغلتها بعض الأطراف العلمانية للدفع باتجاه التضييق على الحريات الدينية، لاسيما بعد جريمة مقتل السياح في سوسة نهاية يونيو الماضي.

وبحكم تأثير العلمانيين على البعض في مؤسسات الدولة المختلفة، فقد تم إغلاق ٤٢ مسجداً، وعزل عدد من الأئمة والخطباء، من بينهم ثلاثة من كبار الدعاة في تونس، هم: الوزير الأسبق للشؤون الدينية د. نور الدين الخادمي، والشيخ البشير بن حسن، والشيخ رضا الجوادي، وجميعهم من أصحاب الفكر الوسطي، الذي لا يشك في علمهم ووسطيتهم، وفهمهم للواقع، واعتمادهم مقاربات مقاصدية نظراً للوضع الراهن الذي تعيشه تونس، ليس ذلك فحسب بل تم منع المصلين في رمضان من أداء صلاة التهجد وأداء سُنة الاعتكاف بالمساجد، ومنع أداء صلاة العيد بالمصليات والساحات العامة بخلاف ما دأب عليه المسلمون في شتى أصقاع العالم، وفق ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

كما تم منع دروس دينية بمساجد، وخرق الاتفاق الموقَّع بين نقابة الأئمة والوزير بتاريخ ١٥ أبريل الماضي، وهو ما بدا للكثيرين عودة إلى سياسة العهد الاستبدادي البائد، والعودة لسياسة التدخل الأمني في شؤون المساجد، من خلال مطالبة المسؤولين الدينيين (الوعاظ) بكتابة تقارير أمنية دورية حول الأئمة والخطباء، فضلاً عن عزل كثير من الخطباء؛ وهو ما آثار حالة من القلق داخل المجتمع، الذي لا تزال آثار السياسات القمعية تلقي بظلالها على ذاكرته الجماعية.

ردود الأفعال

وقد مثلت هذه الإجراءات وهذه الممارسات التي تعد مساساً خطيراً بالحريات العامة والحرية الدينية خاصة، رافداً جديداً لحالة الاحتقان والتوتر والغضب الشديد في المجتمع، لاسيما المناطق التي شهدت اعتداءات، وداخل أوساط المجلس النقابي الوطني لأئمة المساجد، الذي بادر بالتوجه إلى رئاسة الدولة، ورئاسة الحكومة، ورئاسة مجلس نواب الشعب (البرلمان) بعدد من الرسائل ضمنها بعض المطالب، ومن أهمها: العزل الفوري لوزير الشؤون الدينية عثمان بطيخ، باعتباره خطراً كبيراً على السلم الأهلي، وفق ما جاء في بيان للمجلس، حصلت «المجتمع» على نسخة منه، وإعادة الفتح الفوري للمساجد التي تم إغلاقها، وتسوية الأوضاع الإدارية المتعلقة بتلك المساجد، وإرجاع الأئمة المعزولين منذ شهر رمضان الماضي إلى سالف نشاطهم، ووقف العمل بقانون المساجد لسنة ١٩٨٨م لتعارضه مع الدستور الحالي، ولمساسه بالحريات العامة.

وكذلك التعجيل بتكوين لجنة مشتركة بين الوزارة والمجلس النقابي لدراسة تفعيل الاتفاقات المبرمة، وضبط دور الوعاظ في إدارة الشأن الديني، والقطع مع الممارسات الاستبدادية السابقة، وفك الارتباط بين وزارة الشؤون الدينية، ووزارة الداخلية في تعيين الموظفين في المساجد ومراقبتهم، والتنفيذ الفوري لكافة بنود الاتفاق المبرم مع وزارة الشؤون الدينية في ١٥ أبريل ٢٠١٥م، وأيضاً وضع معايير واضحة لانتداب الموظفين بالمساجد تراعي الكفاءة لا الولاء السياسي، وتسوية الأوضاع الإدارية لكل الموظفين الناجحين في الاختبارات.

وكان المجلس النقابي الوطني لأئمة المساجد قد وقع اتفاقات مع وزير الشؤون الدينية الحالي عثمان بطيخ، يقضي بعدم المساس بأي حرية من الحريات الدينية المكتسبة بعد الثورة، وإعادة تكليف الأئمة المعزولين تعسفياً إذا أعربوا عن استعدادهم والتزامهم باحترام القانون، والمبادرة بتسوية أوضاع المساجد بما يوافق القانون بدلاً من إغلاقها، وتكليف الأئمة والخطباء الذين نجحوا في الاختبارات المنظمة عن طريق هياكل الوزارة وإدارتها، ومشاركة المجلس الوطني النقابي الوطني للأئمة في اللجان الوطنية والجهوية والمحلية المتعلقة بالاختبارات وتعيين الأئمة أو عزلهم، وفي مجالس التأديب واللجان القانونية المتعلقة باقتراح القوانين والتشريعات.

وأيضاً المرونة في فتح المساجد عند تحمل الإمام لمسؤوليته في حماية بيت الله من كل مخالفة للقانون أو ما له علاقة بالعنف والإرهاب والتطرف، والسماح بتنظيم سُنة الاعتكاف بالمساجد بالتنسيق مع السلطة الجهوية وممثلي وزارة الشؤون الدينية، وتنظيم صلاة العيد بالمصليات بما يضمن احترام القانون وعدم غلق أي مسجد لمن يريد الالتحاق بالمصليات.

وقد وافق على الاتفاق، الذي حصلت «المجتمع» على نسخة منه، كل من وزير الشؤون الدينية عثمان بطيخ، والكاتب العام للمجلس النقابي الوطني للأئمة وإطارات المساجد الشيخ شهاب الدين تليش، وبدا ذلك الاتفاق مهماً على صعيد الانفراج، وتجنيب البلاد المزيد من القلاقل التي تسبب فيها، ما يوصفون بجماعة «النمط»؛ وهم الذين يكثرون من الحديث عن نمط يودون تكريسه في تونس، منذ أكثر من ستة عقود رغم كل الكوارث التي حلت بالبلاد بسبب ذلك ونتيجة له.

خيارات مفتوحة

لكن لم يتم احترام الاتفاق المبرم؛ نظراً لوجود ضغوط على الوزير من جهات علمانية، وأخرى في السلطة، مما حدا بالمنظمة التونسية للشغل، التي ينضوي تحتها المجلس النقابي الوطني للأئمة إلى طلب لقاء مع رئيس مجلس نواب الشعب، ووزير الشؤون الدينية، ورئيس الحكومة، وقد تمت مقابلة رئيس مجلس نواب الشعب، ورئيس الحكومة، ووعدا بحل الإشكاليات، إلا أن وزير الشؤون الدينية تهرب من لقاء وفد المنظمة التونسية للشغل، الذي استعاض عن تنظيم وقفة احتجاجية يوم ٥ أغسطس ٢٠١٥م بمثل تلك اللقاءات؛ نظراً لحالة الطوارئ التي أعلن عنها رئيس الجمهورية.

> غياب الإطار الديني الصحيح وراء تفشي ظاهرة العنف المسلح والإرهاب
>
> الأفكار العلمانية المعادية للدين أفرزت نوعين من الشباب أحدهما لجأ للمخدرات والسلبية والآخر حمل السلاح

وبعد تهرب وزير الشؤون الدينية من لقاء وفد المنظمة النقابية، قررت المنظمة في مؤتمر صحفي، حضرته «المجتمع»، يوم ٦ أغسطس ٢٠١٥م ما يلي: النضال المستمر بالطرق القانونية والسلمية لنصرة الحقوق المشروعة للأئمة، ومواصلة العمل للمحافظة على استقلالية الخطاب الديني عن التسلط الحزبي والوصاية الأيديولوجية، ورفع شكوى إلى منظمة العمل الدولية ضد الحكومة التونسية رداً على الطرد التعسفي للأئمة والموظفين بالمساجد المنخرطين بالمنظمة التونسية للشغل، والتقدم بشكوى إلى المفوضية العليا لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة.

وهددت المنظمة – كما أكد رئيسها الأسعد عبيد – بتحدي الطوارئ المعلنة، وتنظيم وقفة احتجاجية بميدان القصبة الشهير، مهما كانت النتائج حتى لو وصلت إلى حد الصدام مع قوات الأمن.

ويتساءل كثيرون عما إذا كان وزير الشؤون الدينية عثمان بطيخ هو المسؤول عن التوتر المتصاعد مع الأئمة ونقابتهم والمنظمة المنضوين تحتها، والرأي العام المساند لهم، وانعكاسات ذلك على الوضع العام في البلاد، والذي يحتاج للتهدئة والتوافق وحل الإشكالات بالحوار والحجة والمنطق، أم أن هناك جهات أخرى تتحكم بالوزير وحكومة حبيب الصيد، ووزارات الدولة الأخرى، ولاسيما الداخلية، والتعليم، والثقافة، والطفولة والمرأة؟■

اليمن..

استعدادات لمعركة فاصلة أو حرب استنزاف في صنعاء ومحيطها

رشاد الشرعبي

شهد اليمن تحولات كبيرة سياسياً وعسكرياً بعد ٤ أشهر من عمليات التحالف العربي ضد مليشيات الحوثي وصالح الانقلابية، ومواجهات دامية بين المقاومة الشعبية وتلك المليشيا، خاصة في مناطق الجنوب والشرق والوسط، غير أن أبرز تلك التحولات هو دحر تلك المليشيات الذي بدأ بتطهير محافظات إقليم عدن الأربع، وإعادتها كما يبدو إلى الشمال مؤقتاً.

حسب تأكيدات قيادة التحالف العربي الذي تتزعمه المملكة العربية السعودية والسلطة الشرعية اليمنية، فإن العمليات البرية لن تتوقف عند تطهير مدينة عدن جنوبي البلاد من مليشيات الحوثي وصالح التي فر مقاتلوها من المدينة العريقة وقد صارت أطلالاً شاهدة على وحشية مليشيات غازية مدعومة من قوات عسكرية موالية للرئيس المخلوع علي عبدالله صالح ونجله الأكبر.

وبمجرد تطهير مدينة عدن التي كان الرئيس الشرعي عبدربه منصور هادي قد أعلنها عاصمة مؤقتة حينما تمكن من الفرار من أسر الحوثي وصالح بالعاصمة صنعاء، تحركت القوات العسكرية اليمنية المدعومة بآليات ومدرعات ودبابات من قوات التحالف العربي نحو محافظتي لحج والضالع شمالاً وأبين شرقاً وباب المندب غرباً وأعلنت تطهير المحافظات الثلاث بشكل تام وتمكنت – حتى كتابة هذه السطور – من تحرير ٧٠٪ من محافظة تعز.

وتزامنت تلك العمليات العسكرية مع تحركات سياسية وإغاثية تقودها السعودية والقيادة الشرعية اليمنية، تمثلت في عودة عدد من الوزراء والمسؤولين اليمنيين من مقر إقامتهم بالرياض إلى مدينة عدن؛ لمزاولة أعمالهم هناك، وزار المدينة لعدة ساعات نائب الرئيس رئيس الحكومة خالد بحاح مع وزراء آخرين، فيما كانت الطائرات والسفن السعودية وأخرى قطرية وإماراتية تصل تباعاً محملة بمواد الإغاثة والأدوية والأسلحة والمشتقات النفطية.

تحولات نازفة

تحولات كهذه قد تكون ليست بالمستوى المتناسب مع الزمن الطويل الذي نزفت فيه دماء اليمنيين، وشهدت دماراً كبيراً في المدن، وانهياراً مهولاً لاقتصاد هو في الأصل هش وضعيف للغاية، لكنها كانت حافزاً لبعث الأمل في نفوس اليمنيين عموماً، والمؤيدين للشرعية والمقاومة الشعبية خاصة، وتصاعدت معها العمليات ضد المليشيات متجاوزةً مناطق الجنوب والشرق والوسط إلى مناطق إقليمي أزال وتهامة والمحافظات المحيطة بها كصنعاء وذمار وعمران والحديدة.

حالة انهيار تام تشهدها مليشيات الحوثي وصالح مع اشتداد الضربات عليها، وارتفاع حجم خسائرها البشرية؛ الأمر الذي دفعها للبحث عن مجندين جدد عبر مكبرات الصوت في شوارع مدينة صنعاء، وعقد صفقات مع المشايخ، وتنظيم عمليات تعبئة دينية في محافظات عمران وذمار وصنعاء وصعدة وحجة؛ وهي المحافظات الأبرز التي تضخ المقاتلين للجماعة وحليفها صالح في مواجهة ما تسميه هذه المليشيات «العدوان السعودي الأمريكي الصهيوني وقتال الدواعش التكفيريين»، على حد زعمها.

وتبدو محافظة تعز الوقعة في الجنوب الغربي لليمن هي المحطة الأبرز في المعركة خلال الأيام القليلة القادمة، حيث إنها ظلت عصية على السيطرة والاجتياح أمام المليشيات منذ مارس الماضي، وخاضت المقاومة في عاصمة المحافظة (مدينة تعز) معارك طاحنة مع المليشيات التي تستخدم مؤسسات الجيش والأمن وأسلحتها وقدراتها وعجزت عن الوصول إلى وسط المدينة، وظلت أجزاء كبيرة منها تحت سيطرة المقاومة الشعبية والجيش المؤيد للشرعية، واستمتعت المليشيات بقصف الأحياء السكنية واستهدافها بالقناصة، بالإضافة إلى الحصار المطبق عليها وحرمانها من الكهرباء ومياه الشرب والبنزين والدواء والمواد الغذائية، وهي عاصمة أكبر المحافظات كثافة سكانية على الإطلاق.

تعز على طريق الحسم

وتأتي أهمية تعز، العاصمة الثقافية للبلاد، كإحدى محافظات ما كان يعرف باليمن الشمالي قبل اندماجها مع اليمن الجنوبي عام ١٩٩٠م، وينتشر أبناؤها في الشمال والجنوب كرواد في السياسة والتجارة والإدارة، ويتميزون بالوعي والروح الثورية؛ ما جعلها المدينة التي أشعل شبابها ثورة ١١ فبراير ٢٠١١م ليتلقف شباب اليمن، في العاصمة صنعاء ومدن أخرى وبينهم نسبة كبيرة من أبناء تعز، ثورة أدهشت العالم بسلميتها في مواجهة قمع الرئيس المخلوع، وأنهت ٣٣ عاماً من حكمه لليمن الذي وصل إليه من تعز ذاتها حيث كان حاكمها العسكري آنذاك.

المحطة الأخرى للمعركة المحتدمة بين القوات اليمنية ورجال المقاومة الشعبية مدعومة من التحالف العربي بقيادة السعودية من جهة، ومليشيا الحوثي وصالح من جهة أخرى، هي محافظة مأرب الواقعة شرقي البلاد، والتي تخوض معارك على أطراف عاصمتها من عدة جبهات منذ أكثر من ٥ أشهر، وهي المحافظة الصحراوية الغنية

مليشيات الحوثي وصالح تعاني انهياراً تاماً مع اشتداد الضربات عليها وارتفاع حجم خسائرها البشرية

عمران وذمار وصنعاء وصعدة وحجة.. أبرز المحافظات التي تضخ المقاتلين للمليشيات المتمردة

بالنفط والغاز الطبيعي المسال، وفيها محطة الكهرباء التي تنير العاصمة صنعاء وغالبية المحافظات.

لمأرب أهميتها الموازية لتعز من حيث إنها ظلت عصية على الاجتياح رغم السبق إلى محاصرتها والهجوم عليها إلى جانب انتماء أهلها للمذهب الشافعي (السُّني) في محيط ينتمي للمذهب الزيدي (الشيعي)، وحاول الحوثي وصالح تقديمها كوكر لـ «تنظيم القاعدة» لتبرير الهجوم عليها باستخدام أسلحة الدولة خاصة الطيران؛ ما كان أحد الأسباب التي أدت إلى مهاجمة الحوثيين للرئيس هادي في منزله بصنعاء واضطراره لتقديم استقالته أثناء وضعه قيد الإقامة الجبرية في فبراير ٢٠١٥م.

مأرب ممر لصنعاء

تعد مأرب الشريان الرئيس لشرق اليمن، وخاصة محافظة حضرموت النفطية (تشكل ثلث مساحة اليمن ٥٥٠ ألف كيلومتر)، وعبرها إلى حضرموت أيضاً يبقى منفذ الوديعة الوحيد الذي يربط بين اليمن والسعودية في الوقت الحالي وتسيطر عليه قوات موالية للرئيس هادي في ظل إغلاق بقية المنافذ البرية بين البلدين في محافظتي حجة وصعدة، وتعرضت لغارات جوية وقصف مدفعي من جانب السعودية بعد استهداف مليشيات الحوثي وصالح للأراضي السعودية من خلال تلك المنافذ والمعسكرات الموجودة فيها.

وتفيد الأنباء المتتابعة عن وصول قوة عسكرية كبيرة (دبابات ومدرعات) إلى منفذ الوديعة بحضرموت القريب من مأرب، وهو ما يفترض أن يكون الدعم الحقيقي لحسم المعركة في مأرب، ودحر المليشيات المهاجمة على تخومها من عدة جهات، ومن السهل في حال تحقق ذلك أن تتحرك تلك القوة باتجاه العاصمة صنعاء، وربما قبلها يكون تحرير محافظة الجوف المحاذية لمأرب وصنعاء أيضاً والتي تمتلك حدوداً واسعة مع السعودية، واستكمل الحوثيون السيطرة عليها قبل شهرين فقط في ظروف مازالت غامضة حتى اللحظة.

وبالتأكيد في حال استكمال تحرير تعز تماماً (جنوباً)، وكذلك مأرب (شرقاً)، فإن السيناريو المحتمل أن تستمر المواجهة شمالاً وغرباً بأشكال عدة على هيئة معارك تحرير كما حدث في الجنوب مع عمليات نوعية تقوم بها المقاومة الشعبية في مناطق إقليم آزال التي تتمركز فيها المليشيات وتضخ منها

عبدالملك الحوثي أثار موجة سخرية بتبريره تحرير عدن من قبضة مليشياته باستغلال ذهاب مقاتليه لقضاء إجازة العيد!

مقاتليها، وربما تدخل القبائل في هذه المعارك والتي تعيش حالة ترقب منذ أشهر وسط إجراءات تعسفية وممارسات إذلالية تطال أبناءها ومشايخها.

وفي المقابل ومع تسارع حالة الانهيار للمليشيات جنوباً، تتحدث الكثير من المصادر في العاصمة صنعاء والمحافظات المحيطة بها عن استعدادات جارية علناً لما قد يكون حرباً قادمة في داخل منطقة التمركز الأساسي لمليشيات صالح والحوثي من خلال انتشار عسكري وأمني وإعادة تموضع وإقامة متاريس وخنادق ومضاعفة عمليات الملاحقة لمن يشتبه بهم؛ ما يشير إلى أنهم يستعدون لمواجهة ما هو أكبر من عمليات ما عرف مؤخراً بالمقاومة الشعبية في إقليم آزال.

ارتباك الجماعة وعناد المخلوع

سياسياً؛ تبدو جماعة الحوثي في حالة ارتباك شديد جداً من خلال تصريحات قياداتها، وآخرها خطاب زعيم الجماعة عبدالملك الحوثي الذي بدا مشتتاً أكثر من أي وقت مضى، وتحدث عن إمكانية وجود حلول سياسية، وبرر تحرير عدن من قبضة مليشياته وحليفه صالح باستغلال ذهاب مقاتليه إلى إجازة العيد؛ وهو ما وضعه محل سخرية الناشطين اليمنيين في الوسائط الاجتماعية، حتى إن بعضهم قال: إن تحرير مدينة تعز سيكون خلال ذهاب مقاتليه لصيام الست من شوال.

وفي الاتجاه الموازي، يبدو الرئيس السابق في حالة عناد تؤكد أنه في حالة انتحار تام، مع حرصه الدائم على الظهور إعلامياً ونشر صوره التي بدا في آخرها بحالة متعبة جداً، وقد طوقت خديه لحية بيضاء بصورة متناقضة تماماً لما عرف منه الحرص الدائم على الظهور بحال أخرى طوال فترة حكمه التي امتدت حتى أواخر العام ٢٠١١م وما تلاها من سنوات، ظل حاضراً فيها بالمشهد السياسي، ويديره من خلال استمرار سيطرته على قوات الجيش والأمن والحزب الحاكم وشبكة مصالح ونفوذ على امتداد البلاد؛ وهي ما مكنته من التحالف مع جماعة الحوثي للانقلاب على نائبه السابق هادي واختطاف مؤسسات الدولة بعيداً عن الشرعية.

أيام قليلة سترسم ملامح الوضع الجديد لليمن، وسيبدو المشهد الحقيقي بوضوح من خلال سيناريو استكمال تحرير تعز ومأرب، والاتجاه نحو الحسم في معركة لن تكون سهلة في عقر دار الانقلاب على الشرعية، وإنهاء سيطرة مليشيا صالح والحوثي على اليمن كاملاً، أو انخراط شمال الشمال في حرب استنزافية قد تستمر سنوات، واشتداد عود الدولة اليمنية في مناطق الجنوب والوسط والشرق التي يشكل سكانها أكثر من الثلثين ومساحة تتجاوز ذلك.■

> محافظة مأرب من أهم المحطات للمعركة المحتدمة بين المقاومة المدعومة من التحالف العربي ومليشيات الحوثي وصالح
>
> وصول قوة عسكرية كبيرة لمنفذ الوديعة بحضرموت القريب من مأرب يشير لقرب ساعة حسم المعركة

المسجد الأقصى
يدخل مرحلة الخطر

القدس المحتلة: مراد عقل

تصاعدت وتيرة الاعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى المبارك في الآونة الأخيرة، وليس فقط من الجماعات والأحزاب اليهودية، وإنما أيضاً من السياسيين والمسؤولين وأعضاء يهود من الكنيست الصهيوني؛ مما يزيد الأمر خطورة وتعقيداً.

٧٢٧ متطرفاً يهودياً اقتحموا المسجد الأقصى في يونيو الماضي

الجماعات المتطرفة تطالب بمنح اليهود حرية الصلاة الجهرية داخل الأقصى والدخول للمسجد وقبة الصخرة المشرفة والمصلى المرواني

ولعل أخطر الانتهاكات الصهيونية في الأقصى ما حصل في الأيام الأخيرة من اقتحامات استفزازية بحماية شرطة الاحتلال بحجة الأعياد الصهيونية، وإقدام أحد اليهود الفرنسيين على رفع العلم الصهيوني في صحن الصخرة المشرفة؛ مما أدى إلى تصدي حراس الأقصى والمرابطين والمرابطات لهذا الأفّاك، وينزعون العلم منه، وقامت شرطة الاحتلال بالاعتداء على حراس المسجد وعلى المصلين والمصليات بدلاً من اعتقال هذا اليهودي المعتدي وبدلاً من منعه من رفع العلم.

ويقول خطيب المسجد الأقصى المبارك، رئيس الهيئة الإسلامية العليا الشيخ عكرمة صبري: إن ما حصل نتيجة رفع العلم الصهيوني أن تدخلت القنصلية الفرنسية بالقدس، مدعية أن رفع العلم أمر عادي وطبيعي ولا يجوز منعه واعترضت على التصدي لهذا الأفّاك، متسائلاً: لماذا هذا التدخل السافر من القنصلية الفرنسية؟ وأجاب: لأن هذا الأفّاك يحمل الجنسية الفرنسية، داعياً القنصلية أن تحاسب هذا المعتدي إن كان من رعاياها.

ويشير الشيخ صبري إلى أنه لا يحق للقنصلية الفرنسية التدخل في شؤون المسجد الأقصى، وأن هذا التدخل يعد سابقة خطيرة ويتعارض مع الأعراف الدبلوماسية ومع العلاقات الدولية، ولم يسبق لأي دبلوماسي أن تدخل في شؤون الأقصى، وأنه يتوجب على القنصلية الفرنسية الاعتذار عن تدخلها السافر المرفوض.

قانون التقسيم

وفي إطار حربه على مدينة القدس المحتلة والمقدسيين، ينفذ الاحتلال الصهيوني العديد من القوانين، ولعل أخطرها قانون تقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً وفرض السيادة الصهيونية عليه، والذي يهدف إلى تغيير الوضع الراهن للمسجد بالسماح لليهود بالصلاة فيه، وتخصيص مكان ومواعيد محددة لصلواتهم وأداء شعائرهم الدينية، هذا علاوة على قانون آخر يحظر وجود المرابطين والمرابطات في المسجد الأقصى، وهو قانون تعمل المؤسسات الأمنية الصهيونية على بلورته لملاحقة من يتواجدون في الأقصى لمنع اقتحامات المستوطنين.

وتدل إحصائية فلسطينية على أن عدد المتطرفين اليهود الذين اقتحموا المسجد الأقصى خلال شهر يونيو الماضي بلغ ما يقارب الـ٧٢٧ متطرفاً، في حين بلغ عدد المرابطات اللواتي جرى اعتقالهن من المسجد الأقصى ١٩ سيدة، وقد تم استصدار قرار بالإبعاد عن المسجد الأقصى بحق ١٣ مرابطة، إضافة إلى صدور قرار بإبعاد سيدة واحدة عن البلدة القديمة بالقدس.

ومع قدوم حكومة يمينية صهيونية جديدة، طالبت الجماعات اليهودية المتطرفة هذه الحكومة بإغلاق المسجد الأقصى أمام المسلمين، وذلك فيما يسمى بـ «ذكرى خراب الهيكل» الذي صادف يوم ٢٠١٥/٧/٢٦م، كما طالبوا بمنح اليهود المقتحمين حرية الصلاة الجهرية داخل المسجد الأقصى المبارك!

ولم تقتصر أطماعهم العدوانية على ذلك، وإنما يطالبون بحرية الدخول إلى الأقصى المسقوف ومسجد قبة الصخرة المشرفة والمصلى المرواني وغيرها من المصليات المسقوفة.

وتفيد الاستطلاعات الأخيرة بأن ٦٣٪ من الشارع الصهيوني يطالبون ببناء الهيكل الخرافي المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك!

ولم يكتفِ الاحتلال باعتداءاته واستفزازاته، بل قام بترويج إشاعات أطلق عليها اتفاقات أو تفاهمات مع الحكومة الأردنية حول السماح لليهود بدخول المصليات المسقوفة.. كما روج إشاعات حول تشكيله إطاراً مشتركاً بينه وبين الحكومة الأردنية بالتنسيق مع سلطة الآثار الصهيونية للتنقيب عن آثار يهودية في المسجد.

الأقصى يناديكم

ورداً على تلك الإشاعات، أصدرت الهيئة الإسلامية العليا وثيقة المسجد الأقصى المبارك تحت عنوان «الأقصى يناديكم» من أجل تعميمها عالمياً ومحلياً.

ومما جاء في الوثيقة والتي حصلت «المجتمع» على نسخة منها: يروج الاحتلال في الآونة الأخيرة إشاعات يطلق عليها اتفاقات أو تفاهمات مع الحكومة الأردنية حول السماح لليهود بدخول المصليات المسقوفة، كما ويروج الاحتلال إشاعات حول تشكيله إطاراً مشتركاً بينه وبين الحكومة الأردنية بالتنسيق مع سلطة الآثار الصهيونية للتنقيب عن آثار يهودية في المسجد، ونحن نؤمن أن هذه الإشاعات مغرضة، وهي تكشف عن أطماع الاحتلال بحق المسجد الأقصى المبارك عبر مشاريع التقسيم الزماني ثم المكاني كإجراء محلي في بناء هيكلهم الخرافي على أنقاض المسجد الأقصى، وهكذا فإن أطماعهم العدوانية بحق الأقصى لم تتوقف عند حد معين.

وأكدت الوثيقة جملة من القضايا؛ وهي أن المسجد الأقصى المبارك – كل ما دار عليه السور – بكامل مساحته ومصلياته وساحاته، سواء أكانت تحت الأرض أم فوقها، هو مقدس إسلامي خالص وحصري ولا يوجد لليهود أو لأي طرف آخر حق ولو في ذرة تراب منه، وأن الوجود الصهيوني في القدس هو احتلال باطل وغير شرعي ولا يوجد له أي سيادة على المسجد الأقصى المبارك،

٦٣٪ من الشارع الصهيوني يطالب ببناء الهيكل المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك

الاحتلال أطلق شائعات عن إبرام اتفاقات مع الأردن للسماح لليهود بدخول المصليات المسقوفة والتنقيب عن آثار يهودية في المسجد الأقصى

وأن زوال الاحتلال عن القدس والمسجد الأقصى المبارك قادم بإذن الله تعالى، لإنهاء معاناة القدس، والمسجد الأقصى وشعبنا الفلسطيني.

وقالت الوثيقة: إنه لا يوجد لليهود أي حق للدخول إلى أي بقعة من المسجد الأقصى المبارك لا إلى مصلياته ولا إلى ساحاته، وأن مجرد الدخول يعتبر اقتحاماً واغتصاباً للحق الإسلامي العربي الفلسطيني، وهو اعتداء سافر على المسجد الأقصى المبارك وانتهاك لحرمته.

وجاء في الوثيقة أن أي اتفاق يدعيه الاحتلال مع أي طرف كان حول المسجد الأقصى المبارك هو ادعاء وهمي وباطل، ونأمل من الحكومة الأردنية إصدار بيان يدحض فيه إشاعات الاحتلال بشأن المسجد الأقصى المبارك.

وأكدت الوثيقة أن قضية القدس والمسجد الأقصى المبارك ستبقى العنصر الموحد والمجمع لمجتمعنا الفلسطيني بكل أطيافه الدينية والفصائلية، وستتصدى جميعها للاحتلال «الإسرائيلي» ولسياساته الخبيثة، وأنه مهما مارس الاحتلال من أساليب شريرة لقمع شعبنا فلن يكسر إرادتنا، وإن أمعن في قتلنا واعتقالنا وإبعادنا.

وأهابت الوثيقة بكل الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية والعالم العربي على صعيد الحكام والشعوب والعلماء الوقوف من وراء هذه الوثيقة والالتفاف صفاً واحداً لنصرة القدس والمسجد الأقصى المبارك، داعية وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية والإسلامية الارتقاء إلى مستوى الحدث والعمل الجاد على فضح جرائم الاحتلال والتصدي لأباطيله وإشاعاته.

وختمت الوثيقة بالقول: أخيراً؛ فإننا نحيي أهلنا المقدسيين والمقدسيات، وندعو إلى دعم صمودهم في أرضهم وبيوتهم ومقدساتهم، وتوفير الحياة الكريمة لهم حتى يأذن الله تعالى بزوال الاحتلال «الإسرائيلي» عنهم، والذي سيكون قريباً بإذن الله تعالى زوالاً لا رجعة فيه وغير مأسوف عليه.

حملة إعلامية

وأطلق ناشطون على صفحات التواصل الاجتماعي حملة إعلامية تحت شعار «كلنا للأقصى حراس» تنديداً باعتداءات قوات الاحتلال المتواصلة على حراس المسجد الأقصى.

بدوره، قال الشيخ كمال خطيب، نائب رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني: إن الوثيقة تشكل صرخة للعرب والمسلمين ليلتفتوا حول ما يدور في المسجد الأقصى مسرى النبي محمد عليه السلام، مؤكداً أن ما جرى من محاولة اليهودي الفرنسي رفع العلم «الإسرائيلي» بالأقصى هو جريمة.

واعتبر التصعيد الصهيوني في المسجد الأقصى أنه يؤكد أن الاحتلال يغتنم ما يعيشه الوطن العربي هذه الأيام وانشغاله بأوضاعه الداخلية، موجهاً التحية للحراس الأوفياء الذين يدافعون عن الأقصى بالنيابة عنا، رغم ما نالهم من اعتقال وضرب، وكذلك للمرابطين والمرابطات الذين يؤدون واجب الشرف كله دفاعاً عن الأقصى.

وأكد الشيخ خطيب أن إطلاق الإشاعات حول الأقصى تهدف إلى دق الأسافين، ونحن بانتظار الموقف الواضح الرافض لهذه الإشاعات، مؤكداً أن الأقصى حق خالص للمسلمين وحدهم، ولا حق لليهود فيه.

النواب العرب.. و«الكنيست»

بدوره، رفض النائب العربي في «الكنيست» الصهيوني أحمد الطيبي اقتحامات المستوطنين للمسجد الأقصى والتي ارتفعت وتيرتها خلال الأعوام الماضية، وقال: إن من يقف وراء هذه الاقتحامات هي حكومة الاحتلال، لافتاً إلى أن هناك محاولات لفرض أمر واقع جديد في الأقصى لتقسيمه زمانياً ومكانياً، وأكد أن الأقصى هو مكان للمسلمين فقط، مشيراً إلى وجود مخطط من لجنة الداخلية في «الكنيست» لتقسيم الأقصى وللسماح للمستوطنين بأداء طقوسهم الدينية أثناء الاقتحام، إلا أن أعضاء «الكنيست» العرب يُفشلون هذا المخطط ونقاشه باستمرار.

وأخيراً؛ فإن الحقيقة الماثلة أمامنا هي أنه لولا تصدي المرابطين والمرابطات لاقتحامات المستوطنين ولقوات الاحتلال لكان وضع المسجد مختلفاً الآن، رغم أن العشرات منهم يتعرضون للاعتقال شهرياً في المسجد الأقصى، دون توجيه أي تهم بحقهم.. وفي المقابل، ورغم تعرض العديد من المصلين للاعتداء من قبل المقتحمين اليهود وأتباع الهيكل، فإنهم بنظر سلطات الاحتلال أبرياء حتى تثبت إدانتهم، ولا يتم اعتقالهم إلا صورياً في بعض الأحيان.■

في إشكالية التمايز بين الشعوب وبين الذكر والأنثى

أ. د. عماد الدين خليل
مفكر إسلامي وأكاديمي عراقي

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات)، هذه واحدة من مبادئ القرآن التأسيسية في الحياة البشرية والتي تؤكد فكرة «التنوّع» بين الأمم والأقوام والجماعات والشعوب، وتلغي مقولات «نهاية التاريخ»، كما تؤكد فكرة «التنوّع» بين الذكر والأنثى، وتلغي مقولات المؤتمرات الخاصة بالمرأة في بكين والقاهرة..

وكلتا النظريتين بخصوص نهاية التاريخ، ومساواة المرأة بالرجل، تسعى إلى تغيير خلق الله، وتقود الإنسان إلى التعاسة والشقاء.

ذلك أن إلغاء التمايز الثقافي والاجتماعي بين الأمم والأقوام والجماعات والشعوب، ومحاولة صبّها في قالب واحد، سواء على الطريقة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي المنحل الذي خرج لهذا السبب - ولغيره من الأسباب - من التاريخ، أو على الطريقة الرأسمالية الليبرالية في أمريكا، والتي نظّر لها المفكر الأمريكي «فرنسيس فوكوياما»، ثم ما لبث أن وجد أن إرغام الأمم والشعوب على التخلّي عن خصوصياتها الثقافية والاجتماعية، للحاق بالنموذج الليبرالي الأمريكي، أمرٌ يكاد يكون مستحيلاً، ولذا قام بعد سنوات قلائل من إعلانه عن نظريته تلك، بجملة من التحويرات التي أعطت للأمم والشعوب هامشاً واسعاً من التنوّع والتغاير.

والذي حدث في الاتحاد السوفييتي أن حشود الشعوب التي أرغمت على تبني النظرية الماركسية وخضعت لهيمنة روسيا الشيوعية، أرغمت على التخلي عن خصوصياتها الثقافية والدينية والاجتماعية؛ من أجل الانتماء، بمعايير المسطرة والفرجال (البرجل)، للنموذج الماركسي السوفييتي، وجرت محاولات هائلة، على مستوى الإعلام والتربية والثقافة والتعليم والسياسة والأمن لتنفيذ المطلوب، أنفقت مئات الملايين من الروبلات لتحقيق هذا الهدف، وكانت النتيجة المزيد من تشبث تلك الشعوب بأديانها وتقاليدها الثقافية والاجتماعية، ورفض الانضواء الأصمّ إلى النموذج الماركسي السوفييتي.

فلقد سبق وأن حلم «ماركس»، و«أنجلز» بنهاية للتاريخ حين تتسلّم الطبقة العمالية (البروليتاريا) مقاليد الحكم في العالم، حيث لا تغيير بعدها ولا تبديل، وحيث ستتحول جميع الشعوب المنضوية تحت المظلة الماركسية إلى شعب واحد ذي مواصفات ثقافية واجتماعية واحدة، وكأنها نتاج مصنع كبير، ثم ما لبث هذا الحلم أن تأكد زيفه وعدم قدرته على الاصطراع مع قوانين الحركة التاريخية.

الأمر نفسه حدث بالنسبة لنظرية «فوكوياما» في نهاية التاريخ، وجاءت أمريكا إلى أفغانستان والعراق بحجة نشر مبادئها الليبرالية وامتدادها فيما بعد إلى دول أخرى، ولكنها ما لبثت أن ارتطمت بالحقائق الواقعة على الأرض، وتبيّن أن إرغام الشعوب على اللحاق بالنموذج الأمريكي أمرٌ يكاد يكون مستحيلاً.

إنهم في الحالتين أرادوا تبديل معادلات الخلق الإلهي التي أعلنتها الآية المذكورة، أن الله سبحانه وتعالى جعل البشرية شعوباً وقبائل لتتعارف، أي ليتميز بعضها عن بعض، وأي مداخلة بشرية لتغيير هذه الواقعة المؤكدة والثقيلة، قاد أو سيقود العالم إلى الدمار بمستوياته كافة.

وأما إشكالية الذكر والأنثى، والتي سعت المؤتمرات العالمية التي تشرف عليها المؤسسات المشبوهة؛ الماسونية والصهيونية والعلمانية والإلحادية ودور القوادة العالمية، إلى تحقيق المساواة المطلقة بين الطرفين، وإطلاق العنان لإشباع النزوات الشاذة بما في ذلك الزواج المثلي؛ أي زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، وتدمير منظومة المفاهيم الحضارية للأسرة، وتسليم المرأة القوامة على الحياة، وإطلاق حريتها في العمل والكسب والاختلاط، والفحش والفجور، إلى مدياتها القصوى، وغير ذلك مما أقرّته توصيات مؤتمرات بكين والقاهرة وغيرها؛ الأمر الذي استفز المؤسسات الدينية الكبرى كالأزهر والفاتيكان اللذين أعلنا إدانتهما لنتائج هذه المؤتمرات، وأكدا حتمية التغاير بين الذكر والأنثى، من أجل حماية القيم الدينية والأخلاقية، وقبل ذلك من أجل حماية مؤسسة الأسرة كواحدة من أكبر المؤسسات تحضراً وتماسكاً، وقدرة على تخريج أجيال من الناس الأسوياء الذين يقدرون على تحمّل مسؤولياتهم الاجتماعية والوظيفية والحضارية في نهاية الأمر، دون أن تجنح بهم جوانح الشذوذ والالتواء النفسي والسلوكي، ورفض فكرة الزواج وإنشاء الأسرة، وإنجاب الأطفال لغرض مواصلة الحياة.

إنها باختصار شديد التقابل بين الله والشيطان، وصراع التطهر والعهر، وتقاتل النزوع التحضري مع العنف والانفلات والهمجية، وتقابل الحرية المنضبطة، مع القسر والإرغام والعبودية.

ترى.. لأيهما سيكون الانتصار؟!■

محمد يتيم يتحدث عن تجربة الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب:

ضاعفنا تمثيلنا النقابي بفضل وضوح رؤيتنا وجهود مناضلينا

حاوره: عبدالغني بلوط

على خلاف توقعات خصومه، وتوجسات مناضليه، حقق الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب، النقابة المقربة من حزب العدالة والتنمية، نتائج طيبة في انتخابات المأجورين (الموظفين) في القطاع العام، خاصة في قطاعات حساسة مثل التعليم والصحة والتجهيز والمالية وغيرها، كما قفز نوعياً وكمياً في القطاع الخاص والذي كانت تحتكره نقابات قديمة منذ عقود.

في هذا الحوار الخاص لـ«المجتمع»، يكشف الأستاذ محمد يتيم، الكاتب العام لهذه النقابة الفتية، أسرار تقدمها في الانتخابات، وطبيعة العلاقة مع حزب العدالة والتنمية الذي يقود أول تجربة للتحالف الحكومي ما بعد «الربيع العربي»، كما يبين موقف نقابته في مواضيع شائكة كانت موضوع حملة انتخابية مضادة من قبل نقابات منافسة.

● جرت انتخابات المأجورين خلال شهر يونيو، ما أهمية هذه الانتخابات بالنسبة لنقابتكم؟

– فعلاً جرت انتخابات المأجورين، والنتائج في القطاع العام تفيد بأن الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب قد ضاعف تمثيليته ضعفين وزيادة، واحتل المراتب الأولى في عدد من الجهات والقطاعات وخاصة في قطاع التعليم والجماعات المحلية التي تضم الأغلبية الساحقة من موظفي الدولة والجماعات المحلية وفي مؤسسات عمومية إستراتيجية مثل المكتب الشريف للفوسفاط واتصالات المغرب وغيرهما، كما عزز الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب تمثيله في القطاع الخاص، مما يعتبر تجربة رائدة في ولوج العمل النقابي انطلاقاً من مرجعية إسلامية وإسهاماً في تجديد الثقافة النقابية انطلاقاً من الشعار الذي نرفعه: «الواجبات بالأمانة والحقوق بالعدالة».

● توصف نقابتكم بأنها مقربة من حزب العدالة والتنمية الذي يقود التحالف الحكومي الحالي، كيف ترون ذلك؟

– نحن نعتز بالعلاقة مع حزب العدالة والتنمية باعتباره حزباً يقود التجربة الحكومية الحالية؛ أي أنه حظي بثقة الشعب، وما زال يحظى بهذه الثقة، فضلاً عن أن للحزب حساسية اجتماعية واضحة كما هو واضح في تسميته، ثانياً النقابة مستقلة عن الحزب، فليس كل أعضاء الحزب أعضاء في النقابة، وليس كل أعضاء النقابة أعضاء في الحزب وليس ذلك شرطاً، وأساس الانتماء إلى الحزب هو تصوره الأيديولوجي وبرنامجه السياسي، بينما أساس الانتماء للنقابة هو الملف المطلبي الاجتماعي؛ أي أن الانتماء إلى النقابة مفتوح ولا يشترط فيه ما يشترط في الحزب، كما أن مؤسسات النقابة وقراراتها مستقلة عن مؤسسات وقرارات الحزب، ونحن نشتغل كنقابة كسائر النقابات الأخرى ندافع عن حقوق العمال ومطالبهم، ونحتج ونمارس حقنا في الإضراب بما في ذلك في قطاعات حكومية يرأسها وزراء في العدالة والتنمية، لكن العلاقة مع الحزب رغم ذلك علاقة شراكة وتعاون في القضايا والمجالات المشتركة.

● الحكومة الحالية طبقت مبدأ «الأجر مقابل العمل»؛ مما قلص عدد أيام الإضراب في المغرب، والذي وصل إلى أرقام قياسية في الحكومة السابقة، فيما أطلقت نقابتكم شعار «أبغض النضال إلينا في النقابة الإضراب».. ما دلالات ومعاني هذا الشعار؟

– الإضراب كما هو معلوم ممارسة نقابية، وآلية من آليات إسماع مطالب الشغيلة، وهو في المغرب حق دستوري، لكننا في ثقافتنا النقابية في الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب لا نلجأ إليه إلا مضطرين؛ أي أنه من المباحات أو من الأمور التي نلجأ إليها عند الضرورة؛ أي حينما توصد أبواب الحوار في وجهنا، ويتم التمادي من قبل المشغلين في التنكر للحقوق المشروعة والمعقولة والممكنة التحقيق، وهذه الكلمات الثلاث؛ أي مشروعية المطالب ومعقوليتها وإمكانية تحقيقها ثلاثة ضوابط

في ممارستنا النضالية النقابية، وهي ترجمة لثقافتنا ومرجعيتنا على مستوى العمل النقابي، ونعتقد أنها هي القيمة المضافة التي نحملها للعمل النقابي وتجديده فكراً وممارسة.

المسألة الأخرى؛ نحن ضد توظيف العمل النقابي سياسياً، وهذا لا يعني أن العمل النقابي ليس له بُعد سياسي عام؛ بمعنى أنه يشتبك موضوعياً بالإشكاليات التي يطرحها تدبير الشأن العام والسياسات العمومية، خاصة تلك التي لها علاقة بالوضع الاجتماعي للعمال والشغيلة عامة وبالقضايا الكبرى للوطن والأمة، لكننا نقصد بالتوظيف أن يصبح ملحقة لحزب سياسي يوظف في المعارك الحزبية وخدمة المواقف الحزبية، وللأسف الشديد فقد تأثر العمل النقابي تاريخياً بالمعارك الحزبية، وما زال تاريخ الانقسامات الحزبية تتبعه دوماً انقسامات نقابية، وفي تاريخ المغرب الحديث وظف العمل النقابي إما في الصراع مع النظام السياسي أو من قبل النظام السياسي في مواجهة أحزاب المعارضة، نحن نسعى لإنهاء هذه الوضعية والاحتفاظ باستقلالية القرار النقابي عن الحزب، فهذا هو الذي سيحفظ مصداقية العمل النقابي.

هذا لا يعني أننا لا نلتقي مع الحزب في المرجعية، وفي تقييم الوضعية السياسية والاجتماعية، وفي التموقع العام في معركة الإصلاح في توجهها العام، ولذلك رفضنا أن نخوض بعض الإضرابات التي حركتها ودخلت عليها أحزاب معارضة، تقييمنا أنها تقع اليوم في الخندق المناهض للإصلاح، وتتحمل مسؤولية كبرى عن الوضع الاجتماعي الحالي، فضلاً عن أن عدداً من الرموز النقابية التي صارت اليوم قيادات حزبية معارضة هي من أكبر رموز الفساد ومقاومة الإصلاح، ، وهذا لا يعني أننا متفقون مع الحكومة في الجانب الاجتماعي ووضعية الحريات النقابية، كما يدل على ذلك استمرار الاتحاد الوطني في تنظيم عشرات من الأنشطة النضالية والاحتجاجية.

● لماذا - في نظركم - توقف الحوار الاجتماعي؟ وما تداعيات ذلك؟

– الحوار الاجتماعي لم يتوقف، وإنما هو متعثر، والمسؤولية فيه مشتركة؛ لأن الحوار ونجاحه مرتبط بإرادة حكومية نعم، ولكنه مرتبط بإرادة النقابات المشاركة الحكومة

> توظيف العمل النقابي سياسياً خط أحمر
>
> في ثقافتنا النقابية في الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب لا نلجأ للإضراب إلا مضطرين حينما توصد أبواب الحوار

الحالية بقيادة رئيسها السيد عبدالإله بن كيران الذي يتصرف بمنطق الصراحة وكرهه للمناورة والازدواجية في الخطاب أو المساومة من تحت الطاولة، وبمنطق رجل الدولة، هذا المنطق اصطدم بمنطق نقابي كان سائداً، وبمنطق ممارسة حكومية سابقة لم تعد تليق بمغرب اليوم، هذا هو السبب الحقيقي لتعثر الحوار الاجتماعي، هناك اليوم ملفات كبرى تنتظر الإصلاح من قبيل إصلاح أنظمة التقاعد، وإصلاح نظام الوظيفة العمومية، وإخراج قانون الإضراب وقانون النقابات ومنظومة الأجور، فضلاً عن إصلاح المالية العمومية للدولة، وإصلاح الاقتصاد، وإصلاح التعليم، وتطوير منافسة المقاولة الوطنية، وإصلاح الإدارة ورفع مرد وديتها وجعلها في خدمة المواطن، وهي إصلاحات بدونها لا يمكن تطوير الوضعية الاجتماعية للفئات المستضعفة من الشعب وأوضاع الشغيلة.

والنقابات بفكرها القديم تفكر بمنطق الربح الآني والمساومة كي تستمر في الصورة عوض مخاطبة الشغيلة بالحقائق بدل الأوهام ومنطق المزايدة، خاصة وأن الظرف كان ظرفاً انتخابياً، وعلى كل حال، فقد اتخذت الحكومة مؤخراً قراراً بدعوة المركزيات النقابية إلى الحوار، وستكون الحكومة والنقابات معاً أمام مسؤوليتهما الحكومة بالاستجابة للمطالب المشروعة والمعقولة والممكنة للنقابات والنقابات بتحمل مسؤوليتها التاريخية.

● نود أن نسألكم عن التجربة المغربية في التمييز بين الدعوي والسياسي، باعتباركم رئيساً سابقاً لحركة التوحيد والإصلاح، اختار بعد ذلك مساراً سياسياً ونقابياً؟

– هذا التمييز جاء بعد تجربة وممارسة طويلة ونضج تدريجي في التفكير، وهو نضج لم يكن من الممكن تصوره لولا خصوصية الوضع السياسي والنظام السياسي المغربي، والحقل الديني في المغرب حقل منظم، وهو يقع دستورياً تحت الرئاسة الفعلية للملك باعتباره أميراً للمؤمنين ورئيساً للمجلس العلمي الأعلى، ثانياً الحقل السياسي أيضاً ينظمه قانون الأحزاب الذي يمنع قيام أحزاب على أساس ديني، ويعتبر أن الجمع بين الصفة الدينية والصفة السياسية أمر لا يتم إلا على مستوى الملك.

لكن في الوقت نفسه فالأحزاب السياسية في المغرب لا يمكن أن تتأسس خارج الدستور؛ أي من خلال الطعن أو عدم الاعتراف بالنظام الملكي أو بإسلامية الدولية، وضداً على أحكام الدستور التي تقرر أن الإسلام هو أحد مقومات الحياة العامة وثوابت الدولة والأمة، ولذلك فلا تعارض بين أن يكون الحزب حزباً سياسياً وأن تكون مرجعيته هي مرجعية الدولة في نطاق أحكام الدستور، كما أن حقل إمارة المؤمنين وتنظيم الحقل الديني لم يلغ إسهام العلماء والدعاة والجمعيات في العمل الإسلامي مادام ذلك لا يتم في تعارض مع أحكام الدستور، حيث إن الدستور إنما يتكلم عن احتكار المجلس العلمي الأعلى للفتوى العامة تحت إشراف إمارة المؤمنين.

من هذا المنطلق اهتدينا إلى التمييز بين العمل السياسي بما في ذلك العمل النقابي تمييزاً على ثلاثة مستويات؛ تمييزاً على مستوى مجالات العمل، وتمييزاً في الخطاب، حيث للعمل الدعوي مجالاته وخطابه ورموزه، وأيضاً نفس الشيء بالنسبة للعمل السياسي والحزبي.. كما أننا منعنا الخطباء ورموز الدعوة من العمل الحزبي والمشاركة في الانتخابات أو استخدام المساجد في الدعاية للحزب، كما أنه من خلال الممارسة طورنا في العمل السياسي والنقابي خطاباً سياسياً ونقابياً ينطلق دون شك من المرجعية ولكنه لا يتكلم باسمها أو يحتكرها، بل يعتبرها إرثاً مشتركاً لكل المكونات السياسية والنقابية ما دامت تشتغل تحت سقف الدستور.■

الطريق إلى الانتخابات المبكرة في تركيا

د. سعيد الحاج

بعد أكثر من شهرين من الانتخابات البرلمانية التي رسمت مشهداً سياسياً جديداً في تركيا، يبدو أن كل الطرق تؤدي إلى الانتخابات المبكرة، بعد أن ثبت فشل الأحزاب السياسية المختلفة - بقيادة العدالة والتنمية أو بدونه - على الاتفاق على حكومة ائتلافية تقود البلاد إلى بر الأمان؛ مما يطرح أسئلة وجيهة ومنطقية، بل وضرورية حول السيناريوهات الممكنة حتى لحظة الانتخابات، إضافة إلى انعكاسات ذلك على المشهدين السياسي والاقتصادي في تركيا، فضلاً عن سياستها الخارجية.

ذلك أن انتخابات السابع من يونيو كانت قد أنتجت معادلة سياسية جديدة في البلاد، أفقدت العدالة والتنمية الأغلبية البرلمانية التي أهّلته على مدى ١٣ عاماً لتشكيل الحكومة بمفرده، وصياغة رؤية وهوية وسياسة تركيا دون شريك أو منافس، وهو ما كان أحد أهم عوامل نجاح التجربة التركية الحديثة.

لقد ثبتت الانتخابات الأخيرة حزب الشعوب الديمقراطي ذا الجذور الكردية كأحد أعمدة الحالة السياسية التركية، وهو ما عنى عدة أمور مهمة لفهم الواقع التركي وتطوراته الأخيرة:

الأول: ارتفاع عدد الأحزاب التركية الممثلة في البرلمان من ثلاثة إلى أربعة؛ وهو ما حرم الحزب الحاكم من عدد النواب الذي كان يكسبه وفق قانون الانتخاب التركي؛ وهو أمر مرشح للاستمرار والتكرار في أي انتخابات قادمة.

الثاني: استقرار المشهد السياسي الداخلي لفترة مستقبلية ليست بالقصيرة على هذه الأحزاب الأربعة، وما تمثله من تيارات سياسية وفكرية، بحيث يمثل العدالة والتنمية الحزب الرئيس للمحافظين، والشعب الجمهوري المعقل الأهم للعلمانيين، والحركة القومية الحزب الأساس للقوميين، ويمكن بالتأكيد قول نفس الشيء وبدرجة أعمق عن حزب الشعوب الديمقراطي والأكراد.

الثالث: التصويت على الهوية، وارتفاع رصيد الأحزاب القومية، حزب الشعوب الديمقراطي عن الأكراد (بمن فيهم الإسلاميون وغير اليساريين منهم) وحزب الحركة القومية عن الأتراك، وما رافقه من تراجع لحزبي الوسط (العدالة والتنمية والشعب الجمهوري)، وهو مؤشر خطير من الناحية الإستراتيجية إن قدر له الاستمرار والزيادة في المنافسات الانتخابية المقبلة.

محاولات تشكيل الحكومة

لا يحدد الدستور التركي المعمول به منذ عام ١٩٨٢م خطوات واضحة في مسار تشكيل الحكومة، بل لا يشترط تكليف الرئيس لرئيس الحزب المتقدم في الانتخابات بتشكيلها، لكن الأعراف والتقاليد السياسية المراعاة في البلاد تاريخياً كانت تفرض ذلك.

وعليه، فقد كلف «أردوغان» في التاسع من يوليو الماضي رئيس حزب العدالة والتنمية «أحمد داود أوغلو» بتشكيل الحكومة، خلال مهلة دستورية مدتها ٤٥ يوماً، انتهت في ٢٣ أغسطس الماضي، التقى خلالها الأحزاب السياسية الثلاثة الممثلة معه في البرلمان، ووصل إلى قناعة مفادها أن الائتلاف مع الشعوب الديمقراطي غير ممكن، بينما فضل الحركة القومية البقاء خارج أي صيغة حكومية، وهو ما ترك العدالة والتنمية أمام خيار وحيد هو الشعب الجمهوري.

خمسة لقاءات مطولة على مدى أكثر من ٣٥ ساعة من المباحثات لم تكن كافية لجسر الهوة الكبيرة بين الطرفين، فلم يصلا للاتفاق على تشكيل حكومة ائتلافية اعتبرها بعض المراقبين صمام أمان لتركيا، باعتبار حصولها على أغلبية برلمانية مريحة، فضلاً عن أكبر طيفين – متضادين – في المجتمع التركي شعبياً، وهو ما كان من شأنه أن يخفف من حدة الاحتقان السياسي والمجتمعي ويقرب وجهات النظر، وفي ظل هذا الانسداد، عرض العدالة والتنمية على شريكه المفترض حكومة ائتلافية مؤقتة وقصيرة العمر لكن الطلب ووجه بالرفض، وهو نفس جواب الحركة القومية الذي عاد إليه «داود أوغلو» في محاولة أخيرة لم تكلل بالنجاح.

إذن، يبدو أن الأحزاب المختلفة لم تستطع بعد تقبل نتائج الانتخابات الأخيرة من الناحية العملية رغم تأكيدها على ذلك لفظياً في أكثر من مناسبة، فلا العدالة والتنمية بدا مستعداً للتخلي عن رؤيته ومشاريعه الكبيرة واقتسام السلطة مع المعارضة، ولا الأخيرة بدت واقعية في مطالبها وفق موازين قوى المشهد السياسي، فغالت في مطالبها التعجيزية وكثفت من خطوطها الحمراء، حتى بقيت البلاد بلا حكومة مستقرة.

ماذا الآن؟

حتى كتابة هذه السطور، كان قد تبقى من المهلة الدستورية أربعة أيام فقط، في ظل إشارات واضحة من الرئيس التركي على عدم نيته تكليف رئيس حزب الشعب الجمهوري «كمال كيليجدار أوغلو» بتشكيل الحكومة، أولاً: لأنه يرى أن الخلافات بين أقطاب المعارضة – خاصة الحركة القومية والشعوب الديمقراطي – لن تمكنه من تشكيلها، وقد كان انتخاب رئيس البرلمان دليلاً عملياً على ذلك، وثانياً: لأن أربعة أيام لن تكون كافية لتذليل العقبات العملية أمامها، وثالثاً: لأن التطورات الأمنية والاقتصادية في البلاد تفرض على الجميع العمل بجدية وعدم إضاعة الوقت

> انفراد العدالة والتنمية بالسلطة أحد أهم عوامل نجاح التجربة التركية الحديثة
>
> التصويت على الهويّة وارتفاع رصيد الأحزاب القومية مؤشر خطير من الناحية الإستراتيجية
>
> رفض الأحزاب المختلفة الانضمام لحكومة ائتلافية يشير لعدم تقبلها نتائج الانتخابات الأخيرة من الناحية العملية
>
> الاقتصاد التركي دخل مرحلة من التذبذب بعد سنوات النمو متأثراً بعدم الاستقرار السياسي والأوضاع الإقليمية الملتهبة
>
> نتائج الانتخابات المبكرة المرتقبة لا تخضع لمعايير ثابتة وإنما لظروف يوم الانتخاب وعوامل متعددة تشارك في صياغة رأي الناخب

للوصول إلى حالة من الاستقرار السياسي – ولو عن طريق إعادة الانتخابات – في أسرع وقت ممكن.

ورغم أن تطور الأحداث بهذه الطريقة دفع أحزاب المعارضة الثلاثة لاتهام العدالة والتنمية والرئيس «أردوغان» بتقصد المماطلة وتمضية الوقت لتضييق الهامش الزمني على المعارضة وفرص تشكيلها للحكومة، فإن التزامهما (أي «أردوغان» والحزب) بالمعايير الدستورية لا يتيح للمعارضة أن تترجم هذه الاتهامات إلى فرصة عملية للنيل منهما، فضلاً عن أن خلافاتها البينية تكاد تجزم باستحالة نجاحها في تشكيل الحكومة.

والحال كذلك، أي بعد فشل سيناريوهات الحكومة الائتلافية، والحكومة المؤقتة، وحكومة الأقلية، وحتى حكومة المعارضة المفترضة، لم يبقَ متاحاً فيما يبدو إلا حكومة انتخابات كما ينص الدستور التركي، وهي حكومة يكلف الرئيس إحدى الشخصيات بتشكيلها، على أن تشارك بها الأحزاب الممثلة في البرلمان وفق نسب تمثيلها فيه، وتتلخص مهامها في تسيير شؤون البلاد والسير بها نحو الانتخابات المبكرة، دون أن يكون لها صلاحيات الحكومة العادية، لاسيما التشريع.

حتى هذا السيناريو يبدو – حتى كتابة هذه السطور – متعذّر التنفيذ وفق المنصوص عليه دستورياً، من خلال إعلان كل من حزبي الشعب الجمهوري والحركة القومية نيتهما عدم المشاركة في هذه الحكومة، وهو ما يقصرها على العدالة والتنمية والشعوب الديمقراطي، إضافة إلى المستقلين والمعيّنين من قبل رئيس الجمهورية.

حسابات وأخطار

هكذا، يبدو أن حكومة الانتخابات التي يفترض أنها حل للأزمة الدستورية والانسداد السياسي في البلاد، ستتحول بحد ذاتها إلى مشكلة ذات أبعاد عدة، أهمها أنها حكومة مرهون بها مواجهة التحدي الأمني الذي يشكله حزب العمال الكردستاني من خلال عملياته العسكرية، في حين أن أحد عموديها الرئيسَيْن هو ذراعه السياسية؛ أي حزب الشعوب الديمقراطي، وهو همّ كبير لـ «أحمد داود أوغلو»، المرشح الأبرز لقيادة حكومة الانتخابات، وفق تسريبات الإعلام وتوقعات المراقبين على حد سواء.

ورغم أن هذا التفصيل جوهري وخطير

في آنٍ معاً، وينذر بأزمات مرتقبة في عمل الحكومة بسبب التناقض التام بين حزبيها الرئيسين بخصوص النظرة لحزب العمال الكردستاني والتعامل معه تحديداً؛ وهو ما قد يؤدي إلى تعمق وتمدد حالة الاضطرابات والاستقطاب في البلاد، إلا أنها ليست العنوان الوحيد الذي يدرسه صانع القرار فيما يخص الانتخابات المبكرة.

فهناك الحالة الأمنية – العسكرية المرشحة للاستمرار وربما التفاقم في البلاد، وخاصة الجنوب الشرقي ذي الأغلبية الكردية، وما يمكن أن ينتج عنها من خسائر بشرية واقتصادية وسياسية، وما يمكن أن تُقْدم عليه الحركة السياسية الكردية من خطوات لطالما هددت بها – مثل إعلان إدارة ذاتية للمناطق الكردية – في ظل حالة الفراغ السياسي والتوتر الأمني.

كما لا يجب إغفال أثر كل ذلك على وضع الاقتصاد التركي، الذي دخل في مرحلة من التذبذب مؤخراً بعد سنوات من النمو، متأثراً بعدم الاستقرار السياسي والعمليات العسكرية، وأيضاً أوضاع الإقليم الملتهبة في عدد من دول جواره، لاسيما سورية والعراق واليونان، لقد سجلت الليرة التركية مؤخراً أرقاماً قياسية في التراجع أمام كل من الدولار واليورو، وليس مستبعداً أن يستمر هذا التراجع مع اقتراب موعد الانتخابات وتواصل العمليات العسكرية داخل البلاد وعلى حدودها، خصوصاً بعد إعلان أنقرة عن نيتها الانخراط الفعلي والتام في عمليات التحالف الدولي لمكافحة تنظيم الدولة «داعش».

يبقى أن تنظيم الانتخابات في ظل الحالة الأمنية والعسكرية الحالية – في حال استمرت أو تصاعدت – مخاطرة غير مضمونة العواقب لجهة ضمان سيرها وتأمينها وقبول نزاهتها من قبل جميع الأطراف بما يؤدي إلى الاعتراف بنتائجها، وهو ما يمكنه أن يساعد في تثبيت حالة استقرار منشودة.

أما نتائج الانتخابات المبكرة المرتقبة فسؤال يحتاج بحثاً مستقلاً ونظرة معمّقة، باعتبار أن العملية الانتخابية لا تخضع لمعايير ثابتة، بل هي عملية ديناميكية متحولة، تخضع لظروف يوم الانتخاب، والعوامل المتعددة التي تشارك في صياغة رأي الناخب أو التأثير عليه، وأهمها الحملات الانتخابية للأحزاب المختلفة، ونتائج العمليات العسكرية في ميزان الإنجازات والخسائر، وانعكاسات كل ذلك على الحالة الاقتصادية، والسؤال الأبرز الذي يشغل بال الكثيرين في هذا الإطار هو: ماذا لو أفرزت الانتخابات القادمة نفس المشهد أو مشهداً شبيهاً به في شهر نوفمبر المقبل، في ظل رمادية مواد الدستور التركي إزاءه؟ وكيف يمكن لتركيا الوصول لحالة الاستقرار التي فقدتها منذ السابع من يونيو الماضي؟

هذه هي الأسئلة التي سنحتاج أن نبحر في محاولة الإجابة عنها بشيء من التفصيل في مقال العدد المقبل إن شاء الله.■

مقال

الاقتصاد الإسلامي أمل البشرية

أ.د. زيد بن محمد الرماني
* مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

رغم الأضواء الضئيلة والمحاولات المحدودة لإبراز بعض جوانب الاقتصاد الإسلامي، فإننا أصبحنا نسمع أخيراً أصواتاً أجنبية عالمية تدعو إلى الأخذ بالاقتصاد الإسلامي.

فهذا أستاذ الاقتصاد الفرنسي «جاك أوستروي» وقد بهره في الاقتصاد الإسلامي مواءمته وتوفيقه بين المصالح الخاصة والمصالح العامة، ينتهي في مؤلفه «الإسلام في مواجهة النمو الاقتصادي» إلى أن طرق الإنماء الاقتصادي ليست محصورة بين الاقتصادين المعروفين الرأسمالي والاشتراكي، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الإسلامي الذي يرى هذا المستشرق أنه سيسود المستقبل؛ لأنه على حد تعبيره أسلوب كامل للحياة، يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوئ.

يقول «جاك أوستروي»: إن الإسلام هو نظام الحياة التطبيقية والأخلاق المثالية الرفيعة معاً، وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبداً.

ومن هنا، يمكن القول: إن المسلمين لا يقبلون اقتصاداً علمانياً، والاقتصاد الذي يستمد قوته من وحي القرآن، يصبح بالضرورة اقتصاداً أخلاقياً، وهذه الأخلاق تقدر أن تعطي معنى جديداً لمفهوم القيمة، أو تملأ الفراغ الذي يوشك أن يظهر من نتيجة آلية التصنيع.

ويؤكد المفكر الفرنسي «ماسينيون» أن الإسلام يمتاز بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بفرض الزكاة التي يلزم بها الأغنياء تجاه الفقراء وبتحريمه للربا والضرائب غير المباشرة على ضرورات الحياة، إلى جانب تمسكه الشديد بحقوق الأولاد والزوجة والملكية الفردية، فهو بذلك يتوسط الرأسمالية والشيوعية.

وفي كتابه «ثلاثون عاماً في الإسلام» يقول «ليون روشي»: إن دين الإسلام الذي يعيبه الكثيرون هو أفضل دين عرفته، فهو دين طبيعي اقتصادي، أدبي، ولقد وجدت فيه حل المسألتين الاجتماعية والاقتصادية اللتين تشغلان بال العالم:

الأولى: في قول القرآن ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠) فهذه أجمل المبادئ للتعاون الاجتماعي.

والثانية: فرض الزكاة في مال كل ذي مال، بحيث يحق للدولة الإسلامية أن تستوفيها جبراً إذا امتنع الأغنياء عن دفعها طوعاً.

وهذا «لويس جارديه»، بالإضافة إلى «ورلي موند شارك» واللذان نلمس منهما إلحاحاً بضرورة العودة إلى تعاليم الإسلام ودراسة قواه الكامنة خاصة السياسية والاقتصادية.

والمؤرخ الانجليزي «ويلز»، وفي كتابه «ملامح تاريخ الإنسانية» يقول: إن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية.

ويقول «بيرقر»: إن الإسلام يدعو الناس إلى عدم الغرور بمتاع الدنيا، فهو يجمع بين التقشف والتسامح في إطار من التوازن.

أما البروفسور «وسلزر بجيريسكي» فيقول: إنني رجل متخصص في الحضارة والاجتماع، وقد أدهشتني النظم الاجتماعية التي يقررها الإسلام، وعلى الأخص الزكاة وتشريع المواريث وتحريم الربا وتحريم الحروب العدوانية، ووجدتني على توافق مع الإسلام ومبادئه التي كنت آلفها من مطلع حياتي، فلا عجب أن دخلت هذا الدين وأخلصت له.

في كتابه «وعود الإسلام»، يقول المستشرق الفرنسي «روجيه جارودي»: إن الاقتصاد الإسلامي الصادر عن مبادئ الإسلام هو نقيض النموذج الغربي الذي يكون فيه الإنتاج والاستهلاك معاً غاية بذاتها؛ أي إنتاج متزايد أكثر فأكثر واستهلاك متزايد أسرع فأسرع لأي شيء مفيد أو غير مفيد دون نظر للمقاصد الإنسانية.

ويضيف قائلاً: الاقتصاد الإسلامي يهدف إلى التوازن، ولا يمكن أن يتفق مع الرأسمالية والشيوعية بحال من الأحوال، وميزته الأساسية أنه لا يخضع للآليات العمياء، وإنما هو متسق ومحكوم بغايات إنسانية ومقاصد إلهية مترابطة لا انفصام فيها.

وهذا «توماس كاريل» في كتابه «الأبطال» يعترف بأن في الإسلام خلة من أشرف الخلال وأجلها، وهي التسوية بين الناس، فالناس في الإسلام سواء، والإسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سُنة محبوبة، بل يجعلها فرضاً حتمياً على كل مسلم وقاعدة من قواعد الإسلام، ثم يقدرها بالنسبة لثروة الرجل فتكون جزءاً من أربعين جزءاً، فتعطى الفقراء والمساكين.

وهذا المفكر المعروف «برنارد شو»، وقد بهره في الإسلام مواءمته وتوفيقه بين المصالح المادية والحاجات الروحية يردد بعد دراسة دقيقة، قوله المشهور: إنني أرى في الإسلام دين أوروبا في أواخر القرن العشرين.

بل إن المفكر الألماني «جوته» يصرخ قبله قائلاً: إذا كان هذا هو الإسلام، أفلا نكون كلنا مسلمين؟!

هذه كلها بعض اعترافات من باحثين ومفكرين وعلماء غربيين، يشهدون بما شرعه الإسلام من عدالة اقتصادية واجتماعية عن نظيرتها في الأنظمة الأخرى.

وبعد هذا كله أقول: في الوقت الذي مازلنا فيه لم نتخلص من عقدة «آدم سميث»، و«كارل ماركس»، نجد بعض الاقتصاديين الغربيين يشيدون بالاقتصاد الإسلامي، ويلتمسون نظاماً اقتصادياً ثالثاً رائداً غير الاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي، قادراً على قيادة العالم أجمع، ويضمن للإنسانية هناءتها في ظل مبادئه وأفكاره.

ولم يجدوا خيراً من النظام الاقتصادي الإسلامي القادر على حل المشكلات الاقتصادية التي هي موضوع تصارع بين النظامين الاقتصاديين في العالم الآن، لما يتمتع به من خصائص غير متحققة في غيره.■

«الـــداروينـيـة»..
في ميـزان الإسـلام

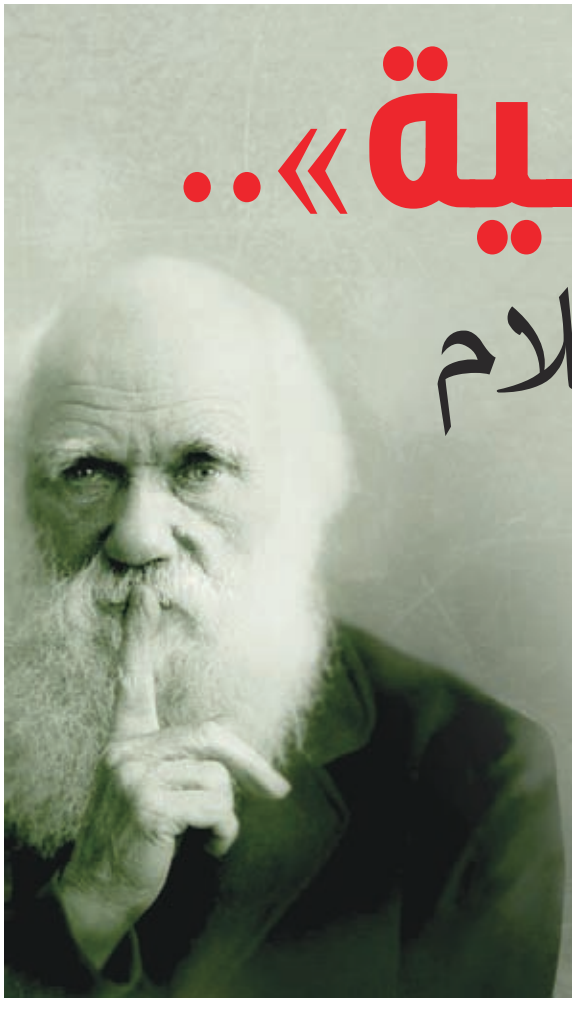

بقلم: أ. د. محمد عمارة
كاتب ومفكر إسلامي - مصر

لا أعتقد أن أمة من الأمم، أو حضارة من الحضارات، قد وقفت وتقف من النشوء والتطور والارتقاء موقف الرفض والعداء والإنكار، تستوي في ذلك - كما أحسب - كل الأمم الإنسانية، وكل الحضارات، ذلك أن الحواس الإنسانية، وكذلك العقول - وهي مشترك إنساني عام - تدرك بالبداهة آثار قوانين وظواهر وأعمال النشوء والارتقاء والتطور في كل ما يحيط بالإنسان، بل وفي ذات الإنسان، وفي فكره أيضاً.

ففي النبات نشوء وتطور وارتقاء، وكذلك في الحيوان وفي الجماد، وفي الأفكار، تلك حقائق بديهية، أقام الله عليها قصة الخلق الأول والمستمر، وكذلك الإعادة والبعث والإحياء، واتخذ منها دليلاً دعا أدوات الإدراك الإنساني - الحسية والفكرية من السمع والبصر والفؤاد - إلى إدراكها وإدراك ما تعنيه، وفاضت بالحديث عنها آيات القرآن الكريم.

فقصة الإنسان مع الوجود والتحول، قد حكمها قانون النشوء والارتقاء والتطور والتحول؛ ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ من سُلاَلَة من طِين (١٢) ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مّكِين (١٣) ثُمّ خَلَقْنَا النطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمّ إِنّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيّتُونَ (١٥) ثُمّ إِنّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)﴾ (المؤمنون)، ﴿هوَ الّذي خَلَقَكُم من تُرَاب ثُمّ من نطْفَة ثُمّ منْ عَلَقَة ثُمّ يُخْرِجُكُمْ طفْلاً ثُمّ لتَبْلُغُوا أَشُدّكُمْ ثُمّ لتَكُونُوا شُيُوخًا ومنكُم مّن يُتَوَفّى من قَبْلُ وَلتَبْلُغُوا أَجَلاً مّسَمًّى وَلَعَلّكُمْ تَعْقلُونَ (٦٧)﴾ (غافر)، ﴿الّذي أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ من طِين (٧) ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ من سُلاَلَة من مّاء مّهِين (٨) ثُمّ سَوّاهُ وَنَفَخَ فيه من رّوحه وَجَعَلَ لَكُمُ السّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئدَةَ قَليلاً مّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ (السجدة)، ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً من مّني يُمْنَى (٣٧) ثُمّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى (٣٨) فَجَعَلَ منْهُ الزّوْجَيْنِ الذّكَرَ وَالأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلكَ بقَادرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى(٤٠)﴾ (القيامة).

ومثل الإنسان في هذا النشوء والارتقاء والتطور والتحول، الجماد، والنبات؛ ﴿يَا أَيّهَا النّاسُ إِن كُنتُمْ في رَيْب منَ الْبَعْث فَإِنّا خَلَقْنَاكُم من تُرَاب ثُمّ من نّطْفَة ثُمّ منْ عَلَقَة ثُمّ من مّضْغَة مّخَلّقَة وَغَيْر مُخَلّقَة لنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقرّ في الأَرْحَام مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مّسَمًّى ثُمّ نُخْرِجُكُمْ طفْلاً ثُمّ لتَبْلُغُوا أَشُدّكُمْ وَمنكُم مّن يُتَوَفّى ومنكُم مّن يُرَدّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لكَيْلا يَعْلَمَ منْ بَعْد علْم شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ من كُلّ زَوْج بَهيج (٥)﴾ (الحج)، وذات القانون يحكم الإعادة والبعث والإحياء؛ ﴿وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَب أَرِني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمن قَالَ بَلَى ولَكن ليَطْمَئنّ قَلْبي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً منَ الطّيْر فَصُرْهُنّ إِلَيْكَ ثُمّ اجْعَلْ عَلَى كُل جَبَل منْهُنّ جُزْءًا ثُمّ ادْعُهُنّ يَأْتينَكَ سَعْيًا واعْلَمْ أَنّ اللّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ (٢٦٠)﴾ (البقرة).

وفي تراثنا القديم، نقرأ عن تجارب الأسلاف، منذ ما قبل الإسلام، في تخيرهم الأرحام لنطفهم، تحسيناً للنسل وارتقاء به وتطوراً له، وكذلك كانوا يصنعون في الحيوان والنبات، انتخاباً في اللقاح والتلقيح، وتطعيماً وتهجيناً، ومع أسلافنا وأمتنا وحضارتنا، اتفقت وتتفق - كما

أشرنا – كل الأمم والحضارات في الإيمان بحقائق وقوانين النشوء والتطور والارتقاء فالجميع إزاء المبدأ والقانون يجتمعون على هذا المشترك الإنساني العام.

مذهب التطور لدى الغرب

لكن للحضارة الغربية في مذهب التطور والنشوء والارتقاء مضامين وأبعاداً هي من صميم «الخصوصية الحضارية»، التي تميزها عن حضارتنا العربية الإسلامية، فتنفرد بها عن هذا «المشترك الإنساني العام»، وعلى سبيل المثال؛ فمن النظريات التي أدت دوراً محورياً في طبع فكر الحضارة الغربية الحديثة بطابعها، وأثرت أبلغ التأثير في مختلف ميادين هذا الفكر، حتى غدت بمثابة المنطلق والفلسفة لكثير غيرها من النظريات الأساسية التي مثلت قسمات الفكر الغربي الحديث، تلك التي صاغها «تشارلز داروين» (١٨٠٩ – ١٨٨٢م) للتطور والنشوء والارتقاء في كتابه الشهير «أصل الأنواع»، وفي هذه «الداروينية» – سواء عند مُنشئها، أو عند تلاميذه بتياراتهم المختلفة – لم تقف الحضارة الغربية، في هذه القضية عند «المشترك الإنساني العام»، وإنما ابتدعت جديداً هو الذي نراه «خصوصية حضارية غربية» لا يجب قبوله قبول «المشترك الإنساني العام»، وذلك من مثل:

١– القول بوحدة أصل الأنواع الحية، بدءاً بالخلية الواحدة التي تخلقت ذاتياً، ومروراً بالحيوانات الفقارية، حتى القردة، التي هي أصل الإنسان! فهذه «الإضافة الغربية» ذات النزعة المادية الإلحادية لزعمها التخلق الذاتي للحيوان ذي الخلية المفردة، والمفتقرة إلى «الصدق العلمي» لاختراعها قانوناً عاماً بناء على استقراء ناقص، كما أثبت ذلك علماء أوروبيون وغربيون أيضاً، هذه الإضافة الغربية قد أتى على بلادنا حين من الدهر ابتلعتها حياتنا الثقافية والفكرية والتعليمية مع ما هو – في التطور – «مشترك إنساني عام»، وهذا لون من ألوان الغزو الفكري الذي لا يميز بين «الخصوصيات الحضارية» وبين «المشترك الإنساني العام».

٢– وقالت «الداروينية» أيضاً بتأسيس التطور والارتقاء على «التناقض المطلق»، وزعمت أن قانون الحياة والأحياء هو صراع الأضداد على البقاء، وأن البقاء في هذا الصراع، ومن ثم الارتقاء هو للأقوى، لأن هذا الأقوى هو الأصلح!

«الداروينية» والاستعمار

فكان أن أعطت هذه «الفكرة – الداروينية» للحضارة الغربية في عصر الكشوف الجغرافية والمد الاستعماري التبرير والمشروعية لكل ما مارسه الغرب ضد الأمم والحضارات التي ابتليت باستعماره من قهر ونهب وإبادة ومسخ ونسخ وتشويه، فإذا استرقّ الغرب الشعوب الملونة استرقاقاً جماعياً، فأقام رخاءه المادي على جماجمهم، وسيّر سفن سعادته في بحار عرقهم ودمائهم، فذلك مشروع؛ لأنه هو الأقوى، فهو الأصلح للبقاء، وفقاً لهذا القانون «العلمي» الذي زعمته «الداروينية»! وكذلك الحال إذ هو أباد الهنود الحمر، ونسخ حضارتهم، وإذ هو اقتلع شعوباً من أوطانها واستعمرها استعماره الاستيطاني، كما هي الحال في فلسطين وجنوب أفريقيا، وكما حاول في الجزائر، وكذلك الحال إذ هو صنع ذات الشيء مع الأبنية الفكرية والثقافية والحضارية لهذه الشعوب التي غلبها على أمرها واقتحم عليها أوطانها بقوته، فالقوة هي الصلاح، والأقوى هو الأصلح والأجدر بالبقاء! لقد منحت هذه النظرية المشروعية الأخلاقية لـ«قانون الغابة»، فاقترف الرجل الأبيض ما اقترف واجترحت يداه ما اجترحت، وهو مرتاح الضمير، راحة أصحاب الرسالات.

وانطلاقاً من هذه الفلسفة الداروينية – التي لبست ثوب العلم الطبيعي زوراً وبهتاناً – لم يشعر كثيرون من مفكري الغرب بالخجل من مشاريع الغزو والدمار، ومن جرائم المرتزقة والأفاقين والمغامرين في المستعمرات، فـ«ماكس نوردو» (١٨٤٩ – ١٩٢٣م) يتحدث عن المشروع الفرنسي لاقتلاع شعب الشمال الأفريقي العربي المسلم لحساب الاستعمار الاستيطاني الغربي، فيقول: إن شمال أفريقيا سيكون مهجراً ومستوطناً للشعوب الأوروبية، وأما سكانه الأصليون فسيُدفعون نحو الجنوب إلى الصحراء الكبرى إلى أن يفنوا هناك»!

الاستعمار الفرنسي للجزائر

و«جابرييل هانوتو» (١٨٥٣– ١٩٤٤م) – السياسي والمفكر الفرنسي – يقول عن رسالة الرجل الأبيض الفرنسي في الجزائر: إن شعبنا جمهوري المبادئ، قد تقلد زمام إدارة شعب آخر، منتشر في الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة، يتبع تقاليد وعادات غير التي نعني لها ونحترمها، هو الشعب الإسلامي السامي الأصل، الذي يحمل إليه الشعب الآري المسيحي الجمهوري الآن، ملح وروح المدنية.. أما «سايسيمون دي» فيقول عام ١٨٣٠م، عن هذه المهمة الغربية، مهمة غزو الجزائر: هذه المملكة الجزائرية التي ستصبح بلداً جديداً يتدفق إليه الفائض من السكان من نشاط أبناء فرنسا.

وكما بررت لهم «الداروينية» إفناء الإنسان الأقوى للأضعف، بررت لهم ذلك أيضاً في «صراع الحضارات»، فكتبوا عن العربية لغة الجزائر القومية، في عام ١٨١٨م: إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها، والعمل الجبار الذي يجب علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين

«ماكس نوردو» قال عن الاستعمار الفرنسي:

إن شمال أفريقيا سيكون مهجراً ومستوطناً للشعوب الأوروبية وأما سكانه الأصليون فسيُدفعون نحو الجنوب إلى الصحراء الكبرى إلى أن يفنوا هناك!

نظرية «داروين» أدت دوراً محورياً في طبع فكر الحضارة الغربية الحديثة حتى غدت بمثابة المنطلق والفلسفة لكثير من النظريات الأساسية للفكر الغربي الحديث

القول بوحدة أصل الأنواع الحية كما زعم «داروين» يحمل نزعة مادية إلحادية

«الداروينية» قالت بتأسيس التطور والارتقاء على «التناقض المطلق» وزعمت أن قانون الحياة والأحياء هو صراع الأضداد على البقاء

الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا، وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين.. وكتبوا عن الإسلام، فكرية - أيديولوجية، الشعب الجزائري، بلسان الكاردينال «لافيجري»: إن عهد الهلال في الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد، وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل».

لقد صدرت هذه الأقوال - وأمثالها كثيرة - من هؤلاء المفكرين الغربيين - وأمثالهم كثيرون - دون أن يشعروا بالخجل؛ لأنهم كانوا ينطلقون من فلسفة تقول لهم: إن تنازع البقاء، وإفناء القوي للضعيف هو القانون العلمي الواجب النفاذ! ومع ذلك، يدعوننا أسرى الغزو الفكري من المتغربين إلى ابتلاع هذا «الطعم»، زاعمين أنه «علم» و«مشترك إنساني عام»، غير مدركين أنه جزء من «الخصوصية الحضارية الغربية» المعبرة عن نزعة الاستعلاء والعدوان عند الرجل الأبيض الغربي تجاه الشعوب الملونة وتجاه الحضارات التي ابتليت بالاستعمار الغربي الحديث!

«الهيجلية».. واقتلاع الهوية

وفي مجال «فلسفة التاريخ» و«التطور الحضاري» اجتهدت «الهيجلية» أن تنهض بذات الدور، فإبداع الفيلسوف الألماني «هيجل» (١٧٧٠ - ١٨٣١م) في فلسفة التاريخ قد طبع الفكر الغربي بطابعه إلى حد كبير، فسادت نظريته في انبثاق الفكر، كبناء فوقي، من الواقع، كبناء تحتي، فالصور والأخيلة إنما هي بنت عصرها، فإذا دعا التطور هذا العصر إلى أن يخلي مكانه لعصر جديد، فلابد وأن تخلي هذه الصور والأخيلة والأفكار مكانها لأخرى منبثقة من العصر الجديد، ولا أحد ينكر ما في هذه النظرية من عناصر صدق نلمسها عندما ننظر في تطور المجتمعات والأفكار والحضارات، فحتى توالي وتغاير الشرائع السماوية، وفكرة النسخ، نسخ اللاحق للسابق في هذه الشرائع، شاهد على ما في «الهيجلية» من صدق وواقعية.

لكن الأمر الذي جعل من «الهيجلية» في تفسير التاريخ «خصوصية حضارية غربية»، تجاوزت وغايرت ما هو «مشترك إنساني عام» في هذا الميدان، هو الغلو والمبالغة في التغير وتأثيراته ومجالاته، فهي قد جعلت التغيير بمثابة «المطلق»، ولم تعط الانتباه الكافي لعناصر «الثبات»، التي تظل قائمة فاعلة، رغم تغير الواقع المادي، والتي تحفظ على المسيرة الحضارية رغم التطور وحدتها وخصوصيتها، كما تحفظ «البصمة» على الإنسان تفرده وتميزه، رغم ما يتغير فيه عبر مسيرته من الولادة إلى الممات، فباستثناء بقايا أنقاض من الأبنية الفكرية السابقة، لن يبقي التطور - كما زعمت «الهيجلية» - من انعكاسات الواقع الغابر شيئاً، وكما حدث بالنسبة لفلسفة «الداروينية»، فلقد وظفت «الهيجلية» في خدمة الإعصار الاستعماري والغزو الحضاري والاقتلاع الثقافي والمسخ والنسخ والتشويه الفكري الذي مارسته الحضارة الغربية الغازية ضد حضارات البلاد التي تكتب بهذا الاستعمار.

فالذين احتلوا أرضنا وهيمنوا على مقدراتنا قد صاغوا واقعنا صياغة جديدة، وأزالوا منه البنى والمؤسسات القديمة، في الإنتاج الفكري أو ميادين الحرف والصناعات، لقد غيروا الواقع وجعلوه «متغرباً»، وها هي الفلسفة «الهيجلية» في تفسير التاريخ تأتي لتقول: إن الطبيعي والقانوني والعلمي أن تخلى الرؤى والأخيلة والأفكار الموروثة مكانها، بعد أن غبر واقعها، لأخرى مناسبة لهذا الواقع الجديد، وبما أنه - الواقع الجديد - «متغرب» فلا بد وأن تكون الفكرية السائدة هي فكرية «التغريب»! وهذه الفلسفة «الهيجلية» هي التي وقفت ولا تزال خلف ما قرأناه وما زلنا نقرؤه لأسرى الغزو الفكري من المتغربين الراغبين إلى أن نأخذ الغرب ككل: التصنيع والقيم، العلوم الطبيعية والمُثل، التقدم العلمي والفلسفة والأخلاق؛ لأن هذا الإطلاق الذي رجحت به «الهيجلية» كفة المتغيرات على حساب الثوابت قد قاد إلى محاولاتهم نفي كل ثوابتنا، واقتلاع هويتنا وخصوصيتنا الحضارية من الجذور.

صراع الأضداد

ونحن نعتقد أن ملابسات غربية خاصة هي التي أفرزت هذه الخصوصية الغربية في فلسفة التاريخ، فلا أحد ينكر وجود التناقض والمتناقضات، ولا دور صراع الأضداد في التطور والنشوء والارتقاء، والله سبحانه وتعالى يشير إلى هذه الحقيقة وهذا القانون في القرآن الكريم عندما يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ

اللّه النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لّفَسَدَت الأَرْضُ وَلَكِنّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾ (البقرة)، وعندما يقول: ﴿إِنّ اللّهَ يُدَافِعُ عَنِ الّذِينَ آمَنُوا إِنّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلّ خَوّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ إِلاّ أَن يَقُولُوا رَبّنَا اللّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لّهُدّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾ (الحج)، لا أحد ينكر هذا القانون الفعال، قانون «التناقض» و«الصراع»، لكن الحضارة الغربية التي جمدت كنيستها، عندما هيمنت على الدولة، كل المتغيرات الدنيوية، من الواقع المادي إلى الفكر والعلم، ففرضت الثبات على ما هو متطور ومتغير بحكم سنن الله في الكون، هذه الحضارة الغربية التي غالت كنيستها عندما حكمت في الثبات على حساب التغير، جاءت نهضتها وكرد فعل معاكس لتغالي في التغير على حساب الثبات، فكان افتقادها وافتقارها إلى الوسطية - التي هي أبرز خواصنا الحضارية - السبب في مجيء فلسفة التاريخ «الهيجلية» على هذا النحو الذي جعلها ويجعلها «خصوصية حضارية غربية»، وليست من «المشترك الإنساني العام».

«كارل ماركس»

والأمر الذي صنعه «داروين» في العلوم الطبيعية - الأحياء - والذي صنعه «هيجل» في التاريخ والفكر، صنعه «كارل ماركس» (١٨١٧ - ١٨٨٣م) في علم الاجتماع، فالتناقض عنده مطلق، وصراع الأضداد مطلق، ولا بد للصراع من أن يفضي إلى أن ينفي قطب القطبَ النقيض، بهذا فسر «ماركس» تطور المجتمع من المشاعية البدائية، إلى العبودية، إلى الإقطاعية، إلى الرأسمالية، إلى الشيوعية، وبالتناقض المطلق، والصراع الطبقي الذي لابد وأن تنفي فيه وبه «البروليتاريا» «البرجوازية»، رسم «ماركس» خارطة الحياة الاجتماعية، زاعماً أنه يقدم نظرية علمية هي مما يدخل في «المشترك الإنساني العام» دخول حقائق العلوم الطبيعية وقوانينها في هذا الإطار.

والحق، أن هذا الجانب من جوانب الماركسية، لا يعدو أن يكون علماً اجتماعياً، ارتبط بخصوصيات الحضارة الغربية، التي جمدت كنيستها المتغيرات، وألغت - أو خيل إليها - التناقضات، فجاءها رد الفعل المعاكس ممسكاً فقط بالطرف المقابل والمناقض.

إن التناقضات الاجتماعية حقيقة واقعة لا مراء فيها، وانقسام المجتمعات إلى طبقات هي الأخرى من حقائق الواقع الملموس، والصراع بين الأضداد، وبين الطبقات ذات المصالح المتناقضة مما لا ينكره العقل السليم، لكن ما تنكر عمومه في هذه القضية، هو القول بضرورة نفي طرف للطرف الآخر في الصراع، فالمطلوب ليس النفي للقطب الآخر، واقتلاعه من الحياة والواقع، وإنما المطلوب هو استخدام الصراع سبيلاً لبلوغ نقطة التوازن، التي تنتفي فيها المظالم الصارخة والجور الواضح، فعند نقطة التوازن هذه تلتحم عُرى طبقات الأمة، أو تتعايش، وفقاً لمعايير العدل الممكنة التطبيق؛ الأمر الذي يتيح لقوى الأمة وطبقاتها أن تسهم جميعها في حمل أعباء التقدم العام وليس ضرورياً، بل ولا هو بالنافع، البلوغ بالصراع نقطة نفي أحد أقطاب الصراع القطب الآخر نفياً كاملاً ومطلقاً.

فهذه الفكرة الماركسية، والتي عجزت المجتمعات الماركسية عن تطبيقها ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن على سيادة الماركسية - حتى لقد خلقوا بديلاً هو الحزب والدولة والشرائح الحاكمة - حل محل القطب الذي ظنوا أنهم نفوه! هذه الفكرة الماركسية مثلها كمثل «الداروينية» و«الهيجلية»، هي من «خصوصيات الحضارة الغربية»، وليست في قضية التطور والتغير والنشوء والارتقاء، مما هو «مشترك إنساني عام».

إن تزكيتنا لـ«خصوصياتنا الحضارية» لا يعني انتقاصنا أو ازدراءنا «خصوصيات الحضارات الأخرى»، فقد تكون تلك الخصوصيات طبيعية وملائمة ومفيدة هناك، والقضية الجوهرية هي الملاءمة وعدم الملاءمة، وليست بأي حال من الأحوال تعصباً أعمى للذات، وهجاء جاهلياً للآخرين، كما أنها ليست حرصاً على التميز لذات الحرص عليه، وإنما تمسك بالسنن الطبيعية التي ميزت بين الحضارات فيما هو خاص بكل منها، كما جمعت بينها فيما هو مشترك إنساني عام، كما هي الحال في تميز الإنسان الفرد عن غيره من بني جنسه، مع اشتراكه في الإنسانية مع كل بني الإنسان.■

«الفكرة الداروينية» أعطت للحضارة الغربية التبرير والمشروعية لكل ما مارسه الغرب ضد الأمم والحضارات التي ابتليت باستعماره من قهر ونهب وإبادة

لا أحد ينكر دور صراع الأضداد والله سبحانه وتعالى يشير لذلك في آيات القرآن الكريم

الصراع بين الأضداد لا ينكره العقل السليم والمطلوب استخدام الصراع سبيلاً لبلوغ نقطة «التوازن» التي تنتفي فيها المظالم الصارخة والجور الواضح

الرد الفقهي الحصيف

على فكر «داعش» الضعيف

يرتكز «داعش» على عدد من الآراء الفقهية الضعيفة والسخيفة يعمل من خلالها على استقطاب مقاتلين جدد خاصة من الشباب بالدول العربية والغربية ممن لهم فقه ضئيل بالإسلام، ومن أهم هذه الأفكار إعلان دولة الخلافة، وإعلان الجهاد، وما ترتب عن ذلك من قتل الصحفيين وترويع المدنيين الآمنين وغيره.. ويرد عدد من علماء المغرب ومشايخهم في هذا التقرير على كل هذه الأفكار بالحجة الدامغة والتحليل العميق.

الشيخ محمد الفيزازي

الشيخ حماد القباج

د. عادل رفوش

عبدالغني بلوط

يقول الشيخ السلفي محمد الفيزازي، في تصريح لـ«المجتمع»: إن بضاعة «داعش» العلمية بضاعة مزجاة أصلاً، «وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل» (المتنبي)، ويتساءل: كيف استطاع هذا التنظيم أن يبقى ويتمدد بالرغم من إعلان ٣٨ دولة بقيادة الولايات المتحدة على محاربته، إن لم يكن مدعوماً بقوى خارجية تخدم أهدافاً استعمارية في المنطقة.

ويضيف الفيزازي حول الرد الفقهي حول مزاعم «داعش»: فلا يستدل بنصوص شرعية من كتاب أو سُنة على ذبح البشر، وتفجير المساكن الآمنة والأماكن العامة، والقيام بمفاسد لا أول لها ولا آخر، ولا يبحث عن أدلة فقهية لتجريمها وتحريمها، ويؤكد الفيزازي أن هؤلاء يزعمون أنهم على ملة الإسلام، ونبي الإسلام هو حبيبنا ورسولنا محمد ﷺ هو نبي الرحمة الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ (الأنبياء)، ومعروف أن الاستثناء بعد النفي يفيد الحصر، بمعنى أنه لم يرسل رحمة للمسلمين فقط ولكن رحمة للعالمين، كما أن الإسلام قائم على عدم مؤاخذة أحد بذنب آخر؛ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء:١٥)، فأين نبدأ مع هؤلاء الذين لا علاقة لهم لا بشرع ولا دين ولا قيم ولا بتاريخ الإسلام، ولا بسُنة نبي الإسلام، التنظيم يضم مجموعة من الجهلة الذين يطبعهم الحماس ويبحثون عن المجد بمزيد من الخراب، ومن هنا نفهم أن هناك مؤامرة حقيقية ضد الإسلام الذي هو منهم براء، ومن سفك الدماء، وهؤلاء وبالتالي نتساءل: أين الدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة؟ وأين التعامل مع المخالف بالتي هي أحسن؟ وأين العذر بالجهل وعن التقصي والحذر قبل القصاص؟

ويعتقد الشيخ حماد القباج، الداعية السلفي المعروف، في تصريح لـ«المجتمع»؛ أن من أشنع التصرفات التي تصدر من مقاتلي «داعش» قتل الصحفيين والقائمين على الأعمال الإنسانية الإغاثة، وغيرهم من الذين لا يقاتلون، وهذا غير مستغرب من أحفاد الخوارج القدامى الذين تجرؤوا على قتل الصحابة رضي الله عنهم، فقد جاء في كتاب الطبري «أخبار الرسل والملوك» ما معناه أن الخوارج دخلوا قريةً، فالتقوا عبدالله بن خباب، فقدموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل، وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها، فسلوك القتل بهذه الوحشية وعدم التمييز من صميم فكر هؤلاء.

ويضيف الشيخ القباج أن ذلك من سياسة الجبابرة الطغاة في كل زمان، كما تفعل اليوم الولايات المتحدة الأمريكية في حروبها، ولا تزال مشاهد التدمير والتخريب الذي فعلته في العراق وأفغانستان حاضرة في الأذهان.

أما الفقه الإسلامي، فقد حرم على المسلمين قتل كل من لا يحاربهم، والأصل

في ذلك مجموعة من النصوص، منها قول الله تعالى في أول ما أنزل في تشريع جهاد القتال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ (البقرة)، وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «ولا تعتدوا» يقول: لا تقتلوا النساء والصبيان ولا الشيخ الكبير ولا من ألقى السلم وكف يده، فإن فعلتم فقد اعتديتم، وأخرج وكيع وابن أبي شيبة عن يحيى بن يحيى الغساني قال: كتبتُ إلى عمر بن عبدالعزيز أسأله عن هذه الآية: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾، فكتب: إن ذلك في النساء والذرية، ومن لم ينصب لك الحرب، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان، وأخرج ابن أبي شيبة عن أنس قال: كنا إذا استنفرنا نزلنا بظهر المدينة حتى يخرج إلينا رسول الله ﷺ فيقول: «انطلقوا بسم الله وفي سبيل الله تقاتلون أعداء الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا»، والإمام القرطبي، كما يشدد الداعية القباج، قال: والقتال لا يكون في النساء ولا في الصبيان ومن أشبههم، كالرهبان والشيوخ والأجراء فلا يقتلون، وبهذا أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى الشام، إلا أن يكون لهؤلاء إذاية، أخرجه مالك وغيره. (تفسير القرطبي ٢/ ٣٤٨).

وقال في تعداد من يحرم قتلهم:

١- الرهبان:

لا يقتلون ولا يسترقون، بل يترك لهم ما يعيشون به من أموالهم، وهذا إذا انفردوا عن أهل الكفر، لقول أبي بكر ليزيد: وستجد أقواماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له.

٢- الشيوخ:

قال مالك في كتاب محمد: لا يقتلون، والذي عليه جمهور الفقهاء: إن كان شيخاً كبيراً هرماً لا يطيق القتال، ولا ينتفع به في رأي ولا مدافعة فإنه لا يُقتل، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وللشافعي قولان: أحدهما: مثل قول الجماعة، والثاني: يُقتل هو والراهب.

والصحيح الأول لقول أبي بكر ليزيد، ولا مخالف له فثبت أنه إجماع، وأيضاً فإنه ممن لا يقاتل ولا يعين العدو فلا يجوز قتله كالمرأة.

٣- العسفاء:

وهم الأجراء والفلاحون، فقال مالك في كتاب محمد: لا يُقتلون، وقال الشافعي: يُقتل الفلاحون والأجراء والشيوخ الكبار إلا أن يسلموا أو يؤدوا الجزية.

والأول أصح، لقوله عليه السلام في حديث رباح بن الربيع: «الحق بخالد بن الوليد، فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً».

وقال عمر بن الخطاب: اتقوا الله في الذرية والفلاحين الذي لا ينصبون لكم الحرب، وكان عمر بن عبدالعزيز لا يقتل حراثاً. (ذكره ابن المنذر).

فثبت بهذا التقرير الفقهي المخرج على الآية الكريمة، أن قتل من لا يقاتل حكمه التحريم في الفقه الإسلامي، ويضيف القباج أن مما يجدر توضيحه أن هذا الحكم يتأكد كلما كان الإنسان غير المسلم بعيداً عن الحرب وأهدافها وقريباً من الخير وأفعاله، ومن أولى الناس بهذا الحكم الصحفيون الذين يوثقون الأحداث كما هي وينقلونها للناس كي يظهر أهل الخير وأهل الشر، وأولى منهم بالحكم أصحاب الأعمال الإغاثية الذين يطعمون الجوعى ويداوون المرضى ويأوون المشردين.

وبخصوص إعلان الخلافة، يقول د. عادل رفوش، المدير العلمي لمؤسسة ابن تاشفين للدراسات المعاصرة والأبحاث التراثية والإبداع الفكري: ليست فكرة عابرة ولا أضغاث أحلام أن يهتم المسلمون بشأن الخلافة، ولم يكن همَّ الصالحين في تعاليم القرآن سجادة ومحراباً فقط، بل كانوا عن الله مستخلفين وعن عمارة

> «داعش» مؤامرة ضد الإسلام تخدم أهدافاً استعمارية في المنطقة

> النصوص الشرعية من كتاب أو سُنة لا تقدم أي دليل يؤيد ذبح البشر وتفجير المساكن الآمنة والأماكن العامة

أرضه مسؤولين، وهذا هو تشريف التكليف؛ بحيث تُفهم العبادة لا على أنها تحكم إلهي للاسترقاق، بل هي تشريف رباني وتكريم سماوي وتكليف يشعر المكلف من اسمه هذا بأهميته عند الله تعالى، وأهمية ما كلفه به أمانةً ليقوم عليه فيحسن تأديته، ويشير إلى أن الاهتمام بموضوع الخلافة عند المسلمين ليس لهثاً وراء المطامع، وإنما هو الحرص على صلاح الأرض لسكانها بحث لا ينتشر الفساد فيها، ولذا كانت الخلافة عنواناً مؤسساً ولافتة بارزة لتنبيه الدارسين على وسيلة من وسائل إصلاح الدنيا؛ وهي اجتماع الكلمة وتوحيد الرؤى على ما يحقق هدف الإصلاح، والذي لن يكون مع الخلاف والاختلاف والنزاع والتنازع، بل لا بد من توحيد الجماعة على قصد الإصلاح، ولا جماعة إلا بحكم ولا حكم إلا بحاكم فاصل قائد مرشد.

وأشار د. رفوش إلى أن أمر الخلافة ليس كما صورها بعض المتهكمين بما قالوه: طبعاً ستُلغى البنوك غير الإسلامية، وسوف تُشفَّر كل الفضائيات ما عدا الإسلامية، وستُفرض الصلاة فرضاً على الجميع من الأطفال حتى العجزة الشيوخ بالعصا، وما يتبعها من النوم المبكر من أجل الإجبار على صلاة الفجر، أما المرأة ستُمنع من العمل لأنها عورة، وعليها أن تلتف بالسواد، ووظيفتها تقديم المتعة للرجل وتربية الأولاد، وسوف ينتشر مبدأ الزواج المتعدد بشرط المحافظة على العدد أربعة! أما السياسة الخارجية؛ أي علاقة الخلافة بمن حولها ستحكمها قوانين دار الإسلام ودار الكفر، وستسعى هذه الخلافة إلى التمدد ونشر الدين الإسلامي بناء على آية السيف التي نسخت كل آيات الرحمة، وسوف تفرض الجزية على أهل الكتاب، وسيكون هدف السياسة الخارجية «أسلمة» العالم بالقوة، كما سترصد الخلافة جوائز مالية كبيرة لملاحقة وقتل الكتَّاب الإسلاميين المصلحين، وعلى أمير المؤمنين إصدار الحكم والفتوى عليهم بالقتل وما على المجاهدين سوى التنفيذ.

فهذا النظر المشوه لحقيقة الخلافة الإسلامية، حسب د. رفوش، والذي ساهمت في بلورته في عقول هؤلاء الضعفاء تصرفاتُ التنظيمات المشبوهة كـ«داعش» و«داحش» وما حولهما حتى صار مادة للتندر والتمرد، وصار مادة للكوميديا التلفزيونية والسيناريوهات السينمائية بامتياز.

ولخص د. رفوش فساد إعلان خرافة

الخلافة الداعشية المشبوهة من حيث النظر الفقهي في ستة أوجه:

الوجه الأول: أن الخلافة الحق جامعة، وهذا الباطل مفرقة، ذلك أن مقصد الشريعة من تنصيب خليفة بأوصافه المعتبرة عدالة وحكمة وقوة هو تحقيق اجتماع الناس على ما ينفعهم، أما مسمى «الدولة الإسلامية» التي جهل العلمانيون مقاصدها فسموها «دولة الله» ليتلاعبوا بالعناوين؛ فيسهل عليهم التملص من قطعيات الشريعة، فلا ينظر الشارع إلا إلى مضمونها هل يحقق العدل والإحسان الذي جعله الله أمانةً يتحملها بنو الإنسان أم لا، قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: «وإياك أن تتوهم أن بعض الأحكام منوط بأسماء الأشياء أو بأشكالها الصورية غير المستوفية للمعاني الشرعية، فتقع في أخطاء في الفقه»، والذي جاءتنا به «الداعشية» المظلمة الظالمة – رغم كثرة ضحاياها من الشباب الصادقين وخبايا المكر العالمي فيها – هو مزيد تفرقة وإمعان في تمزيق الأمة ليزيد الكَلَبُ والتكالب، فلم تحقق للخلافة لفظاً، وطلب لبن العصفور أمكن من تحقيقها الخلافة مضموناً وروحاً ومعنىً.

والوجه الثاني: أن الخلافة تمكين للدين، وهذه ترهيب منه، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النور)، قال ابن العربي المالكي في الأحكام (٤٠٩/٣): وقال علماؤنا: هذه الآية وعد حق وقول صدق، يدل ذلك على صحة إمامة الخلفاء الأربعة؛ لأنه لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا، فأولئك مقطوع بإمامتهم، متفق عليهم، وسيرة الخلافة الراشدة التي جعلها رسول الله ﷺ سُنة للمقتدين قامت على الدعوة والتبليغ ليدخل الناس في دين الله أفواجاً لا ليخرجوا منه تقتيلاً واعوجاجاً.

والوجه الثالث: أن الخلافة حسن تدبير وهذه فساد وتدمير، وقد بين الله سبحانه ذلك في آية الحج، قال القاسمي رحمه الله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج:٤٠)؛ أي لولا كفه تعالى المشركين بالمسلمين، وإذنه بمجاهدة المسلمين للكافرين، لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم، وعلى متعبداتهم فهدموها.

والوجه الرابع: أن الخلافة هي على منهاج النبوة، وهذه لا تختلف عن حكم الطواغيت واشتباه علاقاتهم بأعداء الأمة، فنحن لا نرى فرقاً – مع اعتبار شدة التباس الأمر ووقوع الضحايا واستدراج الأبرياء لهذه الساحات العمياء بحيث لا نعمم في المؤاخذة ولا نتناسى أياً من «الدواعش» وعلى رأسها أمريكا وإيران – بطش الطاغية «الأسد» وإجرام العسكر «السيسي» وفتنة الحوثيين، وبين ما تفعله «الداعشية» المظلمة، فكلهم منكر على الأمة واغتصاب لخيراتها وأخيارها.

فهذه الأجواء المشحونة بأشباه الطواغيت وبالتطرف والغلو والتكفير والتفجير وتخوين بعض لبعض حتى اسودت الحال وتعاظمت الضغائن، وصاروا يعملون لمصلحة العدو؛ فساهموا في غرق العراق وسطوة المالكي المجرم، كما أخروا انتصار ثورة الأحرار بالشام ومكنوا للرافضة الأشرار، وهكذا رفع أعلام الخلافة الراشدة أم أنه تنكيس لأعلام الأمة وتمريغ لماضيها وحاضرها في التراب لم يستفد منه إلا الطغاة وأعوان الظلمة من علماء السوء وإعلام بني علمان، فألحقوا المظلوم بالظالم والعالم بالجاهل والبريء بالمتهم وعقلاء الأمة العلماء العاملين من سلفيين وإخوان مسلمين وغيرهم من الحركات الإسلامية من الصالحين الوسطيين المصلحين بالسفهاء التكفيريين المخربين.

الوجه الخامس: أن الخلافة رضا ومشورة، وهذه فلتة أمر دبّر بليل لا يُدرى ما وراء أكمتها والله بما يعملون محيط.

وإذا تأملنا في الظروف والملابسات التي قارنت هذا الإعلان الغاشم وجدناها غير متوافرة على أدنى درجات الإشهار المعتبر، والرضا والمشورة التي تجمع خيار الأمة وتوحد اتفاقها على ما يصلحها، بل إنها حققت الضد تماماً حتى عند من يسمون بعلماء الجهاد الذين ينتمون لفكرهم الضال، فضلاً عن علماء العلم والدعوة والاعتدال، وعلى رأسهم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في بيان الخامس من رمضان ٢٠١٤/٧/٣م ممثلاً في الشيخ العلامة يوسف القرضاوي، ومن معه من إخوانه العلماء شرقاً وغرباً كالشيخ مفتي المملكة العلامة عبدالعزيز آل الشيخ، ود. أحمد الريسوني، والشيخ محمد الحسن ولد الددو، حفظ الله الجميع، فخلافة تخلو من مباركة كبار خيار الأمة بمختلف شرائحهم ومذاهبهم وبلادهم بل وتحظى هذه الخلافة الخرافة بخلافهم وانتقادهم وامتعاضهم وإنكارهم، أنى لها أن تحقق للأمة أهدافها أو تسمو بها إلى عليائها!

أما الوجه السادس: أن الخلافة رأس ونخبة وأمة ومشروع وعمل؛ إن هذا الفضل الإلهي على العالمين بجمع كلمتهم وترتيب أمورهم بحيث لا يخربون دنياهم ولا آخرتهم هو أمر يجمع بين الشرع والقدر، وليس شيئاً يأتينا بغتة في ساعة من نهار، بل هو امتثال شرعي وناموس كوني، إن حققنا له شرائطه ومهدنا له بوادره أتم ربنا وأعان، وإلا فما هو إلا أضغاث أحلام وأوهام وراء أوهام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ (محمد)، فلا ينبغي للأمة أن تتهاوى فتستصعب الأمر، ولا تعمل مكوناتها على حسن تحصيله؛ لأنه مطلب شرعي بإجماع، ولا بد من بذل أسباب التدافع إصلاحاً وتقليلاً للفساد، كما نشهد من محاولات الصادقين في الأمة شرقاً وغرباً، ولا ينبغي لها أيضاً أن تتماهى فتظن الأمر يأتي بالتمييع أو بالترقيع؛ فتتجرف وراء كل ناعق وتميد بها كل ريح.■

> نهى رسول الله ﷺ المجاهدين عن قتل الشيوخ والأطفال والنساء

> الفقه الإسلامي حرم على المسلمين قتل كل من لا يحاربهم

> الخلافة عند المسلمين ليست لهثاً وراء المطامع وإنما حرص على صلاح الأرض لسكانها بحيث لا ينتشر الفساد فيها

مقال

بقلم: د. يوسف السند

الشباب.. بين الأمن النفسي والسلم المجتمعي

يعد الشباب في كل وقت وحين هم قوة الأوطان ومستقبلها، وهم الزينة في الرخاء والعدة في البلاء، والشباب سر نهضة الأمم وحضارتها؛ فمنهم يظهر القادة والمفكرون والعلماء والمبدعون والأبطال والمجاهدون، إذا حسُنت تربيتهم والعناية بهم، ووضح منهج توجيههم، وثبتت على سبل الخير أقدامهم، واستقامت على الإيمان والتوحيد عقيدتهم، واعتدلت بالوسطية والاتزان والتيسير أفكارهم، وابتعدت عن الغلو والتطرف عقولهم.

إن الشباب ليحتاجون إلى الأمن النفسي والهدوء الروحي والاستقرار الخلقي الذي به ينطلقون إلى حياة آمنة واعدة هادئة مستقرة، ومحاور الأمن النفسي تعتمد على الإيمان وأركان الإيمان ستة؛ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وأن يكون مع الإيمان الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ويأتي الأمن النفسي عندما تعبد الله ولا تشرك معه أحداً كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ (لقمان).

وثمرة الإيمان مراقبة الملك الديان سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ (النساء).

لأن الله تعالى قريب منا يعلم كل شيء حتى وسوسة النفس؛ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾ (ق).

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا
تقل: خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

هذا الإيمان يزيد بالطاعات وينقص ويضعف بالمعاصي والسيئات، فليداوم الشباب على الصلوات الخمس في جماعة وفي المسجد، وليلتزموا بالأذكار الواردة عن الرسول ﷺ، وليكن للشاب ورد يومي من القرآن الكريم يتلوه كل يوم حتى تكون له ختمة من القرآن الكريم كل شهر، ولينظم الشباب زيارات للمرضى في المستشفيات والبيوت، وليجلسوا مع كبار السن ليأخذوا من تجاربهم ومواقفهم في الحياة.

فإذا ارتقى الشاب بإيمانه لزمه أن يحفظ سلوكه بمنهج سلمي مسالم يرقى لتعايش سلمياً مع الأهل والجيران والأصدقاء ومع جميع المواطنين والمقيمين، بل ومع الناس جميعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣)، بعيداً عن إلحاق الأذى بالآخرين لقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، ولقوله ﷺ: «أفشوا السلام بينكم»، ولقوله ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» (رواه مسلم).

إن هذا الإيمان ينبغي أن تكون ثمرته تعايشاً سلمياً، وسلماً اجتماعياً وعقداً أخوياً واستقراراً وطنياً بل وعالمياً؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ (الأنبياء).

إن الشباب يجب أن يفهم أنه لن يكون نافعاً لدينه ووطنه وأمته إلا بالهدوء والسلام والأخوة والاستقرار، تاركاً العنف والاستهتار والرعونة والخصام والفوضى.

إن الشباب لن يكون نافعاً إلا إذا كان حكيماً عاقلاً، ذكياً حريصاً على فرص الارتقاء وتنمية الذات ورسم خارطة المستقبل الشخصي الذاتي، وهذا لن يكون إلا بالهدوء والبعد عن اللغو والشر وسبل الغواية وترك الانفعالات السلبية القاتلة مثل الغضب والتهور؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب»، فردد مراراً قائلاً: «لا تغضب» (رواه البخاري).

وترك السب والبذاءة والفحش طريق السلام والسلم المجتمعي؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء» (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن)، وحفظ النفس من الرذائل والآفات والفساد هو الطريق نحو السلم المجتمعي.

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالماً والقول فيك جميل

ولله در القائل:

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سَليماً من الأذى
وَدِينُكَ مَوفُورٌ وعِرْضُكَ صَين
لِسانُكَ لا تَذكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ
فَكُلُّكَ عَوراتٌ ولِلنّاسِ ألسُنُ
وعَيناكَ إنْ أبدَتْ إليكَ مَعايباً
فَدَعها وَقُلْ يا عَينُ للنّاسِ أعيُنُ
وعاشِرْ بِمَعروفٍ وسامِحْ مَن اعتدى
ودافِعْ ولكِنْ بالتي هيَ أحسَنُ

بالمعروف والسماحة تبنى الأوطان، ويعيش الشباب في سلم وأمان وعطاء للوطن وسخاء؛ حباً وولاءً وتضحية وفداء، وسلاماً وتزكية وإخاء، وحرصاً على العلم والثقافة والاطلاع، ومعرفة للواقع ومستجدات الحياة حتى توجه الطاقات والمهارات والإبداعات لخدمة المجتمع والوطن والناس.

بالطموح والجد وتحمل المسؤولية والعمل الإيجابي المفيد وترك الكسل والتسويف يحقق الشباب أهدافه وغاياته بما يتوافق مع حركة الكون والأرض والحياة.

وقالت لي الأرضُ لمّا سألْتُ:
أيا أمُّ هلْ تكرهينَ البشرْ؟
أُباركُ في الناسِ أهلَ الطموحِ
ومَنْ يَستلذُّ ركوبَ الخطرْ
وألعنُ مَنْ لا يُماشي الزمانَ
ويقنعُ بالعيشِ عيشِ الحجرْ
هوَ الكونُ حيٌّ، يُحبُّ الحياةَ
ويحتقرُ الميتَ مهما كبرْ
فلا الأفقُ يحضنُ ميتَ الطيورِ
ولا النحلُ يلثمُ ميتَ الزهرْ

أسأل الله تعالى أن يحفظ شبابنا بالإيمان والعمل الصالح، وأن يجعلهم نافعين لأنفسهم وأهليهم وأوطانهم، وأسأله تعالى أن يصرف عن شبابنا السوء والفحشاء، وأن يجعلهم في أمانه وضمانه وعافيته وبره وستره وإحسانه.

إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.■

بيانات الكتاب:
اسم الكتاب: «التأصيل الشرعي للوحدة الوطنية مصطلحا الانتماء والولاء الوطني أنموذجاً».
المؤلف: د. عبدالرزاق حسين أحمد.
سنة الطبع: ٢٠١٥م (الطبعة الأولى).
عدد صفحات الكتاب: ٧٤ صفحة من القطع المتوسط.
الناشر: اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة.
السلسلة: سلسلة تهيئة الأجواء (٢٩).

عرض وتقديم: محمود المنير

قراءة في كتاب:

التأصيل الشرعي للوحدة الوطنية.. مصطلحا الانتماء والولاء الوطني أنموذجاً

هذا الكتاب:

أصبحت الوحدة الوطنية ضرورة من ضروريات المحافظة على مبادئ وقيم المجتمعات المسلمة في مواجهة أخطار التحديات المعاصرة التي في مقدمتها العولمة، وهذا الكتاب يقدم رؤية تأصيلية شرعية لمفاهيم الوحدة الوطنية، انطلاقاً من نصوص القرآن الكريم، والسُّنة النبوية الشريفة، والإفادة من أقوال أهل العلم في شرح النصوص وتطبيقاتها.

ويجيب هذا الكتاب عن عدة أسئلة متعلقة بقضية الوحدة الوطنية، وهي:

- ما المقصودة بالوحدة الوطنية من المنظور الإسلامي؟ وما أهميتها؟
- هل يوجد تعارض حقيقي بين الانتماء الوطني والانتماء الإسلامي؟
- كيف تناولت النصوص الشرعية مسألة الانتماء والولاء؟
- ما أهم مقومات الوحدة الوطنية من المنظور الإسلامي؟

مفهوم الوحدة الوطنية

يقول المؤلف: إن مصطلح الوحدة الوطنية لم يكن له وجود في الأدبيات الإسلامية، إذ لم يرد في الكتاب ولا في السُّنة، ولا في بقية مصادر أهل العلم، وإنما هو مصطلح معاصر له مفهوم يحاكي الفكرة، ويورد المؤلف تعريفاً للوحدة الوطنية كما عرفها د. محمد عمارة بأنها «التآلف بين أبناء الأمة الواحدة من خلال الروابط القومية على أساس من حقوق المواطنة التي ترفض التمييز والتفرقة بين أبناء الأمة بسبب المعتقد والدين»، وهي كذلك «تجسيد في وحدة المشاعر تجاه قضايا الوطن والأمة مع مراعاة خصوصيات شرائح المجتمع»، كما عرفها د. حمزة منصور، الأمين العام لجبهة العمل الإسلامي في الأردن سابقاً.

ويرى المؤلف أن كل التعريفات التي تدور حول مفهوم الوحدة الوطنية اتفقت جميعاً على أن مفهوم الوحدة الوطنية هي انصهار جميع أبناء الوطن في بوتقة واحدة وكيان واحد بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والفكرية، إلا أن الباحثين قد اختلفوا في وسائل تحقيق ذلك، فهدف الوحدة الوطنية عندهم موحد وواضح، ولكن الوسائل قد اختلفت نتيجة اختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم.

الإسلام.. وحب الوطن

يؤكد المؤلف أن المتأمل في الكتاب والسُّنة يجد أنهما بينا بياناً لا لبس فيه في شرعية محبة الوطن، وأسس توازنها مع الانتماءات الأخرى دون إفراط أو تفريط، وأورد الأدلة على ذلك من القرآن والسُّنة، ومنها:

– ما أورده القرآن الكريم من نصوص تدعم الفطرة الصحيحة، وما أحسن وأجدر عندما تجتمع الفطرة مع الدليل ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ (التوبة)، ووجه الدلالة أن القرآن الكريم ذكر هنا المساكن التي هي موطن الإنسان على أنها من الأمور التي يشعر بالارتباط بها ومحبتها، ولكنه هذب تلك المحبة – لكي لا تقع فيما وقع فيه غلاة الوطنية – حيث منع تقديمها على محبة الله ورسوله ﷺ.

– وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾ (البقرة)، ووجه الدلالة أن الآية تنص على مشروعية الدعاء للأوطان، وذلك من مقتضيات محبته، وخير دعاء للوطن الدعاء بالأمن وسعة الرزق كما دعا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

– ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾ (الحشر)، ووجه الدلالة أن الأوطان عزيزة على الأنفس، ولا يترك إلا لما هو أهم، وهو إعزاز الدين ونصرته، وقد أثنى الله على المهاجرين؛ لأنهم ضحوا بأوطانهم وأموالهم ودورهم.

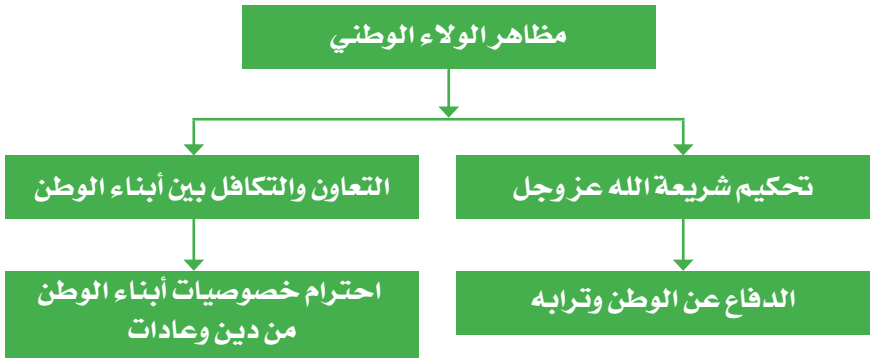

وتأمل كذلك كيف أن الله عز وجل جعل الحرمان من الأرض والوطن عقوبة للمخالفين لأوامره، فلما لم يستجب بنو إسرائيل لموسى عليه السلام وتمادوا في عصيان ربهم، تاهوا في الأرض، وقدر الله عليهم أن يعيشوا أربعين سنة يتيهون فيها: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾ (المائدة).

أما الأدلة من السُّنة النبوية الشريفة على مشروعية محبة الوطن فكثيرة، ومنها:

– حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته – أي أسرع – وإن كانت دابة حركها» (أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٨٠٢) كتاب العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، وبرقم (١٨٨٦) كتاب فضائل المدينة باب المدينة تنفي خبثها)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقاً على الحديث:

> الوحدة الوطنية هي انصهار أبناء الوطن في كيان واحد بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والفكرية

> الانتماء السياسي يقوي روابط الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن ويعطي شعور شرف الانتماء إليه

«وفي الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه» (فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨٢/٣)، ويقول ابن بطال (ت ٤٤٩هـ): «وتعجيل سيره ﷺ إذا نظر إليها من أجل قرب الدار يجدد الشوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن، وفي رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة» (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨٢/٣).

– حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبك من بلد، وما أحبك من بلد، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» (أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٣٩٢٦) كتاب المناقب باب في فضل مكة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٥٠/٣)؛ في الحديث دلالة واضحة على أن الإنسان لديه ارتباط وثيق بالمكان الذي نشأ وشبَّ فيه، فالنبي ﷺ تأثر بالبيئة التي عاش فيها ووطنه الأصلي وهو مكة، وحنَّ إليه.

الانتماء السياسي (المواطنة)

ويسوق المؤلف شرحاً للدكتور وهبة الزحيلي لعلاقة المواطنة بالانتماء السياسي حيث يقول: إن المواطنة في المفهوم المعاصر: انتماء الإنسان إلى دولة إقليمية معينة، وعلاقة اجتماعية بين الفرد والدولة ومشاركة في الحقوق والواجبات، فغير المسلمين نتيجة انتمائهم السياسي للدولة الإسلامية يتمتعون بالحقوق، ويلتزمون بالواجبات التي يفرضها عليهم هذا الانتماء لأن الإسلام دين ودولة، يراعي جوانب أخرى غير الجانب الديني كالجانب القانوني، والجانب الأخلاقي، والجانب الحضاري والجانب الثقافي، فمن خلال تلك الجوانب ينتمي غير المسلم للدولة الإسلامية.

إن الانتماء السياسي يقوي روابط الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن، ويعطي شعور شرف الانتماء إليه، إذاً كل فرد يشعر أنه ينال ما

مقومات الوحدة الوطنية

- احترام الدين وتقديسه.
- احترام اللغة الأم كجزء أساسي من مكونات الهوية الوطنية.
- التمسك بمحاسن الأخلاق التي حددتها الشريعة الإسلامية.
- الابتعاد عن الأخلاق الذميمة المهينة في الشريعة الإسلامية.
- المحافظة والحرص على أمن الوطن.
- طاعة ولاة الأمور ومعرفة حقوقهم المحفوظة لهم شرعاً.
- نشر ثقافة الحوار بين أبناء الوطن.
- توفير الحرية الإيجابية المنضبطة والعدل والمساواة بين المواطنين.

الشريعة الإسلامية حثت على محبة الوطن والحفاظ عليه والدفاع عنه والدعاء له

توفير الحرية الإيجابية المنضبطة والعدل والمساواة بين المواطنين يعزز الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد

يستحقه من حقوق وواجبات دون أدنى مشقة، ولهذا فإن الشريعة الإسلامية وضعت مواثيق شرعية تربط بين الراعي والرعية.

فحفظ الدين ونشره بين الناس، وإقامة العدل ورفع الظلم عن المظلومين، ومراعاة جلب المصالح ودرء المفاسد من أهم واجبات الراعي.

وطاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه، والسعي في رفعة شأن الوطن، والمحافظة على الممتلكات العامة والخاصة من أهم واجبات الرعية.

مظاهر الولاء الوطني

ويسوق المؤلف عدة مظاهر يبرز من خلالها الولاء الوطني في المنظور الإسلامي، وهي على النحو التالي:

- تحكيم شريعة الله عز وجل في البلد المسلم.
- الدفاع عن الوطن وترابه.
- التعاون والتكافل بين أبناء الوطن.
- احترام خصوصيات أبناء الوطن من دين وعادات.

مقومات الوحدة الوطنية

- ويرى المؤلف أن الوحدة الوطنية لا تقوم إلا على دعائم ومحددات يستطيع من خلالها الباحث الدقيق معرفة ما إذا كان ثمة وحدة وطنية في هذا البلد أم لا؟ ومن هذه المحددات ما يلي:

- احترام الدين وتقديسه.
- احترام اللغة الأم باعتبارها جزءاً أساسياً من مكونات الهوية الوطنية.
- التمسك بمحاسن الأخلاق التي حددتها الشريعة الإسلامية.
- الابتعاد عن الأخلاق الذميمة المهينة في الشريعة الإسلامية.
- المحافظة والحرص على أمن الوطن.
- طاعة ولاة الأمور ومعرفة حقوقهم المحفوظة لهم شرعاً.
- نشر ثقافة الحوار بين أبناء الوطن.
- توفير الحرية الإيجابية المنضبطة والعدل والمساواة بين المواطنين.

سبل تعزيز الوحدة الوطنية

ويختم المؤلف دراسته بعدة توصيات لتحقيق وتعزيز مفهوم الوحدة الوطنية، ومنها:

- ضرورة تفعيل دور المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية، ووضع برامج فاعلة متطورة لتعزيز الوحدة الوطنية، وإرسائها على أسس راسخة.
- تنظيم حوارات وفعاليات شعبية، تعرض فيها احتياجات المواطنين الواقعية، وتناقش أسباب مشكلاتهم، وأنجع السبل لحلها.
- عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية لترسيخ مفاهيم الوحدة الوطنية في نفوس الأفراد.
- أهمية تدريس مادة «التربية الوطنية» واختيار المعلم المتميز لتدريسها، وإعطاء الوقت الكافي لها.■

بقية المنشور ص ٨٢

فهذا الجهاز حسب اختصاصه في (المادة ٢)؛ «يعمل المجلس على ضمان سلامة وأمن الوطن ووضع السياسات الإستراتيجية والبرامج والخطط لتعميق هذا الغرض والإشراف على توفير المعلومات والبيانات وإعداد الدراسات والبحوث اللازمة في هذا الشأن بالتنسيق مع الجهات المعنية».

فلا وضع أو أعلن خطة واضحة المعالم تعالج من خلال الأجهزة الأمنية المعنية (سوى ما تم باجتهاد بعض المؤسسات بذاتها) دون تنسيق مع كل قطاعات الدولة في إرساء حالة من التفاهم والتعاون بين الدولة والمجتمع والمؤسسات المهمة.

فلا سياسات أمنية وطنية في قطاعات التربية والإعلام والأوقاف والشؤون الدينية والداخلية وقطاعات الخدمات المهمة كالكهرباء والماء والجمارك والمنافذ والبلدية وغيرها.. فهذه القطاعات تجتهد بشكل عشوائي وآني وأوقات الحدث.

حيث إن كل هذه الأجهزة مشغولة بالحالة اللحظية لدورها الخدمي أو معلولة بسبب ترهلها القيادي أو مخترقة من أدوات النفوذ والفساد، بل وأجزاء مهمة من هذه المؤسسات منشغلة بأولويات الخصومة السياسية والتدافع الاجتماعي والتسابق على المصالح والنفوذ.

إن مشكلات الخلل في التركيبة السكانية وسرعة نمو الانتساب للمواطنة واكتساب الجنسية الكويتية بالوسائل غير المشروعة وخلل حالة الزواج بالأجنبي وعدم الاهتمام بالشباب وانتشار المخدرات وعولمة الجريمة وتخزين السلاح وحالة الصراع الاجتماعي وتمدد نفوذ قوى غير واضحة مندسة خلف قوى متنفذة سياسياً ومالياً كل ذلك هي مشكلات جاذبة للأخطار الأمنية على الوطن.

إن وضع نظرية أمنية وإستراتيجية أصبحت ضرورة وطنية ومسؤولية تاريخية على الدولة في مثل هذه المرحلة الحساسة التي تواجه الكويت ولا يعفي المجتمع من تلك المسؤولية.■

استثمر مراهقتهم..

علاج اكتئاب المراهق

إيمان عبدالحميد البلالي
مرشدة نفسية تربوية

عرضنا في المقالة السابقة أعراض وأسباب اكتئاب المراهق، والمشكلة التربوية التي تكمن في عدم وعي الأهل لوجود مشكلة، سأعرض في هذه الحلقة علاج المشكلة؛ وهي:

- إذا كان من الأسباب تدني الثقة بالنفس لدى المراهق؛ فالعلاج البديهي يكون أولاً بمراقبته؛ هل فعلاً يعاني من عدم الثقة بالنفس، وبعد ذلك يتم علاج أسباب عدم ثقته بنفسه حسب ما تسبب في ذلك.
- عدم الضغط على المراهق بالخروج.
- استقطاع جزء من الوقت ثلث ساعة يومياً لقضائه معه وإن رفض الكلام، تكلم أنت فقط سترى استجابة بعد عدة أسابيع.
- تغيير أجواء غرفته من أثاث وألوان الحائط، بألوان تشرح النفس.
- إشعاره بالأمان في حالة الطلاق بأن يفهم لماذا؟ وماذا سيحدث له ولإخوته من بعد الطلاق؟
- لابد من البحث كذلك في المدرسة عما إذا كان المراهق يتعرض للتحرش، أو التنمر عليه، أو الاضطهاد من المعلمين وغيرها من الأسباب في المدرسة، ومحاولة علاج الأمر أو نقله مدرسة أخرى بعيداً عن الأجواء المشحونة التي تؤثر في نفسية المراهق.
- حل المشكلات الأسرية والنزاعات بعيداً عن الصراخ، وأيضاً الضرب، بالإضافة إلى ذلك تدريب المراهق على كيفية إدارته لمشاعره تجاه الأحداث والمشكلات، فهو ليس سبب المشكلة، وعليه التأقلم والتكيف معها، وتوجيه مشاعره إلى شيء يحبه.
- ممارسة هواية غير فكرية تتيح له الاسترخاء والتأمل كالتصوير، ركوب الخيل، الرسم وأنواعه المختلفة، الطبخ وغيرها، المهم ألا تحاكي المنطق، ولا يحتاج أن يعمل العقل فيها بالتفكير مثل «السدوكو، أو الكلمات المتقاطعة، أو القراءة التي تحاكي العقل».
- الاهتمام بنظام غذائي يكون متزناً وصحياً بعيداً عن الوجبات السريعة التي تؤدي إلى تعكر المزاج في أحيان كثيرة.
- الرياضة: إتاحة الفرصة له لممارسة الرياضة بما يحب، وليس إجباره على أي نوع من أنواع الرياضة، فقد تنتكس الحالة أكثر، وإن رفض ممارسة الرياضة، تركه وما يريد.
- لفت نظره إلى ملامح الجمال والسعادة من حوله.
- التعزيز الإيماني، ولي وقفة معه، عدم اتهام المكتئب بأنه قليل الإيمان، وهذا بسبب عصيانه، فالكل معرض لهذه الأمراض، فكما يمرض الجسد تمرض النفس، فتعزيز الإيمان يكون بالتبشير، وليس بالوعيد والاتهام.
- العلاج الإرشادي مهم كذلك، ربما يستطيع المراهق البوح للمرشد النفسي ما لا يستطيع بوحه لوالديه.

هذه العلاجات قد تنفع عند بداية الاكتئاب، لكن عندما تطول الفترة الزمنية عن ثلاثة أشهر مع وجود خمسة أعراض وأكثر، مع التفكير بالانتحار أو محاولة الانتحار، علينا مراجعة طبيب نفسي لا مرشد أو اختصاصي، فقد يحتاج المراهق إلى بعض العقاقير للعلاج، بالإضافة لبرنامج إرشادي في العلاج السلوكي المعرفي.■

المعبِّرون

د. إيمان الشوبكي

حملا بين يديهما كيساً به شيء، ثم وضعوه على المكتب، وقدموا معه التحية والسلام، قائلين وبدون مقدمات ولا مناسبات: أردنا أن نعبر لك عن مشاعر الامتنان للجلسات الاستشارية والمعلومات الأسرية التي نتلقاها منك تأهيلاً لحياتنا الزوجية المقبلة كخطيبين.

قلت: بل إنني سعيدة بوجود فكر شبابي لا يستكبر على الإعداد والتأهيل لمرحلة من أخطر المراحل في عُمُرِ الشاب والفتاة فقط..

قال متعجلاً: عُمُر مَنْ إذاً؟

قلت: بل أولاده وأحفاده والجيل من بعده.

قالت: ألهذه الدرجة؟!

قلت: نعم، إن قراءتك لكتالوج أي جهاز تشتريه قبل التشغيل حتماً سيجنبك احتمالية إفساده بشكل كبير، وتحول الشاب والفتاة من دور العزب إلى دور الزوج والأب والزوجة والأم أمر خطير جداً في الاستعداد له.

أفكار مغلوطة

قالت: لكنها الفطرة عند بعض الشباب كحجة في عدم الإقبال على هذا التأهيل.

قلت: نعم الفطرة هي الأساس، لكن أدخلت على المجتمعات بما فيها المجتمع الأسري مدخلات وقناعات وأفكار بعضها مشبوه والبعض الآخر مغلوط، وجزء منها لا يصلح مع كل مجتمع ليطبق كما يتلقونه أو يسمعونه.

قال: وما ألفينا عليه آباءنا هي إستراتيجية الشباب في عدم الإقبال أيضاً.

قالت: المهم أننا أسعدنا الحظ بهذه اللقاءات معك حتى تكون خطوات إيجابية، وسعياً نحو السعادة لبناء بيت الزوجية على بينة، وتربية أولاد تربية صحيحة وليس من معلومات مشوهة أو مشوبة بعجرفة أصحابها.

لغة المحبة

قال: لذا أردنا أن نعبر عن مشاعرنا تلك بهذه الهدية المتواضعة لك.. فهل تقبلينها؟

قلت: كيف لا وقد قبلها رسولنا الكريم صلوات ربي عليه وسلامه، بل وحثَّ المسلمين بالتعبير عن مشاعرهم بكل الوسائل؟ فلقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله، إني أحب فلاناً، قال: «هل أخبرته»، قال: لا، قال: «فاذهب وأخبره أنك تحبه».

قال: إذاً الحديث يحث على إعلام الشخص بمحبته له صراحة.

قلت: نعم، لكن كل بوسيلته ولغته، وإن كان اللفظ أسرع وصولاً مع العمل أيضاً.

قالت ضاحكة: لغته؟! وهل للحب لغات غير العربية والإنجليزية؟!

قال: نعم للحب لغة يفهمها المحبوبون.

قلت: ليس دائماً يفهمها المحبوب، وتلك هي المشكلة الكبرى وقلب الأزمات بين المخطوبين، ثم تخف نوعاً ما بعد الزواج، لكن تبقى باقية إن لم نستطع فك شفرة شريك الحياة ولغة محبته.

الهدية والخدمة

قالت: حدثينا أولاً عن أنواع اللغات.

قلت: نعم.. لغة الكلمة، الهدية، الخدمة، الاهتمام، الحنان.

قال: ننتظر التفاصيل.

قلت: هناك أناس يعبرون عن حبهم للآخرين بالهدية والحرص على إيجاد مناسبات لإعطاء الهدايا، بالإضافة للمناسبات المخصوصة والمعلومة عن الشخص، وكلما أراد أن يقول كلمة محبة أو شكر يأتي بهدية.

أما الخدمة؛ فهو يخدمك لأنه يحبك، تجده وقت الأزمة يساعدك بكل ما يملك، وهذا يكفي في مفهومه للتعبير عن حبه.

قالت: لكن كلنا نحب الهدايا، ومن منا لا يقف مع الآخرين وقت الأزمات؟

قلت: نعم في الأولى، ولا في الثانية؛ أي نعم جميعنا نحب الهدايا، لكن ليس جميعنا يفكر أن يهادي في أي وقت يشعر بالامتنان أو المحبة تجاه الآخرين.

أما الثانية؛ ليس كل الناس تقف مع بعضها في الأزمات، حتى مستوى تقديم خدماتك يختلف من شخص لآخر؛ منهم بالمادة، ومنهم بالكلمة.. وهكذا.

فنحن كبشر نتمنى أن يمنحنا الآخرون الحب بكل اللغات، لكن حينما نمنحها للآخرين نفترق كل ولغته الخاصة، وتغلب عليه طباعه في ذلك وقناعاته، بل تكن لها الأولوية في طرق المنح.

البشر والمحبة

قال: أكملي التفاصيل؛ ليتضح الفرق أكثر وأستطيع تحديد نفسي.

قلت: بالكلمة.. وصاحب هذه اللغة إنسان حسَّاس يهتم ويستقبل كل ما يقال له بمشاعر مرهفة، فهو يريد سماع كلمات الامتنان أو المديح، ولا يكفيه أن تقف معه وقت الأزمة صامتاً.

أما لغة الاهتمام فهو شخص يجعل شريكه ومحبوبه محل اهتمامه دائماً، قد لا يهتم بعيد ميلاده أكثر من السؤال عليه مثلاً أيام امتحاناته، فهو عموماً يهتم بأخبار الناس والسؤال عليهم وعلى أحوالهم.

قالت: إن التنوع بين الزوجين من التكامل.

قلت: ليس في كل شيء، التنوع من باب التكامل داخل الشخص نفسه.

قال: هل ممكن أن يصل هذا الأمر إلى مشكلات بهذا الحجم؟

قلت: نعم، كمن يتكلم لغة لا يعرفها مَنْ أمامه؛ فهل يصل إليه ما يقوله؟

قالا: لا.

قلت: هكذا.. فلو أن طرفاً أخذ يعطي ويمنح ولكن بطريقته التي يظن أن الناس جميعهم يستوعبونها ويقدرونها ويفهمونها كمن يكلم أصمّ؛ وبالتالي يشعر شريكك بانتقاص شديد وافتقار في الحب، ويظل طرف يمنح وطرف يشتكي؛ لأن اللغة غير مفهومة بينهما.

قال: لقد وصفت وصفاً جسَّد إشكاليتنا حتى مع أهلينا في المنزل وآبائنا وأصدقائنا أحياناً.

قلت: يظل بعضنا يشكو جفاف صاحبه أو غلظة شريك حياته أو قسوة قلبه، رغم عدم تقصيره، ولو علم كل منا لغة الآخر لفهمنا بعضنا وزال اللبس والألم.

الخطوبة.. وتجنب الخلافات

قال: علينا إذاً أن نسأل المخطوبة عن لغتها؟

قلت ضاحكة: بالفعل، المفروض في جلسة التعارف بين الخطيب وخطيبته يحاول كل منهما اكتشاف لغة الحب لدى الطرف الآخر اختصاراً للوقت واحتمالية وقوع خلافات.

وهذا ضمن برنامج خاص نمنحه للمقبلين على الخطبة في اللقاء الأول بين الشريكين وجلسة التعارف كيف يديرونها إدارة ناجحة.

ضحكا قائلين: على هذا نبدأ من جديد.

قلت: لا.. لا.. أنتما تجاوزتما هذا وتتأهلان الآن ببرنامج المقبلين على الزواج لكي تتجنبا الكثير من الصدمات نتيجة التجربة والخطأ وكسب الخبرة ودفع ثمنها من وقتكما وسعادتكما.

قالت: لكن هذه المرة أستاذتنا اتفقنا ولم نختلف الحمد لله على الفكرة نفسها ونوعها.

قال: نعم، لأول مرة نجتمع على شيء دون خلاف أو إقناع طرف للطرف الآخر بوجهة نظره.

قلت: هذا من فضل الله عليكما، وضمن التوافقات العاطفية في لغة الحب المشتركة بينكما، كتب الله لكما ولكل شبابنا وفتياتنا حياة سعيدة في ظل طاعة الله والقرب منه.■

> المجتمع الأسري تعرض لأفكار بعضها مشبوه والبعض الآخر مغلوط ولا يصلح مع كل مجتمع تطبيق جميع ما يتلقاه أو يسمعه
>
> هناك أناس يعبرون عن حبهم للآخرين بالهدية والحرص على خلق مناسبات لإعطاء الهدايا
>
> الناس ليسوا متطابقين في الأزمات ومستوى تقديم خدماتهم يختلف ويتنوع بين المادة والكلمة وغيرهما
>
> بعضنا يشكو جفاف صاحبه أو غلظة شريك حياته رغم عدم تقصيره ولو علم كل منا لغة الآخر لفهمنا بعضنا وزال اللبس والألم

هذه العادات الخمس تسرق سعادتك

بقلم: مارك تشيرنوف
ترجمة: جمال خطاب
www.marcandangel.com

تعلم تقييم نفسك، وتعليم نفسك يعني الكفاح من أجل السعادة وراحة البال، من أجل سعادتك وراحة بالك.

في ظهيرة يوم التقيت أحد الأصدقاء في مقهى محلي، أحضر حاسوبه الشخصي ليطلعني على بعض أحدث تصميماته الفنية الرقمية، تجاذبنا أطراف الحديث أثناء المرور على أعماله الفنية، وفجأة بدأ المحمول يصدر ضوضاء صاخبة غير صحية، وبدأت الشاشة تومض، حتى أظلمت تماماً، حدق كلانا في الآخر في ذهول، ورائحة الاحتراق الغريبة لدوائر الكمبيوتر تزكم أنوفنا.

أمسكت بسرعة بالكمبيوتر لفحصه واكتشفت المشكلة على الفور؛ الجزء السفلي من الكمبيوتر كان مملوءاً بالماء، فقد انسكب كوب ماء عليه وتسرب الماء لشاشة الكمبيوتر بطريقة أو بأخرى وحدث ما حدث.

عندما تلقي لنا الحياة لنا بمثل هذه المقالب «السخيفة»، وهذا شيء طبيعي جداً، فهذا عادة لا يعني شيئاً بالنسبة لنا، ولكن ردود الفعل العاطفية الطبيعية لدينا هي الانزعاج للغاية ومن ثم الصراخ بكلمات نابية بأعلى ما نستطيع من الصراخ.. فهل يساعد هذا في حل معضلاتنا؟ بالطبع لا.

ألقى صديقي يديه في الهواء ولدهشتي، أخرج نصف ابتسامة، وقال: هذا هو بالضبط السبب في أنني سجلت احتياطياً كل ملفاتي هذا الصباح على ذاكرة منفصلة، ولهذا السبب أيضاً لدي تأمين على الجهاز!

أعجبني رد فعله؛ لأن الكثير من الناس، وأنا أعلم ذلك جيداً، ينهار بسبب مضايقات أقل من تلك بكثير.

لم تسرق هذه الحادثة العارضة وهذا الوضع

> تقييم نفسك يعني الكفاح من أجل سعادتك وراحة بالك
>
> الحياة سوف تستمر في مفاجآتها.. لذلك علينا ابتكار التحولات الإيجابية للمضي قدماً
>
> يبدأ سلامك الداخلي عندما تختار عدم السماح لأي شخص أن يسيطر على عواطفك

المؤسف أي قدر من سعادته!

دروس مستفادة

لذلك دعونا نتعلم الدروس المستفادة من هذه القصة، فقد حان الوقت بالنسبة لنا لأن نترك التوتر الذي لا داعي له إلا أنه يثقل كاهلنا باستمرار.

هذه ساعة جديدة من حياتنا - بداية جديدة - والحياة سوف تستمر في مفاجأتها لنا بالتغيرات، بطريقة أو أخرى؛ لذلك علينا ابتكار التحولات الإيجابية للمضي قدماً.

ألا توافق على ذلك؟

ألم تتعب من التعامل بتشنج وبتوتر مع نفس النوع من الصداع ووجع القلب مراراً وتكراراً؟

أريدك بصدق أن تقوم بالتركيز على التخلص من بعض العادات السلبية عندما تبدأ من جديد، ركز على التعلم من أخطائك بدلاً من أن تنهزم لها، واسمح لأخطائك أن تكون إضافة لك بدلاً من تكون خصماً منك.

وتذكر أنك ستفعل في نهاية المطاف ما تفعله مراراً وتكراراً، وأن العادات اليومية التي تمارسها إن لم تساعدك فسوف تضرك.

عادات سرقت السعادة

وهذه خمسة أمثلة شائعة لهذه العادات التي سرقت السعادة من آلاف البشر الذين قابلناهم ودربناهم.. فتخلص منها، وفيما يلي الأمثلة:

١- أن تترك كل مشكلة صغيرة تحرمك من أفضل ما فيك:

يبدأ السلام الداخلي في اللحظة التي تأخذ فيها نفساً عميقاً وتختار عدم السماح لأي شخص أو لأي شيء أن يسيطر على عواطفك، وتصبح مجرد رد فعل!

وبعبارة أخرى، فإن الجزء الأكبر من سعادتك أو بؤسك على المدى الطويل يعتمد على موقفك، وليس على ظروفك، فإذا كنت تتوتر بسبب أي شيء خارجي، وتتألم لأسباب لا تمت بصلة إلى ما حدث، ولكنها تتصل بتفسيراتك للحدث؛ فهذا شيء لديك القدرة على تغييره في أي لحظة.

خذ فقط نفساً عميقاً، واضبط الموقف الخاص بك، وأذهب الإحباط والتوتر.

٢- أن تتوقع أن تسير الحياة سهلة ويتم كل شيء كما هو مخطط له:

الأيام السهلة لا وجود لها إذا كنت تفعل أشياء مذهلة وذات قيمة، الأهداف الكبيرة تتطلب عملاً شاقاً، أيامك قد تكون ممتعة، ولكن ستكون هناك دائماً عقبات غير متوقعة، وتوقع خلاف ذلك يؤدي فقط إلى الصداع وتعب القلب الذي لا لزوم له.

عندما تستريح على فراش الموت لن تتذكر الأيام التي كانت سهلة، وسوف تعتز باللحظات التي ارتفعت فيها فوق الصعوبات وغزوت الأهداف الكبار، وستفخر بالقوة التي وجدتها في نفسك والتي سمحت لك بتحقيق ما بدا مستحيلاً ذات مرة.

لذلك لا تفعل ما هو سهل، وافعل أقصى ما تقدر على تحقيقه اليوم، أذهل نفسك بقوتك وعظمتك.

٣- أن ترغب في أن تكون جهودك كلها مثالية للغاية:

كل واحد منا عنده رغبة في الوصول للكمال، تعلم أن تدرك أن رغبتك في تقديم شيء مثالي قد تمنعك من الحصول عليه والقيام به بشكل جيد، وتعلم أيضاً أن فكرة الكمال ليست فقط غير قابلة للتحقيق، بل يمكن أن تدمر عقليتك المنتجة، وستبقى تركض في مكانك، محلّك سرْ.

فإذا كنت تشعر بأنك محلك سرْ الآن، فخذ قسطاً من الراحة والتأمل، وفكر في الفرق بين الجهد الدؤوب والكمال.

وردد بصوت عالٍ إن شئت: فليذهب الكمال إلى الجحيم، فأنا رائع بدونه!

٤- أن تفتقر خطواتك إلى الحضور والمتابعة:

غريبة حقاً هذه الحياة! تريد شيئاً وتعمل من أجل تحقيقه، وتنتظر وتعمل وتنتظر، وتشعر أنها مهمة مستحيلة أو شبه مستحيلة يمكن أن تأخذك إلى الأبد، فلا تأخذك، وبعد ذلك تنتهي ويتكرر ذلك مراراً، وكل ما تريد القيام به يمر بكل هذه الدوائر قبل أن يصل لنهايته.

كيف يمكنك تجنب هذه المشاعر من الضياع والارتباك؟

بأن تكون أكثر حضوراً ويقظة في كل خطوة على الطريق.

قم بمتابعة أهدافك وأحلامك حتى تستمتع بالرحلة للوصول إلى هناك، احتضن الخطوة التي تقوم بها، حتى لو شعرت بأن قدمك زلّت، فأحياناً يكون الطريق أكثر وعورة مما تتخيل، لا ينبغي أن تكون كل خطوة مريحة أو في مكانها وموضعها تماماً.

قبل استغنائك عن بعض ما «يجب» أن يحدث، أو ما «يمكن» أن يحدث في كل خطوة على الطريق، عليك أن تجهز حياتك لقليل من المفاجآت والأفراح، لا تستطيع أن تعيش الحياة التي تريدها بالضبط، ولكنك ستعيش حياة ذات معنى، رائعة، ومضمونة، الحياة صعبة أحياناً، ولكنها ليست كذلك دائماً، اجعلها مغامرة، اجعلها ممتعة، قرر الخيار الذي يشعرك بالرضا عن نفسك، وعن العالم الذي تعيش فيه، وعن إمكاناتك والخطوة التي تقوم بها الآن.

افعل ذلك وأنت تبتسم على طول الطريق حتى تصل إلى خط النهاية، وما بعد خط النهاية.

٥- اللغة التي تسلبك القوة وتحرمك من الطاقة:

الواثقون يستخدمون كلمات التصميم والعزم، ويمكنك أن تكون واحداً منهم.

فكر في الفرق بين هذين المدونين الطامحين وطلاب التدريب الذين تحدثت مؤخراً معهم:

قال أحدهم: «نعم، أنا مدون، وأحب التأمل واليوجا أيضاً.. ممتاز! أن بحاجة إلى للانضمام إلى نادٍ أو غيره لممارسة ذلك والتدريب.. تحقق من دليلي لقد نشرت هذا بالفعل..».

وآخر يقول: «حسناً، أنا أحاول أن أدوِّن، ولكني لست متأكداً من أنني سأفعل ذلك بحق (ضحك عصبي)، أتمنى لو أبدأ حالاً..».

أيهما في رأيك سيحصل على معظم الآراء والتعليقات والمشاركات؟

خلاصة القول: إذا كنت تحاول بناء شيء أو أن تصبح شيئاً، استحوذ عليه وتكلم وكأنك قد ملكته.

ومهما كان ما تفعل، لا تعش مع إجهاد وآلام الأمس، وعش مع ما هو أبعد من ذلك، لا يمكنك التوقف عند ما حدث بالفعل، ولكن يمكنك استخدامه كيما يجعلك أقوى وأكثر تصميماً، الرحلة إلى الوضوح العاطفي تتطلب أن تقوم بمراجعة الأحداث في حياتك من أجل العثور على الحكمة والدروس التي تحتويها.■

لن تجرؤ على النوم بجوار هاتفك بعد رؤية هذه الصورة المرعبة!

بعد أن لاحظت ٥ طالبات بالدنمارك، أنهن إذا وضعن جوالاتهن بجوار رؤوسهن ليلاً يعانين من عدم التركيز في اليوم التالي، فإنهن أردن اختبار تأثير ذلك عملياً، وبما أن مدرستهن لم تكن لديها المعدات اللازمة لإجراء هذه التجربة فقد قررن تنفيذها بأدوات بسيطة في المنزل.

الطالبات وضعن ٦ صحون مليئة بنوع من البذور في غرفة محكمة الإغلاق وخالية من الإشعاع، ووضعن ٦ صحون في غرفة أخرى مع جهازي راوتر وهاتف جوال، وخلال ١٢ يوماً بدأت الطالبات ملاحظة نمو النباتات مع تصويرٍ النتائج، وبعد نهاية التجربة كانت النتيجة الرهيبة والواضحة تماماً، فالبذور التي وضعت بجوار الراوتر والهاتف لم تنمُ ومات الكثير منها، وفي الوقت نفسه نمت البذور في الغرفة الأخرى.

وقد أثارت هذه النتائج اهتمام العلماء حول العالم، فيما حصلت هذه التجربة على مرتبة الشرف الأولى في مسابقة العلوم الإقليمية، برغم بساطتها، فإن نتائجها خطيرة في نفس الوقت.

وقد ذكر «كالتجربة، أن التجربة أثارت اهتمام أحد علماء الأعصاب في معهد «كارولينسكا» في السويد، وينوي تكرارها في بيئة علمية

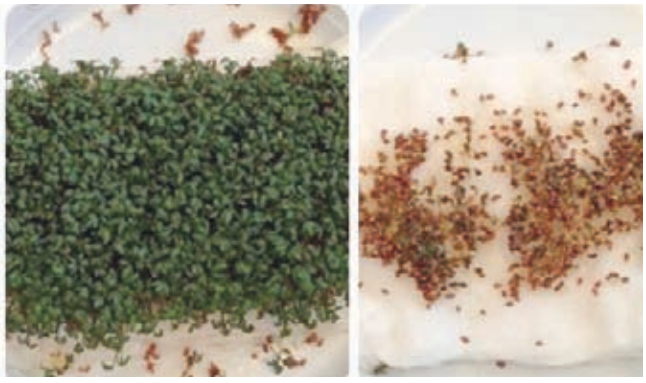

مهنية يسيطر عليها وربما يجريها على كائنات أخرى غير النباتات.

ويذكر أن الاستهلاك المفرط للهواتف الذكية، ينتج عنه صعوبات في النوم، حيث أظهر استبيان أجرته جامعة ستانفورد عام ٢٠١٠م أن النوم بجانب الهاتف المحمول يجعل الشخص يواجه صعوبات فيه، وذلك بسبب أضواء الهاتف التي يعتقد أنها تربك إفراز مادة الميلاتونين في الدماغ التي لها علاقة بتنظيم النوم.■

هذا ما يسببه الهمبرجر والبسكويت بعد أسبوعين

حسب «جي بي سي نيوز»، تناول كميات كبيرة من الهمبرجر والبسكويت وشرائح اللحم البقري أو الستيك والتوقّف عن تناول الأطعمة الصحية لمدّة أسبوعين فقط يساهم في رفع خطر الإصابة بسرطان القولون.

هذه النتيجة توصّل إليها فريق من الباحثين الأمريكيين، وأكدوا أن هذه النتائج سبّبت لهم صدمة كبيرة؛ نظراً لأن هذه التأثيرات الخطيرة حدثت في فترة قصيرة للغاية.

وهذا الأمر يؤكد خطورة الإسراف في تناول هذه الأطعمة، وذلك وفقاً للنتائج التي خضع لها بعض المتطوعين من جنوب أفريقيا، وأخضعوا لتناول الأطعمة السابق ذكرها بدلاً من الأسماك والذرة والفواكه والخضراوات، حسب «جي بي سي نيوز».

وتناول الأطعمة الغنية بالألياف النباتية يساهم في تلافي التأثيرات الناجمة عن تناول الهمبرجر والبسكويت واللحم البقري، ويقلل من فرص الإصابة بسرطان القولون، نظراً لأنها تقلّل التهاب القولون وتحفز إفراز مادة butyrate المضادة للسرطان.

ولذا أوصى الباحثون بتناول قدر أكبر من الألياف الطبيعية، وجعلها عنصراً رئيساً ضمن الحمية الغذائية اليومية كي نقلل خطر الإصابة بسرطان القولون.

ومن الأطعمة الغنية بالألياف النباتية: الفواكه والخضراوات والبقوليات والذرة وحبوب الشوفان والفشار والمكسرات.■

ما الفرق بين الشاي الأخضر والأسود والأبيض؟

جميع أنواع الشاي، سواء الأسود أو الأخضر أو الأبيض محضرة من نفس النبتة، وهي نبتة الشاي، واسمها العلمي Camellia sinensis والفرق بينهما هو طريقة تصنيع كل نوع.. ففي الشاي الأسود، تخضع الأوراق لعملية أكسدة مسببة تغير في اللون إلى الأسود وزيادة في النكهة، بالإضافة إلى فقد جزء من المركبات الكيميائية بما فيها مضادات الأكسدة.

أما الشاي الأخضر، فيتم تحضيره بتعرض الأوراق للبخار ثم تجفيفها، وهي طريقة يتم فيها حفظ المركبات المفيدة كالبوليفينولات ومضادات الأكسدة بشكل أكبر من الشاي الأسود.

لابد أنَّ الكثيرين قد سمعوا عن الشاي الأبيض، خاصة وأنه يتم تسويقه على أنه شاي لتخفيف الوزن، إنه ليس من نوع خاص، ولكنه محضر من نفس أوراق نبتة الشاي ولكن بأقل طرق التحضير الممكنة، حيث يتم تجفيف الأوراق بتعريضها للهواء بعد قطفها فقط؛ ولذلك فإن محتواه كبير من مضادات الأكسدة التي تحافظ على الصحة وتقي من السرطان، وهذا هو سبب نكهته الخفيفة ولونه المائل إلى البياض.■

تفنني في تقديم الفاكهة لطفلك

الفواكه من المواد الغذائية الضرورية التي تقدميها لطفلك يومياً وباستمرار؛ كونها تحتوي على الألياف والفيتامينات والماء والعناصر المعدنية، ولكن غالباً ما يرفض الطفل تناول الفاكهة ويفضل الأطعمة الجاهزة السريعة، ولكي تتغلبي على هذه المشكلة عليك أن تتفنني في تقديم الفاكهة لطفلك لترغبيه في تناول الفواكه عن طريق تقديمها بطريقة مبتكرة خاطفة للانتباه.

أولاً: يمكنك التحايل على طفلك لفتح شهيته للفواكه من خلال عمل تشكيلة محببة إليه عن طريق مزج مجموعة من الفواكه بطريقة فنية، أو تقشير نوع واحد من الفواكه بطريقة مجسمة تحفزه على التهامها.

ثانياً: إذا رغبت أن يتناول وجبة متكاملة من الفاكهة عليك بإشراكه في صنع أحد الأشكال أو المجسمات بمساعدتك،

واعمدي إلى تقشير حبتين من الفاكهة واحدة لعمل الشكل المحبب له، وأخرى تكون بجانبه ليلتهمها أثناء العمل، كما بإمكانك تقديم الفاكهة بأحد الصحون المحببة له، وقد تحوي أشكالاً ورسومات كرتونية ومعها شوكة بلاستيكية تساعده أثناء تناول الفاكهة.

ثالثاً: وضع أحد الأناشيد أو الأغاني المحببة له ومساعدته على التهام صحن الفاكهة أثناء سماعه لأنغام أغنيته المفضلة.■

هل تعلم أنَّ الله تعالى لم يخلق أشكال الخضار والفواكه عبثاً؟!

١- الجزر: يشبه عدسة العين، فعلاً أثبتت الأبحاث أنَّ الجزر مفيد جداً للنظر.

٢- الطماطم: لها أربع حجرات، والقلب لونه أحمر وبه أربع حجرات: البطينان والأذينان، وكل الأبحاث الحديثة تؤكد أنَّ الطماطم طعام القلب والدم.

٣- العنب: يشبه الشكل الخارجي للقلب، وكل حبة عنب تشبه خلية دموية! ولقد أظهرت الأبحاث الآن أن العنب مفيد للقلب والدم أيضاً.

٤- الجوز: يشبه جداً شكل الدماغ (المخ) بفصيّه الأيمن والأيسر، حتى التلافيف الموجودة بداخله.. سبحان الله! فعلاً تؤكد الأبحاث أنَّ تناوُل الجوز يسهم في نمو الكثير من الخلايا العصبية التي تساعد في أداء المهام الدماغية.

٥- الفاصولياء: تشبه الكلى، والفاصولياء تساعد الكلى في أداء مهامها.

٦- البصل: يشبه خلايا الجسم، وتظهر الأبحاث أنَّ البصل يساعد الجسم على التخلص من السموم مثل ما تدمع العين لتغسلها.■

بستان المجتمع

إعداد: أمل دربالة

برج إيفل

برج إيفل، بالفرنسية Tour Eiffel هو برج حديدي يبلغ ارتفاعه ٣٢٤ متراً، يوجد في باريس، في أقصى الشمال الغربي لحديقة «شامب دي مارس»، بالقرب من نهر السين، أنشئت من طرف «جوستاف إيفل» ومعاونيه بمناسبة المعرض الدولي لباريس في عام ١٨٨٩م، وسمي برج ٣٠٠ متر في الافتتاح.

أصبح هذا المُنشأ رمز العاصمة الفرنسية، وهو الموقع السياحي الأول، وهو يمثل تاسع موقع فرنسي الأكثر زيارة في عام ٢٠٠٦م، وهو أيضاً أول معلم من حيث عدد الزوار؛ حيث بلغ عدد الزوار ٦,٨٩٣ مليون زائر في عام ٢٠٠٧م، بارتفاعه الذي يبلغ ٣١٣,٢ متر، بقي برج إيفل لمدة ٤١ عاماً المعلم الأكثر ارتفاعاً في العالم، تمت زيادة ارتفاعه عدة مرات بتثبيت العديد من الهوائيات، ليبلغ ارتفاعه ٣٢٧ متراً منذ ٨ مارس ٢٠١١م، استعمل في الماضي في العديد من التجارب العلمية، ويستعمل اليوم في بث برامج الراديو.■

عفريت الماء أو السمندل أو قنفذ البحر

له فم عريض، ورأس دائري الشكل تنبت منه ستة قرون ناعمة الملمس عليها شعيرات، يطلق عليه السكان المحليون اسم أكسولوتل Axolotl والذي يعني «وحش الماء»

ألوانه: يتواجد بالون الأبيض، البني المرقط، الرمادي أو الرصاصي والفضي واللون الرمادي والبني هو أغلب الألوان المتوافرة.

الاسم العلمي:
Ambystoma mexicanum.

التواجد: خليج المكسيك.

الطول: حتى ٣٠ سم.

غذاؤه: يتغذى على الرخويات، الديدان، يرقات الحشرات والقشريات، وبعض الأسماك.

العمر: يمكن أنْ يعيش ١٠ سنوات إلى ١٥ سنة.

مزاياه: أطراف هذا الكائن البحري تعاود النمو بعد قطعها، وإذا جُرح فإن نزيف الدم يتوقف خلال ثوانٍ، من الأمور المثيرة الأخرى إضافة إلى تعويض الأنسجة المفقودة هو أنَّ الحيوان يعيش حياة حيوان برمائي على الرغم من أنه حيوان مائي؛ أيْ إنه مثل السلمندر يطرح البيض في الماء ويفقس على شكل فراخ صغيرة، وتمر بمرحلة تطور مثل الضفدع، ولكن الحيوان يبقى في الماء ولا يتحول إلى برمائي.■

متنزه «سيرينجيتي» الوطني

يُعَد متنزه سيرينجيتي الوطني متنزهاً وطنياً (حديقة) ضخماً في سيرينجيتي في أروشا في تنزانيا، وهو يشتهر بالهجرة السنوية لما يزيد على مليون ونصف المليون من حيوانات النو ذات اللحية البيضاء (أو الرمادية المخططة)، و٢٥٠ ألف حمار الزرد، ويُنظر إلى المتنزه بشكل كبير على أنه أفضل محمية للحياة البرية في أفريقيا؛ بسبب كثافة الحيوانات المفترسة والفرائس به.

ويغطي المتنزه مساحة ١٤،٧٦٣ كم٢ (٥،٧٠٠ ميل٢) من سهول المراعي والسافانا، بالإضافة إلى الغابات النهرية والغابات الحرشية، ويقع المتنزه في شمال الدولة، حيث يحده من الشمال الحدود الوطنية بين تنزانيا وكينيا، حيث يستمر مع محمية ماساي مارا الوطنية، وإلى الجنوب الشرقي من المتنزه، تأتي منطقة محمية نجورو نجورو، وإلى الجنوب الغربي منه تقع محمية ماسوا الطبيعية، وعلى الحدود الغربية منه تأتي إيكورونجو ومحميات جرومتي للطرائد، وإلى الشمال الشرقي منه تأتي منطقة لوليوندو للتحكم في الطرائد.

وتحظر إقامة البشر في المتنزه الوطني باستثناء موظفي TANAPA، والباحثين وموظفي جمعية فرانكفورت للحيوان، بالإضافة إلى موظفي النزل والفنادق المختلفة، والمستوطنة الرئيسة هي سيرونيرا، والتي تأوي أغلبية موظفي الأبحاث والمقر الرئيس للمتنزه، بما في ذلك مهبط الطائرات الرئيس.■

تحكم البشر الأوائل في النيران

لقد كان تحكم البشر الأوائل في النيران بمثابة نقطة تحول في الجانب الثقافي للتطور البشري؛ مما سمح للبشر بطهي الطعام والحصول على التدفئة والحماية، كما سمح بإشعال النيران، كذلك بتوسيع أنشطة الإنسان إلى الساعات الباردة أثناء الليل، كما وفر له الحماية ضد الحيوانات المفترسة والحشرات.

وتعود الأدلة التي تم العثور عليها للتحكم في النيران على نطاق واسع إلى حوالي ١٢٥,٠٠٠ عام مضت وما بعدها، وهناك دعم كبير من العلماء لوجود أدلة على استخدام النيران بشكل خاضع للسيطرة من قبل الإنسان منذ ٤٠٠,٠٠٠ عام، في حين لم يتم النظر إلى الادعاءات المتعلقة بوجود أدلة قبل ذلك على اعتبار أنها غير قطعية أو سطحية.

وتتراوح الادعاءات بوجود أول الأدلة القاطعة بالسيطرة على النيران من قبل «هومو» بين ٠,٢ - ١,٧ مليون عام مضت.■

تاريخ «الكيبورد» منذ عام ١٨٧٤م

قبل اختراع الحاسوب كانت توجد الآلة الكاتبة، وتم أخذ الكثير من الحروف من تخطيط الآلة الكاتبة إلى لوحة مفاتيح الحاسب الآلي، حيث إنَّ صحفياً وكاتباً يُدعى «كروستوفر شولز» هو مخترع الآلة الكاتبة في عام ١٨٧٤م، وبعد عدة محاولات وإخفاقات كثيرة في تصميم لوحة المفاتيح نجح هذا التصميم وباعه لإحدى الشركات.

في البداية كان التخطيط مرتباً أبجدياً، ثم تبعاً لنصيحة أحد زملاء «كروستوفر» حاول أنْ يضع الحروف الأكثر استخداماً في الصف الأساسي، فأعاد تخطيط لوحة المفاتيح تبعاً للحروف الأكثر استخداماً وشيوعاً، ويطلق على هذا التخطيط اسم QWERTY وهو اسم أول ستة حروف في لوحة المفاتيح، ويوجد تخطيط آخر مهم وهو Dvorak Keyboard Simplified.■

البيات الشتوي

البيات الشتوي، مشتق من الكلمة الألمانية Winterruhe هي حالة ينخفض فيها نشاط النباتات والحيوانات ذوات الدم الحار التي تعيش في المناطق فوق المدارية في العالم في أثناء الظروف البيئية القاسية لفصل الشتاء، وفي هذه الحالة، تحتفظ تلك الكائنات بالطاقة أثناء الطقس البارد حينما تكون مصادر الغذاء محدودة.■

أدب رفيع

دعا الرشيد، خزيم بن أبي يحيى يوماً إلى مائدته، فلما توسط الأكل، رفع الرشيد رأسه إلى رجل ليكلمه بالفارسية.

فقال خزيم: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تسرّ إليه فإنني أعرف الفارسية، فمرني أن أتنحى لتكلمه بما تشاء.

فأعجب الرشيد بصدق خزيم وكرم أخلاقه.■

سرب سمك

سرب من سمك ماكريل الأزرق يتخذ شكل كرة عملاقة يتجاوز قطرها ١٠ أمتار في مياه الأطلسي؛ والهدف تشكيل «حلف» لدرء خطر المفترسات، وقد انفرط حلف الأسماك قبل جزر الأزور لمجابهة هجمات الدلافين والطيور وأسماك القرش.■

حاسة الأمن الوطني

بقلم:
محمد سالم الراشد

ثمة شعور عند كثير من المواطنين في دولة الكويت بعدم ثقتهم بدرجة نضوج مستوى الحس الأمني والتنبه بعمق التحديات والأخطار عند المؤسسات المسؤولة في الدولة وأنه يشوبها الضحالة والتفكير الآني، وأنها مترددة في امتلاك الدافعية لاتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة عمق التحدي الأمني على المواطنين، وما تشكله الأزمات المحيطة في الكويت من خطر داهم عليهم.

وقبل الدخول إلى هذا المشهد وتحليله، فإن الاعتبار بالتاريخ مهم؛ إذ إن فقدان الحس الأمني كان من أهم أسباب سقوط دولة الأندلس وإماراتها بيد الصليبيين واتحاد إسبانيا النصرانية وأراغون وقشتالة وحسمها في معركة غرناطة التي قاد المسلمين فيها عبدالله بني الأحمر في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، حيث تلهى الناس والأمراء في تلك الحقبة بالاستملاك والعمارة والترف من جهة، والتخندق والتحزب لإحراز التفوق الاحترابي فيما بين الإمارات والزعامات السياسية والدينية، وسمي هذا بعصر الطوائف.

في الكويت الانتباه والحس بالخطر دائماً يكون مؤقتاً، وما يتخذ من إجراءات شبيه بالعلاج المؤقت الذي يريح المريض ولكن تبقى العلة موجودة، وربما يستفحل المرض دون شعور المريض إلى أن تنهار مقاومته ويلقى حتفه.

مجسات الأمن الوطني في الكويت تكاد تكون معدومة؛ نظراً لطغيان الخلاف والتفرق السياسي والاجتماعي، ونظراً لارتفاع روح المنافسة الاستهلاكية التي تنمي الفرد الجشع وحالة الراحة المزيفة، في حين أن الخطر الداهم محيط وأن مفاهيم وقيم الأمن الوطني مفقودة على المستوى الفردي والمستوى المؤسسي، فكيف إذا ضعفت في الأجهزة المسؤولة عن الأمن الوطني في الدولة؟

فعلى المستوى السياسي:

تكاد أولويات الحكومة والمعارضة هي تحقيق كسب النقاط والمغالبة على قضايا خلافية تكاد تعصف بالاستقرار، وقد استغل هذا الخلاف من أطراف الظلام وعسكرة الطوائف لتمرير أدوات الإرهاب، بل إن من نتيجة مصفوفة التحالفات السياسية والاجتماعية واستعانة طرف على الآخر، أن وضعت أولويات الأمن الوطني تالياً بعد تحقيق المكاسب والمصالح، وتشكل لدينا لوبيات في الدولة تغطي وتحمي بعلم - أو بدون علم - الحالة المتوثبة للضعف والإرهاب وتقوم بتسطيح هذه القضية.

وعلى المستوى الاجتماعي:

فإنه منذ تحرير الكويت عام ١٩٩١م من الاحتلال الصدامي، فإن الصراع الاجتماعي نتيجة الخلاف السياسي تمدد وانتقل من مجرد صراع على المواقع المدنية والمصالح السياسية والاقتصادية إلى صراع طبقي ثم طائفي ثم ولائي، بل وللأسف تطور إلى تصنيف ديمجرافي وفق خط الهجرات الأولى لدولة الكويت، وهذا للأسف تراكم لما يقارب ربع قرن ليتحول إلى كتل ديمجرافية متشاحنة تمثل خطراً على النسيج الوطني بما يدفع للاحتراب والخصام والشقاق والخلاف.

وكان من نتائجه نفوذ العمليات الإرهابية، وتوجت بعمل إرهابي في «مسجد الصادق»، وأخيراً خلية العبدلي الموسوم بها حزب الله، كما اصطف المجتمع ديمجرافياً في بعض القضايا الإقليمية والخارجية، مما زاد من اضمحلال الحس الأمني والوطني عند الشعب الكويتي.

أما على المستوى القيمي:

فإن تراجع قيم المواطنة والاهتمام بكينونة الوطن ومصالحه وممتلكاته بات واضحاً لكل مراقب وراصد لحركة المجتمع وتفاعل الناس مع تلك القيم.

فانتشار الفساد في غالبية المؤسسات وخصوصاً بعضها له علاقة بأمن المواطنين، حيث يتم شراء المواطنة وتسهيل امتلاك الهوية المدنية وتهريب المواد والسلاح والتلاعب بقوائم المغادرين والممنوعين من السفر من أجل حفنة من المال، وكذلك انتشار المحسوبية وتقليد الوظائف للضعفاء، وبحسب الولاء القبلي أو العائلي أو الطائفي أو المصلحي بما يخل بالموقع المهم في الدولة وحساسية بعض المواقع.

إن فقدان قيم الالتزام والانضباط وأداء الواجب وتوافر الذمة والإخلاص في العمل والانتباه للخطر والتدقيق في الوظائف الحساسة؛ كل ذلك أدى إلى تجسير حالة المجتمع الكويتي نحو الغيبوبة الوطنية وتدثيره بسطحية الخطر الأمني وتعايشه مع نفوذ الإرهاب المغطى بالتعايش السياسي.

أما على المستوى المؤسسي:

فإنه من الملاحظ تماماً أن التخبط سيد الموقف، فلا خطة وطنية واضحة المعالم تجاه الأخطار الأمنية على الوطن تشترك فيها قطاعات الدولة جميعاً، بل إن المؤسسة المعنية وهو جهاز الأمن الوطني الذي صدر مرسوم تأسيسه (رقم ٣٢) عام ١٩٩٧ يكاد ينسى دوره ويستثني من قائمة المؤسسات المعنية والمسؤولة عن التخطيط والتوجيه وإدارة السياسيات الأمنية للوطن.

التتمة ص (٧٢)